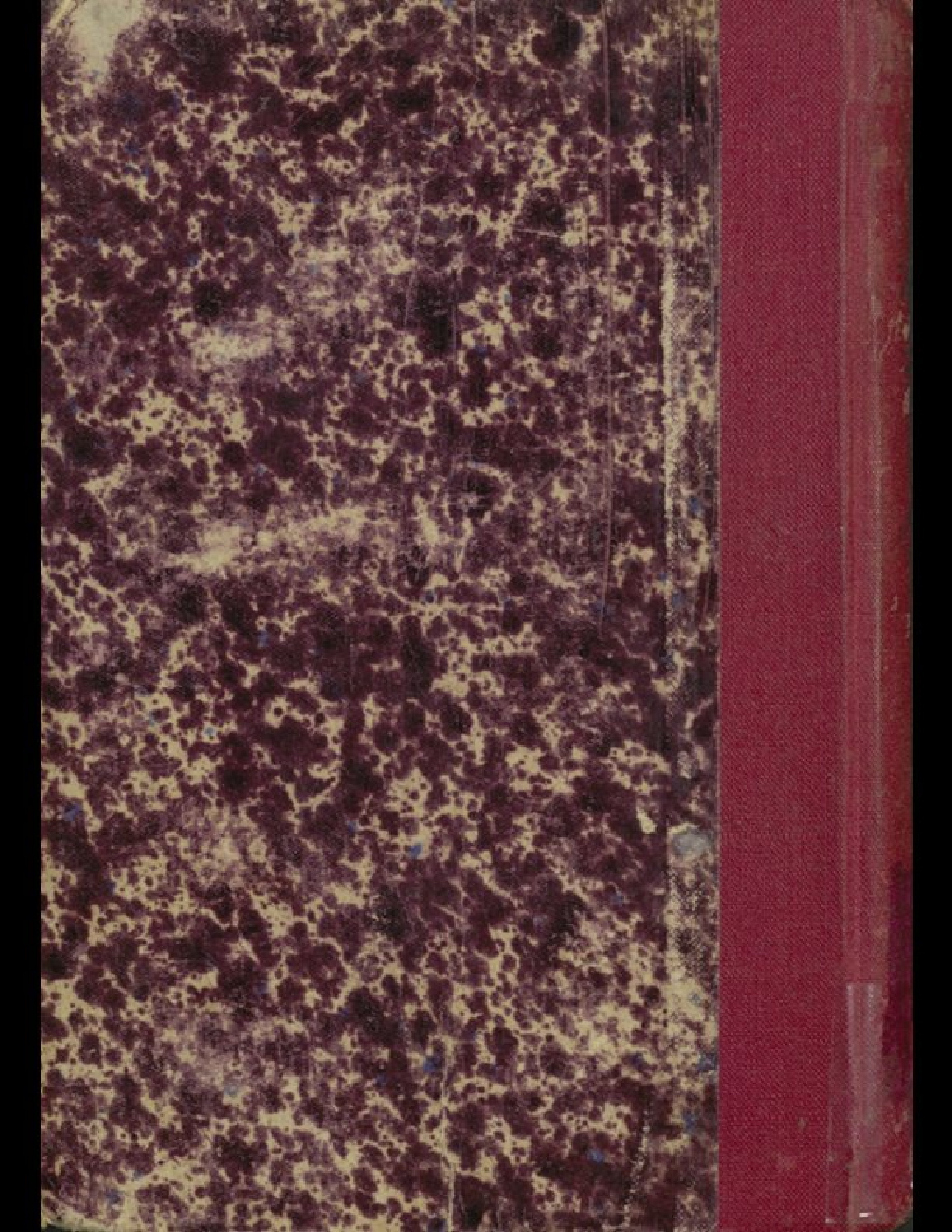
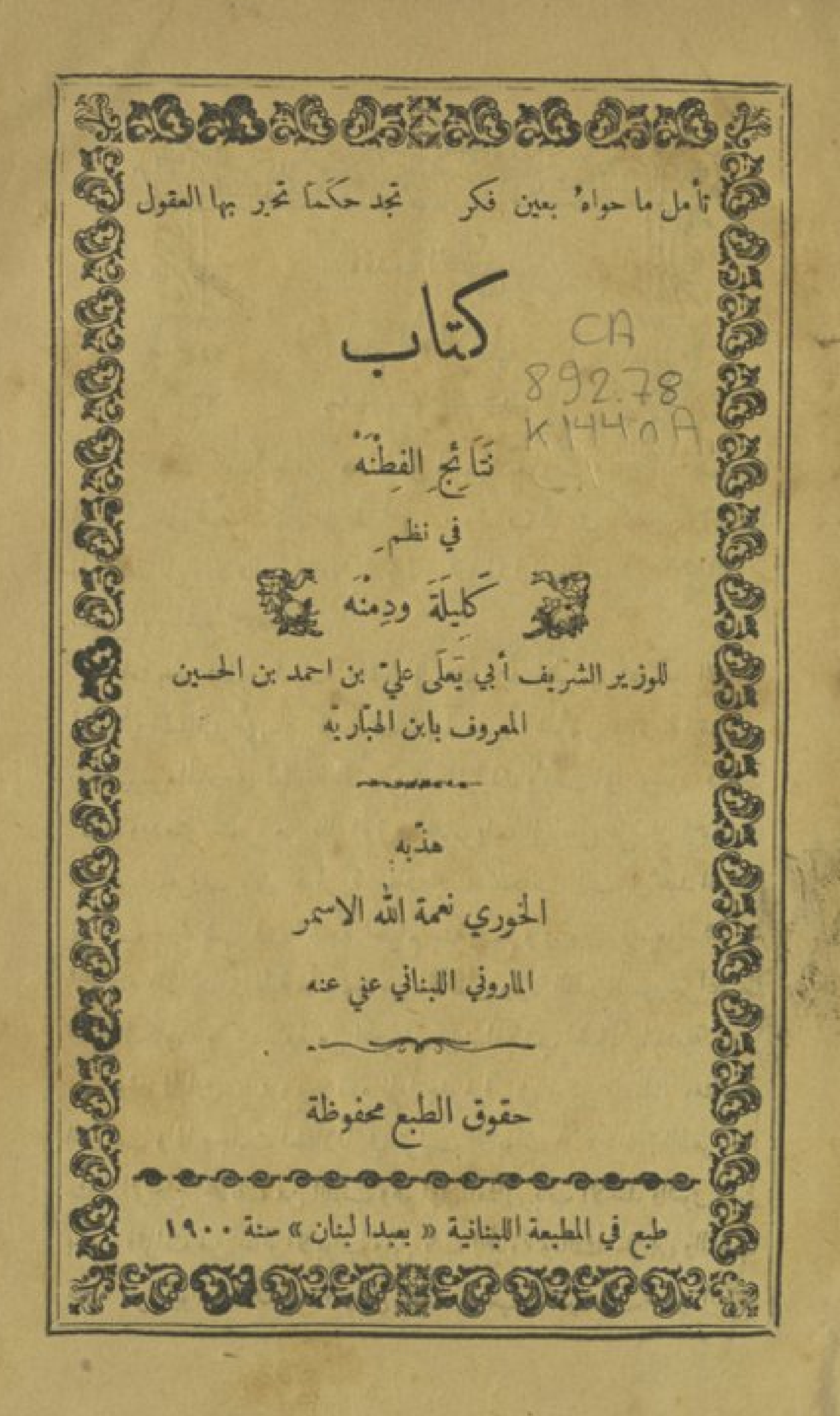


Khairallah 1902





تأمل ما حواهُ بعين فكر   تجد حكماً تحير بها العقول

كتاب

نتائج الفطنه

في نظم

كليلة ودمنه

للوزير الشريف أبي يعلى عليّ بن احمد بن الحسين
المعروف بابن الهبّاريّه

هذّبه

الخوري نعمة الله الاسمر
الماروني اللبناني عفي عنه

طبع في المطبعة اللبنانية « بعبدا لبنان » سنة ١٩٠٠



مقدمة المصحّح

بسم الله الازلي

احمدك اللهمّ يا من هدانا الى الحقّ بعبارات صريحه · ومهّد لنا للوصول الى قمّة الكمال طريقاً فسيحة · وضرب لنا في كتابه لارشادنا الى الفضائل والآداب امثالاً فصيحة · هي لهداية الحائد عن المنهج القويم احسن بل انجع نصيحه ·

امّا بعد فيقول العبد الفقير الى عفو ربّه الخوري نعمة الله الاسمر الماروني اللبناني انّني لما كنت في الشهبا مديرًا شؤون مدرسة القديس انطونيوس البادوي لطائفة الأرمن الكاثوليك وُفِقت الى وجود كتاب كايلة ودمنة شعرًا من نظم الوزير الشريف ابي يعلى عليّ بن احمد بن الحسين المعروف بابن الهبّاريّة خطّته يد الكاتب الب بن عبد العزيز بن الب في شهر ذي الحجّة الحرام سنة سبع واربعين وسبعمائة هجرية فتصفحته فاذا هو في غاية ما يكون من الاتقان ولولا النذر اليسير من اغلاط النسخ لكان آية السلامة من التحريف بين الكتب الخطيّة القديمة

وقد قابلت بينه وبين نثره فلم أجد فرقاً في حسن السبك ومتانة التركيب وانما وجدت اختلافاً في ترتيب الابواب ثمّ في خلوّ الشعر من مثل الرجل الخائف من الذئب وهو اول امثال باب الاسد والثور ومن بعض فقرات من سائر الابواب ومن باب الحمامة ومالك الحزين والثعلب وهو آخر ابواب الكتاب · ولعلّ ذلك ينسب لأمرين سهو الناسخ

عن البعض وعدم وجود البعض الآخر في ما أخذ عنه الناظم ووجدت فرقاً في باب ايلاذ وبلاذ فقد سمّاها الناظم هيلار وبيلار مع بعض اختلاف في سياق المثل ·

ولما كان لكتاب كليلة ودمنة من الشهرة ومن اقبال العموم على مطالعته ما يغني عن الاطناب في تقريظه وكان الشعر ابقى في الذاكرة واحبّ الى الحافظ من النثر فكّرت في تقديمه لابناء الوطن مصحّحاً كاملاً فاخرّني عن الاقدام علمي بما انا عليه من قصر الباع وما يحتاج اليه هذا العمل من سعة الاطلاع وقد اعتمدت البقاء على الاحجام لما بحثت عن ترجمة الناظم وممدوحه اسعد بن موسى الذي جُعل النظم هديّة له وعن ابي الفرج الفيلسوف الذي قُدّم الكتاب بواسطته ولم أجد الاّ شيئاً قليلاً عن الناظم وحده وذلك في دائرة المعارف واظنّ انّ ما فيها مختصر من كتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان للقاضي ابن خلكان ·

اما الممدوح والوسيط فلم اقف لهما على ذكر في الذي لديّ من الكتب غير اني اظنّ انّ الوسيط هو ابو الفرج الارمنازي لانه من معاصري ابن الهبّاريّة

وبقيت محجماً لا انشط من هذا العقال الى ان اكد لي الجمّ الغفير من العلماء والشعراء ان الواقفين على النظم سيغضّون الطرف عن قصوري واغفالي ترجمة اسعد بن موسى وابي الفرج لِما سيجدونه فيه من الفوائد فاقدمت وجلاً على تصحيح اغلاطه وحذف ما فيه من الأمثال التي يترفّع اهل العصر عن مطالعتها ونظم غيرها مأخوذاً عن النسخ النثرية المطبوعة مع نظم ما ذكرت ان الكتاب خالٍ منه واشرت الى كلّ ما نظمته بان وضعته ضمن هذه العلامة « » وابقيت ترتيب الابواب على ما في

النسخة الخطية والحقت النظم بما يكفل لقارئه تفسير الغريب من الفاظه . فاسأل الله ان يكون معزى امثاله مفيداً لقارئه انه سميع مجيب

فرجاي باهل العلم انهم يسبلون ستار الصفح على ما يرونه من الغلط في التصحيح فانني لم أُرد الا الصحيح فان كنت اصبت فرمية من غير رام والاّ فان اقراري بالتقصير ضمين نيل العفو .

وقد بحثت عن وجود هذا الكتاب شعراً فعلمت ان قد نظمه ثلثة شعرآء : الاول إبان اللاحقي (كما يظهر من مقدّمة الناظم) وهو ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن جعفر مولى بني رقاش من اهل البصرة نظمه ليحيى بن خالد البرمكي اربعة عشر الف بيت في ثلاثة اشهر فاعطاه عشرة آلاف دينار وقد صدَّر كتابه بهذا البيت :

هذا كتاب ادب ومحنه ... وهو الذي يُدعى كليله دمنه

ولم اقف على نسخة من كتابه ولا سمعت انها عند احد وما ذكرته منقول باختصار عن خلاصة الذهب المسبوك صفحة ١٤٤

الثاني ابن الهبّارية .

الثالث محمد او احمد الجلال . رأيت نسخة من كتابـه في مكتبة حضرة الآباء اليسوعيين في بيروت ولم اعلم لمن نظمه ولا في اي زمن كتبت هذه النسخة غير انني لمحت بعض شروح على هوامشها تخطر في البال انها تحت يد منقح وربما كان ذلك مقدّمة تمثيلها للطبع .



ترجمة الناظم

مختصرة من دائرة المعارف

هو الشريف ابو يعلى محمّد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس المعروف بابن الهبّاريّة الملقب نظام الدين البغدادي.(١)

كان شاعرًا مجيدًا حسن المقاصد لكنّه كان خبيث اللسان كثير الوقوع في الناس لا يكاد يسلم احد من لسانه وكان ملازمًا لخدمة نظام الملك ابي عليّ الحسن بن عليّ بن اسحاق وزير السلطان الب ارسلان وولده ملك شاه وله عليه الانعام التامّ والادرار المستمرّ وكان بين نظام الملك وتاج الملك ابي الغنائم بن دارست شحناء ومنافسة فقال ابو الغنائم لابن الهبّاريّة ان هجوت نظام الملك فلك عندي كذا واجزل له الوعد فقال كيف اهجو شخصًا لا ارى في بيتي شيئًا الاّ من نعمته فقال لا بدّ من هذا فهجاه فبلغ ذلك نظام الملك فاغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد في افضاله عليه

ولابن الهبّاريّة معانٍ غريبة ومحاسن شعره كثيرة وله كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة وديوان شعره كبير يدخل في اربعة مجلدات ومن غرائب نظمه كتاب الصادح والباغم (وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٦) نظمه على اسلوب كليلة ودمنة وسيّره على يد ولده الى الامير ابي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي . وتوفي ابن الهبّارية بكرمان سنة اربع وخمسمائة

(١) قد اثبتُّ نسبته في صدر الكتاب والمقدمة كما وجدتها في صدر النسخة التي بيدي والله اعلم

مُقَدِّمَةُ ٱلنَّاظِمِ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى مَا خَوَّلَا ... مِنْ نِعْمَةٍ جَادَ بِهَا تَطَوُّلَا
حَمْدٌ مُقِرٌّ بِوُجُوبِ ٱلْحَمْدِ ... عَلَيْهِ لِلّٰهِ ٱلْقَدِيمِ ٱلْفَرْدِ
وَإِنْ تَكُنْ نُعْمَاهُ فَوْقَ حَمْدِي ... فَمَا عَلَى ٱلْعَاجِزِ غَيْرُ ٱلْجُهْدِ
فَارِجِ كُلِّ كُرْبَةٍ وَضَنْكِ ... بِصَاحِبِ ٱلْأَصْحَابِ مَجْدِ ٱلْمُلْكِ
مُشَيِّدِ ٱلدَّوْلَةِ شَمْسِ ٱلدِّينِ ... مَوْئِلِ كُلِّ بَائِسٍ مِسْكِينِ
أَلطَّاهِرِ ٱلْأَعْرَاقِ وَٱلْأَخْلَاقِ ... وَقَاسِمِ ٱلْآجَالِ وَٱلْأَرْزَاقِ
وَمَنْ عَلَا عَنِ ٱلْعَلَاءِ شَأْنُهُ ... وَجَلَّ عَنْ دُنُوِّهِ مَكَانُهُ
وَجَدَّدَ ٱلْإِسْلَامَ بَعْدَمَا دَثَرْ ... وَأَظْهَرَ ٱلْحَقَّ وَقَدْ كَانَ ٱسْتَتَرْ
أَلْأَفْضَلِ ٱلْمُفْضِلِ ذِي ٱلْأَيَادِي ... وَٱلْمِنَنِ ٱلرَّوَائِحِ ٱلْغَوَادِي
وَمَنْ يُجِيرُ عِنْدَ جَوْرِ ٱلدَّهْرِ ... جِيرَانَهُ مِنَ ٱلرَّدَى وَٱلْفَقْرِ
مُسْتَعْبِدِ ٱلرِّمَاحِ بِٱلْأَقْلَامِ ... وَدَامِلِ ٱلْكِلَامِ بِٱلْكَلَامِ
وَفَارِجِ ٱلْخُطُوبِ بِٱلدَّهَاءِ ... وَكَاشِفِ ٱلْكُرُوبِ وَٱللَّأْوَاءِ
وَمَنْ شَفَى ٱلدَّوْلَةَ لَمَّا أَشْفَتِ ... وَوَقَّرَ ٱلْأَحْلَامَ لَمَّا خَفَّتِ
طَبِيبِ كُلِّ عِلَّةٍ وَدَاءِ ... بِٱللُّطْفِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَٱلذَّكَاءِ

وَأَصْلَحَ الْمُلْكَ وَقَدْ كَانَ فَسَدْ — فَهُوَ مَكَانَ الرُّوحِ مِنْهُ فِي الْجَسَدْ

وَلَيْسَ لِلْمُلْكِ مِنَ الْآلَاتِ — غَيْرُ ابْنِ مُوسَى سَيِّدِ الْكُفَاةِ

قَدْ غَنِيَ الْمُلْكُ بِرَأْيِ مَجْدِهِ — عَنْ مَالِهِ وَجُنْدِهِ وَجَدِّهِ

وَعَلِمَ السُّلْطَانُ عَزَّ نَصْرُهُ — وَهُوَ حَصِيفٌ كَالشِّهَابِ فِكْرُهُ

أَنْ قَدْ غَدَا سَرِيرُهُ مَحْرُوسَا — بِحُسْنِ رَأْيِ أَسْعَدَ بْنِ مُوسَى (١)

وَقَالَتِ الْمُلُوكُ وَالْخَلَائِفُ — وَكُلُّهُمْ بِمَا يَقُولُ عَارِفُ

لِلَّهِ هَذَا الْأَلْمَعِيُّ الْكَاتِبُ — مِنْ كَاتِبٍ تَعْنُو لَهُ الْكَتَائِبُ

عَلَيْهِ لَا شَيْءَ سِوَاهُ يُحْسَدُ — فَهُوَ بِرَأْيِهِ مَجْدِهِ يُمَجَّدُ

أَصْلَحَ إِفْسَادَ الْوَرَى بِرَأْيِهِ — وَلُطْفِهِ فِي الْكَيْدِ مِنْ ذَكَائِهِ

فَمَا يُبَالِي بَعْدَهَا السُّلْطَانُ — أَقَلَّ أَمْ قَدْ كَثُرَ الْأَعْوَانُ

إِنَّ أَبَا الْفَضْلِ الْوَزِيرُ وَالْوَزَرْ — لَوْلَا عَلِيٌّ هَلَكَ الْيَوْمَ عُمَرْ

وَكُنْتُ مُذْ فَارَقْتُ أَصْبَهَانَا — مُسْتَبْدِلًا مِنْ رَبْعِهَا كِرْمَانَا

وَصِرْتُ عِنْدَ سَيِّدِ الْمُلُوكِ — إِيرَانَ شَاهْ مَوْئِلِ الصُّعْلُوكِ

بَهَاءِ دِينِ اللَّهِ سُلْطَانِ الْأُمَمْ — بَحْرِ النَّدَى شَمْسِ الْهُدَى مَوْلَى النِّعَمْ

(١) وفي الاصل:

انّ برأي اسعد بن موسى — غدا سرير ملكه محروسا

فِي جَنَّةٍ وَجُنَّةٍ مِنْ بِرِّهِ مُشْتَغِلاً بِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ
مُقَيَّداً بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ مُسْتَغْرِقاً فِي الْكَرَمِ الْكَرْمَانِي
يَئِسْتُ مِنْ عَوْدِي إِلَى الْعِرَاقِ وَقُلْتُ لِلْإِخْوَانِ لَا تَلَاقِي
لَكِنْ تَذَكَّرْتُ ابْنَ مُوسَى الْمُفْضِلَا لِأَنَّهُ كَانَ الْحَبِيبَ الْأَوَّلَا
أَمَّنَنِي فِيهِ مِنَ الْمَلَامِ مَا شَاعَ مِنْ حُكْمِ أَبِي تَمَّامِ
وَقُلْتُ كَمْ عِنْدِي لِذَاكَ الْمَوْلَى مِنْ نِعْمَةٍ إِنَّ لَهَا وَأَوْلَى
وَهْوَ بِمَدْحِي وَبِشُكْرِي أَوْلَى لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَقُولَ قَوْلَا
يَجْزِي الَّذِي أَسْلَفَنِي مِنَ الْمِنَنْ وَمَا لَهُ عِنْدِيَ مِنْ صُنْعٍ حَسَنْ
وَأَنَّهُ كَانَ مَلَاذِي فِي الْمِحَنْ وَمَوْئِلِي الْعَاصِمَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَنْ
وَقُلْتُ إِنَّ النِّعْمَةَ الْجَزِيلَهْ جَزَاؤُهَا بِخِدْمَةٍ جَلِيلَهْ
وَهْوَ غَنِيٌّ عَنْ مَدِيحٍ يُنْظَمُ وَقَدْرُهُ مِنَ الثَّنَاءِ أَعْظَمُ
فَمَا الَّذِي أَجْزِي بِهِ أَنْعَامَهُ وَهَلْ مُكَافٍ فِي الْوَرَى إِكْرَامَهُ
وَكُلُّ مَا يُقَالُ دُونَ قَدْرِهِ وَكُلُّ بَحْرٍ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِهِ
لَأَنْظِمَنَّ النَّثْرَ فِي كَلِيلَهْ وَإِنْ غَدَتْ خَوَاطِرِي كَلِيلَهْ
وَأَصْبَحَتْ قَرِيحَتِي قَرِيحَهْ تَصْحَبُهَا جَوَارِحٌ جَرِيحَهْ
لِأَنَّنِي عَنْهُ بَعِيدٌ نَازِحٌ غَادٍ إِلَى بَابِ سِوَاهُ رَائِحٌ

وَإِنَّ لِي فِي نَظْمِ ذَا ٱلْكِتَابِ فَضْلاً عَلَى ٱلْأَقْرَانِ وَٱلْأَضْرَابِ
لِأَنَّهُ خَيْرُ كِتَابٍ صُنِّفَا وَفِيهِ عِلْمٌ مِثْلُهُ مَا أُلِّفَا
فِيهِ لِأَرْبَابِ ٱلرِّجَالِ(١) عِبْرَهْ تَزِيدُ بِٱلدَّهْرِ ٱلْخَبِيرِ خِبْرَهْ
سَارَ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْآفَاقِ يُضِيءُ فِي ٱلنُّفُوسِ وَٱلْأَخْلَاقِ
أَرَادَ يَحْيَى حِفْظَهُ فَمَا قَدَرْ إِلَّا بِمَا قَالَ إِبَانُ إِذْ شَعَرْ
لِأَنَّ حِفْظَ ٱلنَّثْرِ أَمْرٌ صَعْبُ وَكُلْفَةٌ يَعْجِزُ عَنْهَا ٱلْقَلْبُ
إِلَّا إِذَا مَا حَفِظَ ٱلْمَعَانِي وَقَصَدَ ٱلْأَلْفَاظَ بِٱلنِّسْيَانِ
كَلَّتْ طِبَاعُ ٱلْقَوْمِ دُونَ نَظْمِهِ وَعَجَزُوا عَنْ سَبْكِهِ لِعُظْمِهِ
إِلَّا إِبَانُ ٱللَّاحِقِيُّ ٱلْكَاتِبُ فَإِنَّهُ فِي نَظْمِهِ لَغَالِبُ
ثُمَّ أَبُو يَعْلَى أَنَا فَإِنِّي نَظَمْتُهُ بِٱلْجُهْدِ وَٱلتَّعَنِّي
مُتَّبِعًا فِيهِ إِبَانَ ٱللَّاحِقِي وَلَيْسَ وَهْوَ سَابِقِي بِلَاحِقِي
فَإِنْ يَكُنْ أَقْدَمَ مِنِّي عَصْرَا فَإِنَّنِي أَحْسَنُ مِنْهُ شِعْرَا
مَا قِدَمُ ٱلْعَصْرِ مُفِيدٌ فَضْلَا قَدْ يَفْضُلُ ٱلْفَرْعُ ٱلزَّكِيُّ ٱلْأَصْلَا
فَٱعْتَبِرُوا ٱلنَّظْمَيْنِ يَا سَادَاتِي فَأَنْتُمُ أَعْرَفُ بِٱلْأَبْيَاتِ

---

(١) يريد بهم الملوك

حَسْبِيَ مَخْدُومِي لِقَوْلِي نَاقِدَا ... فَهْوَ عَلِيمٌ يَعْرِفُ الْقَوَاعِدَا (١)
لَا تَحْسَبُوا تَقَدُّمَ الزَّمَانِ ... بِرَافِعٍ فِي الشِّعْرِ مِنْ إِبَانِ
إِنَّ ابْنَ مُوسَى آخِرُ الْكِرَامِ ... فِي الْعَصْرِ لَا فِي الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ
أَخِرُهُمْ عَصْرًا إِذَا مَا عُدَّا ... لَكِنَّهُ الْأَوَّلُ فِيهِمْ مَجْدَا
لِأَجْلِهِ نَظَمْتُ مَا قَدْ نَثَرُوا ... وَإِنَّنِي بِمَدْحِهِ مُشْتَهِرُ
أَلَمْ أَكُنْ خَدَمْتُهُ زَمَانَا ... وَنِلْتُ مِنْهُ الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَا
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَ كَالْإِبْرِيزِ ... أَنْفَذْتُهُ لِتُحْفَةِ النَّيْرُوزِ
لِأَنَّهُ عِيدُ أَبِيهِ كِسْرَى ... أَزْكَى الْمُلُوكِ عُنْصُرًا وَنَجْرَا
سَنَّ بِهِ الْأَلْطَافَ وَالْهَدَايَا ... مُفْتَتِحًا لِلْعَامِ بِالتَّحَايَا
أَكْرِمْ بِهَا مِنْ سُنَّةٍ مَلِيحَهْ ... وَعَادَةٍ كَرِيمَةٍ سَمِيحَهْ
فَإِنْ تَكُنْ جُمْلَتُهُ مِنْ قُدْسِ ... فَإِنَّهُ مُنْتَسِبٌ فِي الْفُرْسِ
أَنْفَذْتُهُ إِذْ لَمْ أَجِدْ سَبِيلَا ... وَلَمْ أُرَجِّ الْقَصْدَ وَالْوُصُولَا
وَلَوْ قَدَرْتُ أَوْ مَلَكْتُ سُؤْلِي ... لَكُنْتُ فِيهِ بَدَلَ الرَّسُولِ
لَا لِاجْتِوَائِي مَوْضِعِي مِنَ الْمَلِكْ ... مَنْ ذَمَّ مَا رُزِقْتُهُ فَقَدْ أَفِكْ
كَيْفَ وَإِنِّي فِي جِنَانِ عَدْنِ ... أَنَالُ مَا يُوفِي عَلَى التَّمَنِّي

(١) وفي الاصل يعرف الفواردا

لَكِنْ بِي شَوْقًا يَزِيدُ خَبَلِي | أُضْمِرُهُ إِلَى ٱلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ
وَنَائِبِي فِي عَرْضِهِ ٱلْحَكِيمُ | ٱلْفَيْلَسُوفُ ٱلْأَوْحَدُ ٱلْكَرِيمُ
كَمْ ضِيقَةٍ فَرَّجَهَا أَبُو ٱلْفَرَجْ | عَنِّي وَكَمْ خَيْرٍ وَمَعْرُوفٍ نَتَجْ
وَٱلْمَجْدُ بِٱلشِّعْرِ عَلِيمٌ نَاقِدُ | وَهْوَ لَدَيْهِ نَافِقٌ لَا كَاسِدُ
لَا بَرِحَتْ عِرَاصُهُ مَأْهُولَهْ | بِطَالِبِي صِلَاتِـهِ مَوْصُولَهْ
مَا لَاحَ صُبْحٌ مُسْفِرٌ كَغُرَّتِهْ | وَبِشْرِهِ ٱلطَّالِعِ مِنْ أَسِرَّتِهْ
وَأَخْتِمُ ٱلْخُطْبَةَ بِٱلتَّسْلِيمِ | عَلَى ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْكَرِيمِ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ٱلْأَخْيَارِ | ٱلنُّجَبَاءِ ٱلسَّادَةِ ٱلْأَبْرَارِ



بَابُ بَرْزَوَيْهِ

طَبِيبِ فَارِسَ

قَالَ طَبِيبُ فَارِسَ الْمَذْكُورُ وَصِدْقُهُ فِي قَوْلِهِ مَشْهُورُ
«إِنَّ أَبِي كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَهْ وَأَزْهَرُ اسْمُهُ بِلاَ مُخَاتَلَهْ»
«وَالِدَتِي كَانَتْ مِنَ الزَّمَازِمَهْ قَوْمٌ دَرَى كُلُّ الْوَرَى مَكَارِمَهْ» (١)
كَانَا يُحِبَّانِي مِنْ دُونِ الْوَلَدْ مَحَبَّةً تَجَاوَزَتْ لِكُلِّ حَدْ
«فَرَبَّيَانِي فِي الرَّفَاهِ وَالدَّلاَلْ وَغَرَسَا فِيَّ أَحَاسِنَ الْخِصَالْ»
حَتَّى إِذَا أَتْمَمْتُ سَبْعًا كَامِلَهْ أُوتِيتُ نَفْسًا لِلْعُلُومِ قَابِلَهْ
وَفُقْتُ أَقْرَانِيَ فِي التَّعَلُّمِ وَقُلْتُ يَا نَفْسِ عَرَفْتِ فَاكْرُمِي
ثُمَّ قَرَأْتُ الطِّبَّ إِذْ رَأَيْتُهُ أَنْفَعَ عِلْمٍ لِلْوَرَى رَوَيْتُهُ
وَبَعْدَهُ قُلْتُ لِنَفْسِي نَاصِحَا إِسْعَيْ إِلَى أَمْرٍ يَكُونُ صَالِحَا
إِمَّا لِمَالٍ أَوْ لِحُسْنِ ذِكْرِ أَوْ لَذَّةٍ عَاجِلَةٍ أَوْ أَجْرِ
فَإِنَّمَا يَسْعَى الْفَتَى لِوَاحِدَهْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ لاَ لِزَائِدَهْ

---

(١) كان في الاصل :

وهو ابن شهم فارس المغوار وامه من اهل بيت النار

فقالت الطبُّ أجلُّ الأربعه ... إذ فيهِ علمٌ للورى ومنفعه
لا أبتغي بذاك إلا الآخره ... كي لا تكونَ صفقتي بخاسره
كبائعِ الجوهرةِ الجليله ... بقطعةٍ من خزفٍ مرذوله
وليسَ قصدي الأجرَ بالتطببِ ... بناقصي رزقي وإن لم أطلبِ
كزارعِ الغلّةِ يبغي عينها ... تنبتُ والعشبُ يكونُ بينها
فعندها عالجتُ كلَّ مدنفِ ... لم آلُ في الرفقِ وفي التلطفِ
«إن أستطعْ الازمِ العليلا ... ولو بقي في دائهِ طويلا»
«مركباً دواءهُ وصانعا ... لهُ بذاتي ما أراهُ نافعا»
«ولم يكنْ لي عن صنيعي بدلُ ... وإنما كنتُ لذاكَ أفعلُ»
للهِ لا للمالِ والثوابِ ... ولم أكنْ أغبطُ من أضرابي
إلا امرءاً ذا سيرةٍ جميلَه ... على التقى والخيرِ والفضيلَه
«وحينَ كنتُ أتمنّى حالَ من ... ساعدهمْ بالمالِ والجاهِ الزمنْ»
«كنتُ إلى نفسي أعودُ لائما ... معاتباً مغاضباً مخاصما»[1]
ألومها لأنها تمنّى ... من متعِ الدنيا قليلاً يفنى

(١) كان في الاصل عوض هذين البيتين :

فحين صرت لهم مغاضبا ... عدت لنفسي لائماً معاتبا

وَعَاجِلاً يَشْقَى بِهِ مَنْ يَمْلِكُهْ ثُمَّ يَمُوتُ عَاجِلاً وَيَتْرُكُهْ
إِسْعَيْ لِتِلْكَ ٱلدَّارِ وَٱطْلُبِيهَا وَطَلِّقِي هَذِي وَٱتْرُكِيهَا
فَإِنَّهَا خَدَّاعَةٌ غَرَّارَهْ مُخْلِفَةٌ وُعُودُهَا غَدَّارَهْ
مَا ٱخْتَارَهَا غَيْرُ غَبِيٍّ جَاهِلِ يَغُرُّهُ زُخْرُفُ هَذَا ٱلْعَاجِلِ
« فَقَدِّمِي ٱلْخَيْرَ وَلاَ تُسَوِّفِي فَإِنَّمَا ٱلتَّسْوِيفُ فِعْلُ ٱلْمُخْلِفِ »
وَإِنَّمَا جِسْمُكِ يَا هَذِي صَنَمْ لَوْ نُزِعَ ٱلْمِسْمَارُ مِنْهُ لَٱنْهَدَمْ
مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ ٱلطَّبَائِعِ مَلآنُ مِنْ أَخْلاَقِهِ ٱلْجَوَامِعِ
بِهَا وَإِنْ لَمْ تَعْلَمِي قِوَامُهُ وَمَنْ يُعَادِيهَا تُرَى أَسْقَامُهُ
وَإِنَّمَا حَيَاتُهُ ٱعْتِدَالُهَا وَمَوْتُهُ ٱلْمُقَدَّرُ ٱخْتِلاَلُهَا
لاَ تُفْتَنِي بِصُحْبَةِ ٱلْإِخْوَانِ فَمَا يَدُومُ فِي ٱلْوَرَى إِلْفَانِ
فَهُمْ هُمُومٌ وَبَلاَءٌ وَمِحَنْ ثُمَّ ٱلْوِفَاقُ بِٱلْفِرَاقِ مُرْتَهَنْ
وَإِنَّمَا ٱلْإِخَاءُ لِلْمُؤَاخِي كَأَنَّهُ مِغْرَفَةُ ٱلطَّبَّاخِ
يَقِي بِهَا حَرَّ ٱلطَّبِيخِ كَفَّهُ صَحِيحَةً إِذَا أَرَادَ غَرْفَهُ
حَتَّى إِذَا مَا دَهْرُهَا أَفْسَدَهَا وَأَصْبَحَتْ مَكْسُورَةً أَوْقَدَهَا
لاَ تَهْلِكِي وَيْكِ بِحُبِّ أَهْلِكِ فَتُصْبِحِي فِي ٱلْحَالِ كَٱلْعُودِ ٱلذَّكِي
يَلَذُّ مَنْ يَشْتَمُّ طِيبَ نَشْرِهِ وَجِسْمُهُ مُحْتَرِقٌ بِجَمْرِهِ

لَا تَبْطَرِي بِفَضْلِ جَاهٍ وَغِنَى — فَهْوَ وَإِنْ غَرَّ ٱلْجَهُولَ ٱلْأَرْعَنَا
«كَشَعَرِ ٱلرَّاسِ ٱلَّذِي خَدَمَهُ — صَاحِبُهُ وَجَهْدَهُ أَكْرَمَهُ»
«وَصَانَهُ مُطَيَّباً وَأَكْبَرَهْ — حَتَّى إِذَا أَلْقَاهُ عَنْهُ ٱسْتَقْذَرَهْ»(١)
فَوَاظِبِي عَلَى صَلَاحِ ٱلْمَرْضَى — وَلَا تَقُولِي قَوْلَةً لَا تُرْضَى
إِنَّ لَهُ مَؤُونَةً شَدِيدَهْ — وَعَنْهُ أَفْهَامُ ٱلْوَرَى بَلِيدَهْ
بَلِ ٱلْزَمِي حُسْنَ ٱلْعِلَاجِ حَسْبَهُ — تُفَرِّجِي عَنِ ٱلْعَلِيلِ كَرْبَهُ
فَإِنَّ مَنْ فَرَّجَ ضِيقَ كَرْبِ — نَالَ جَزِيلَ ٱلْأَجْرِ عِنْدَ ٱلرَّبِّ(٢)
«فَكَيْفَ مَنْ رَدَّ كُرُوباً جَمَّهْ — فَإِنَّهُ لَا بُدَّ يَلْقَى رَحْمَهْ»
لَاسِيَّمَا مَنْ رَدَّ طِيبَ ٱلْعَافِيَهْ — فَأَصْبَحَتْ بِهِ ٱلْحَيَاةُ صَافِيَهْ
«يَا نَفْسِ لَا تَبْعُدْ عَلَيْكِ ٱلْآخِرَهْ — وَتَزْهَدِي بِهَا لِحُبِّ ٱلْحَاضِرَهْ»

---

(١) كان الاصل هكذا :

كماشط ظلّ يربي شعره — حتى اذا القاه عنه قذره
وصانه مجتهداً واكبره — اذا مضى عنه وولّى حقّره

ولا يخفى ما فيهما من الخلل فان الناظم قد شبه الغني بالماشط وهو في الاصل مشبّه بالشعر

(٢) كان الاصل :

فانّ من فرّج عن مكروبه — نال جزيل الاجر والمثوبه

«لا تُهمِلي نيلَ الكثيرِ الآجلِ ... لِأجلِ تحصيلِ اليسيرِ العاجلِ»[1]
«كصاحبِ الصندلِ قالَ إنَّني ... إن بعتُ كلَّ صندلي بالوزنِ»
«طالَ المدى فباعَهُ جزافا ... فخسرتْ صفقتُهُ آلافا»[2]
فانصرفتْ نفسي إلى الصوابِ ... وجهدتُ في طلبِ الثوابِ
فنلتُ من فواضلِ الملوكِ ... ما لم يدرْ في أملِ الصعلوكِ
ثمَّ رأيتُ الطبَّ ليسَ يشفي ... من عللٍ مؤذيةٍ وحتفِ
وليسَ غيرُ الدينِ من دواءِ ... يشفي بهِ العاقلُ كلَّ داءِ
فاستصغرتْ نفسي أمرَ الطبِّ ... وصدفتْ عنهُ وقالتْ حسبي
وفحصتُ بحثاً عنِ الأديانِ ... وذاكَ أقصى مطلبِ الإنسانِ
فلمْ أجدْ عندَ الأطباءِ بهِ ... علماً ولا قصرتُ في مطلبِهِ
والناسُ من تفرقِ الأهواءِ ... في ليلةٍ مظلمةٍ ليلاءَ
ليسَ لليلِ جهلِهم صباحُ ... ولا لإفسادِهم صلاحُ
أكثرُهمْ مقلدٌ أباهُ ... فإنْ دعاهُ غيرُهُ أباهُ

---

(١) كان الاصل :
فلا تُشقي طمعاً في العاجله ... وتزهدي لحبها في الآجله
(٢) كان الاصل :
كصاحب الانجوح حين باعه ... غدا بلا وزن لقد اضاعه

وَبعضهم دِينهم إكراهُ ... وَبعضهم مغزاهُ منهُ الجاهُ
وَبعضهم يبغي بهِ الحطاما ... أوْأنْ يسوْدَ الهمجَ الطغاما
وَكلهم يزعمُ إنّي راشدُ ... وَكلُّ رأيٍ غيرُ رأيي فاسدُ
فما رأيتُ الحقَّ في الأديانِ ... أن أقبلَ الدعوى بلا برهانِ
فاغتدِي كالسارقِ المغرُورِ ... إذ غرهُ القومُ بقوْلِ الزُّورِ
حاوَلَ بيتَ تاجرٍ منتَبهِ ... فقالَ للزوْجةِ أحسستُ بهِ
فسائليني وَارفعي كلامكِ ... «عَنْ ثرْوَتي وَاكثري خصامكِ»[1]
«إذا امتنعتُ وَالحي في السؤالْ ... وَاستحلفيني كي أطيلَ في المقالْ»
قالتْ لهُ لتُسمعَ اللصوصا ... كيفَ غدوْتَ بالغنى مخصوصا
«قالَ لها قدْساقكِ الحظُّ إلى ... مالٍ كثيرٍ دافعٍ عنكِ البلا»
«تنعمي بهِ وَلا تسالي ... كيفَ جمعتُ ثرْوَتي وَمالي»
«إنّيَ لا آمنُ إنْ أجبتُكِ ... منْ سامعٍ يسمعُ ما أخبرتُكِ»
«قالتْ لهُ ماذا جوابٌ مقنعُ ... فليسَ في جوارِنا منْ يسمعُ»
«أجبْ إذا وَاسهبِ المقالا ... إنْ لمْ تجبْني توقعِ البلبالا»
جمعتَ هذا المالَ منْ أينَ وَبمْ ... فقالَ قوْلَ وَقحٍ لا يحتشمْ

(١) كان اصل هذا الشطر: من اين مالي وارفعي خصامك

إِنِّي كُنْتُ فِي شَبَابِي لِصًّا   بِرُقْيَةٍ أَعْرِفُهَا مُخْلِصَا
إِذَا رَأَيْتُ فِي ٱلْجِدَارِ رَوْزَنَهْ   يَدْخُلُ مِنْهَا ٱلضَّوْءُ وَهْيَ مُمْكِنَهْ
قُلْتُ وَقَدْ عَلِقْتُ بِٱلضَّوْءِ شَلَمْ   سَبْعًا وَأُلْقِي ٱلنَّفْسَ لَا أَخْشَى ٱلنَّدَمْ
ثُمَّ أَقُولُ ذَاكَ حِينَ أَصْعَدُ   وَلَا يَرَانِي أَحَدٌ فَأُقْصَدُ
فَظَنَّهُ ٱللِّصُّ يَقُولُ حَقَّا   وَقَالَ قَدْ كَفَانِيَ ٱلْأَشْقَا
وَبَادَرَ ٱلْكُوَّةَ ثُمَّ قَالَا   ذَاكَ ٱلْكَلَامَ ٱلْكَذِبَ ٱلْمُحَالَا
فَخَرَّ مِنْ وَقْعَتِهِ كَٱلْمَيْتِ   وَجَاءَهُ بِٱلسَّوْطِ رَبُّ ٱلْبَيْتِ
يَقُولُ مَنْ أَنْتَ وَمَا دَهَاكَا   فَقَالَ أَنْتَ فَضَّ رَبِّي فَاكَا
غَرَرْتَنِي بِٱلْقَوْلِ فَٱغْتَرَرْتُ   لَوْلَا ٱغْتِرَارِي بِكَ مَا طَفَرْتُ
فَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ مَا يُقَالُ   بِلَا دَلِيلٍ نَالَهُ ٱلْوَبَالُ
وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ ٱلتَّقْلِيدِ   لِعَدَمِ ٱلْمُحَدِّثِ ٱلرَّشِيدِ
وَإِنَّنِي لَمْ أَرَ فِي ٱلنَّاسِ ثِقَهْ   يُعْذَرُ فِي تَصْدِيقِهِ مَنْ صَدَّقَهْ
فَكَانَ تَقْلِيدُ أَبِي أَوْلَى بِي   فِي خَطَإِ ٱلرَّأْيِ وَفِي ٱلصَّوَابِ
كَوَارِثِ ٱلسِّحْرِ عَنِ ٱلْآبَاءِ   يُعْذَرُ فِي ذَاكَ بِلَا مِرَاءِ
وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ أَكُولًا شَرِهَا   فَقَالَ بَعْضٌ وَيْحَهُ مَا أَسْفَهَا
أَجَابَ ذَا أَكْلُ أَبِي وَجَدِّي   إِنَّ ٱتِّبَاعَ ٱلْأَبِ عَيْنُ ٱلرُّشْدِ

«ذَلِكَ عُذْرِي كَانَ فِي تَقْلِيدِي أَبِي وَهَذَا لَيْسَ بِالسَّدِيدِ»

«ثُمَّ وَجَدْتُ النَّفْسَ لَيْسَتْ تَسْكُتُ وَلَا عَلَى دِينِ الْجُدُودِ تَثْبُتُ»

«وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ حَقَائِقِ الدِّينِ وَلَوْ طَالَ الزَّمَنْ»

"حِينَئِذٍ فَكَّرْتُ فِي قُرْبِ الْأَجَلْ وَأَنَّهُ يَدْهَمُنِي بِلَا عِلَلْ"

"وَقُلْتُ قَدْ يُمْكِنُ أَنْ نُقْلَتِي حَانَتْ فَفَكَّرْتُ وَطَالَتْ فِكْرَتِي"

ثُمَّ إِلَى مَلَامَتِي رَجَعْتُ وَقُلْتُ يَا وَيْحِي مَا صَنَعْتُ

"شَغَلَنِي تَرَدُّدِي عَنْ بِرِّ يُمْكِنُ أَنْ أَعْمَلَهُ لِلْأَجْرِ"

ضَيَّعْتُ وَقْتِي وَحَمِيدَ فِعْلِي كَرَجُلٍ وَافَقَ ذَاتَ بَعْلِ (١)

"عَلَى مَبِيعِ كُلِّ مَا فِي الْبَيْتِ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ حَتَّى الزَّيْتِ"

"بِشَرْطِ أَنْ تُعْطِيَهُ نِصْفَ الثَّمَنْ فَلَمْ يَزَالَا رَدَحًا مِنَ الزَّمَنْ"

وَكَانَ كُلَّ لَيْلَةٍ يَزُورُهَا وَخَفِيَتْ عَنْ بَعْلِهَا أُمُورُهَا

وَفَكَّرَتْ فِي أَمْرِهَا بِعَقْلِهَا فَنَدِمَتْ وَأَشْفَقَتْ مِنْ فِعْلِهَا

قَالَتْ أَخَافُ فَأَعَدَّتْ سَرَبًا إِلَى طَرِيقٍ مُظْلِمٍ لِيَهْرُبَا

وَخَلَّتِ الْمِفْتَاحَ عِنْدَ الْجُبِّ عَلَامَةً ظَاهِرَةً لِلْحُبِّ

---

(١) في هذا المثل بعض تغيير احتاج اليه نقل الخبر من شيء الى آخر .

"بينَاهُما يجتمعَانِ مرّةْ أمتعةَ البيتِ بدونِ فكرَهْ"
إذْ أقبلَ الزوجُ فقالتْ للفتى بادِرْ فإنّي منهُ أخشى العنتا
أقصدْ مكانَ الجبِّ للمفتاحِ فإنّهُ ثَمّ منَ النواحي
"فنظرَ المفتاحَ دونَ الجبِّ فصاحَ مذ هو شاعدٌ بَمَ اللبّ" (١)
"وقالَ أينَ الجبُّ يا هذي فما أرى هنا شبيهَ جبٍّ فيهِما"
وظنَّ أنَّ الجبَّ كانَ قصدَها فوبخَتْهُ ثمَّ صكّتْ خدّها
وقالتِ المفتاحُ كانَ قصدي فخذْهُ واهربْ إنْ تكنْ ذا رشدِ
"فقالَ لِمْ ذكرتِ لي الجبَّ وما وجدتُهُ قالتْ دعِ التبرّما"
"أنجْ فقالَ لِمْ كذبتِ في المقالْ قالتْ إلى متى يكونُ ذا الجدالْ...."
فأقحمَ الزوجُ وقدْ حارَ الفتى فدقّهُ بالسوطِ حتى خفتا
ثمّ رأيتُ البحثَ لا يفيدُني ولا لعلمٍ نافعٍ يزيدُني
فقلتُ خذْ ما أجمعوا عليهِ وجنحوا كلُّهمُ إليهِ
تجنّبُ الشرِّ وحبُّ الخيرِ ونفعُ نفسي جاهداً وغيري
مُصْطفياً مكارمَ الأخلاقِ فإنّها منْ أنفسِ الأعلاقِ

(١) كان الاصل :

فلم يرَ الجبَّ كأنْ قد نقل فقام للحيرة مدهوشاً عجل

لَا أَقْتُلُ النَّفْسَ وَلَا أَبْغِي الْخَنَا — فَأَلْأَمُ الْعَالَمِ نَفْساً مَنْ زَنَى
وَأَكْتُمُ السِّرَّ وَأَحْمِي جَارِي — وَلَمْ أَقِفْ فِي مَوْقِفِ اعْتِذَارِ
وَأَصْدُقُ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتُهُمْ — وَأُنْجِزُ الْوَعْدَ إِذَا وَعَدْتُهُمْ
وَلَا أَخُونُ النَّاسَ إِنَّ الْخَائِنَا — مَنْ كَانَ فِي أَفْعَالِهِ مُدَاهِنَا
وَأَلْزَمُ الْأَفَاضِلَ الْخِيَارَا — وَأَتْرُكُ الْأَرَاذِلَ الشِّرَارَا
مِنْ غَيْرِ قَصْدِ أَحَدٍ بِسُوءِ — أَصْفَحُ مَا اسْتَطَعْتُ عَنْ عَدُوِّي
وَأَنْزِعُ الْكِبْرَ فَبِئْسَ الْبُرْدَهْ — وَأَجْعَلُ الْخَيْرَ لِنَفْسِي عُدَّهْ
وَأَلْزَمُ الصَّفَاءَ وَالْوَفَاءَ — وَأَحْفَظُ الْأَقْرَانَ وَالْأَكْفَاءَ
فَالْخَيْرُ لَا يَنْفَدُ بِالْإِنْفَاقِ — أَلْمَالُ فَانٍ وَالْحَدِيثُ بَاقِي (١)
«وَقَدْ وَجَدْتُ الْعِلْمَ وَالصَّلَاحَا — كُلًّا قَرِينًا مَنْ أَتَاهُ ارْتَاحَا»
«وَلَمْ أَجِدْ مَكْسَبَهُ عَسِيرَا — بَلْ هَيِّنًا مُسْتَسْهَلًا يَسِيرَا»
«وَجَدْتُهُ يَدُلُّنِي عَلَى الْخَيْرْ — وَمُبْعِداً عَنِّي ابْتِغَايَ لِلضَّيْرْ»
«يَكْثُرُ إِنْ أَنْفَقْ وَيَزْدَادُ وَلَا — يَخْلُقُ لَوْ طَالَ الزَّمَانُ وَابْتَلَى»
«عَلَيْهِ لَا خَوْفَ مِنَ السُّلْطَانِ — وَظُلْمِهِ مَعْ مِحَنِ الزَّمَانِ»

(١) كان بعد هذا البيت بيتان حذفتهما اذ لم اجد فيهما ما يجعل لها علاقة مع ما سبقها

« وَلاَ مِنَ ٱلْمِيَاهِ أَنْ تُغْرِقَهُ ... وَلاَ مِنَ ٱلنِّيرَانِ أَنْ تُحْرِقَهُ »
« وَلاَ مِنَ ٱللُّصُوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ ... وَلاَ مِنَ ٱلسِّبَاعِ أَنْ تُمَزِّقَهُ . »
وَإِنَّ مَنْ يَتْرُكُ مَا يَنْفَعُهُ ... مُشْتَغِلاً بِزُخْرُفٍ يَخْدَعُهُ
« مُضَيِّعاً أَيَّامَهُ بِٱلْبَاطِلِ ... فَفِعْلُهُ لاَ رَيْبَ فِعْلُ ٱلْجَاهِلِ »
كَتَاجِرٍ كَانَتْ لَهُ لآلِي ... رَائِقَةٌ نَفِيسَةٌ غَوَالِي
أَرَادَ أَنْ يَثْقُبَهَا فَٱسْتَأْجَرَا ... بِمِئَةٍ فِي ٱلْيَوْمِ طَبّاً مَاهِرَا
حَتَّى إِذَا صَارَا مَعاً فِي ٱلدَّارِ ... أَبْصَرَ صَنْجاً مُحْكَمَ ٱلْأَوْتَارِ
فَقَالَ لِلأَجِيرِ إِنْ كُنْتَ بِهِ ... ذَا خِبْرَةٍ فَسُرَّنِي بِضَرْبِهِ
فَشَغَلَ ٱلْيَوْمَ بِضَرْبِ ٱلصَّنْجِ ... وَلَمْ يَكُنْ لِنَفْعِهِ يُرَجِّي
« حَتَّى إِذَا جَاءَ ٱلْمَسَاءُ وَٱنْقَضَى ... نَهَارُهُ بِفِعْلِ مَا لاَ يُقْتَضَى »
قَالَ ٱلْأَجِيرُ هَاتِ زِنْ لِي ٱلْأُجْرَهْ ... فَإِنَّنِي فِي عَمَلٍ مُذْ بُكْرَهْ
« قَالَ لَهُ وَهَلْ عَمِلْتَ عَمَلاَ ... تَرْجُو بِهِ ٱلْأُجْرَةَ قَالَ كَيْفَ لاَ »
« أَنَا أَجِيرٌ وَفَعَلْتُ مَا قَدْ ... طَلَبْتَ زِنْ لِي أُجْرَتِي بِلاَ رَدْ »
فَوَزَنَ ٱلْأُجْرَةَ وَهُوَ صَاغِرُ ... كَذَاكَ لاَ شَكَّ يَكُونُ ٱلْخَاسِرُ .
« وَكُلَّمَا أَمْعَنْتُ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلنَّظَرْ ... رَأَيْتُ قَلْبِي رَاغِباً عَنْهَا نَفَرْ »

فَٱزْدَدْتُ زُهْداً فِي مَتَاعِ ٱلدُّنْيَا وَٱخْتَرْتُ فِي ٱلزُّهْدِ طَرِيقَ ٱلْعُلْيَا[١]
فَٱلزُّهْدُ لِلزُّهَّادِ فِي ٱلْمَعَادِ كَوَالِدٍ يَمْهَدُ لِلْأَوْلَادِ
وَجُنَّةٌ وَاقِيَةٌ مَنِيعَهْ وَجَنَّةٌ مُخْصِبَةٌ مَرِيعَهْ
بَابٌ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ مَفْتُوحْ وَقُرْبُهُ بِهِ ٱلنَّعِيمُ مَمْنُوحْ
وَٱلزَّاهِدُ ٱلْعَابِدُ رَاضٍ قَانِعُ جَذْلَانُ لَا تَغُمُّهُ ٱلْمَطَامِعُ
لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِذَا ٱهْتَمَّ ٱلْوَرَى غَدَا ٱلثَّرَاءُ عِنْدَهُ مِثْلَ ٱلثَّرَى
فَعَيْنُهُ نَائِمَةٌ قَرِيرَهْ وَنَفْسُهُ سَاكِنَةٌ مَسْرُورَهْ
قَدْ أَمِنَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً فَسَلِمْ وَتَرَكَ ٱلدُّنْيَا ٱخْتِيَاراً فَغَنِمْ
فَزَادَ حِرْصِي عِنْدَهَا فِي ٱلزُّهْدِ وَخِفْتُ أَنْ أَعْجِزَ دُونَ قَصْدِي
وَلَمْ أَثِقْ فِيهِ بِحُسْنِ صَبْرِي فَأَنْثَنِي عَنْهُ بِغَيْرِ عُذْرِ
«ثُمَّ أَكُونَ قَدْ تَرَكْتُ صُنْعَا مَا كُنْتُ أَرْجُو لِيَ مِنْهُ نَفْعَا»
«فَأَغْتَدِي إِذْ ذَاكَ مِنْ دُونِ ٱمْتِرَا[٢]» كَٱلْكَلْبِ إِذْ أَبْصَرَ يَوْماً نَهَرَا
وَكَانَ فِي فِيهِ عَظِيمٌ فَرَأَى فِي ٱلْمَاءِ ظِلَّ ٱلْعَظْمِ قَدْ تَلَأْلَأَ[٣]

---

(١) كان اصل البيت :
فازددت زهدا في متاع ادنى واخترت في الزهد طريقا حسنى
(٢) اصل هذا الشطر : مـذنبا في حالتي محيرا
(٣) وفي الاصل قد تصورا عوض قد تلألأ

فَظَنَّهُ عَظْماً فَأَلْقَى عَظْمَهُ   وَلَمْ يَنَلْ ذَاكَ فَأَبْدَى غَمَّهُ
ثُمَّ اعْتَرَتْنِي هَيْبَةٌ وَخِيفَهْ   مِنْ كُلَفِ التَّنَسُّكِ الْعَنِيفَهْ
فَقُلْتُ لَسْتُ تَارِكاً لِلطِّبِّ   فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَسْبِي
وَلَسْتُ مَا أَخْشَاهُ مِنْ تَبَرُّمِي   بِالنُّسْكِ لِلْعَجْزِ وَمِنْ تَلَوُّمِي
وَبَيْنَ مَا يَلْقَى مِنَ الآفَاتِ   فِي دَهْرِهِ الإِنْسَانُ وَالْعَاهَاتِ
رَأَيْتُ كُلَّ حَالَةٍ تَحُولُ   أَجَلْ وَكُلَّ ثَابِتٍ يَزُولُ
«وَإِنَّمَا الدُّنْيَا كَوِرْدٍ طَافِحِ   مَلآنَ مِنْ مَاءٍ نَقِيٍّ مَالِحِ»
«يَزْدَادُ مِنْهُ عَطَشاً وَكَرْبَا   وَارِدُهُ أَنْ زَادَ مِنْهُ الشُّرْبَا» (١)
«وَمِثْلِ عَظْمٍ فِيهِ رِيحُ لَحْمِ   يَنْهَشُهُ الْكَلْبُ إِلَى أَنْ يُدْمِي»
فَاهُ وَلَا يَنَالُ شَيْئاً دَسِمَا   بَلْ إِنَّهُ بِنَهْشِهِ أَدْمَى الْفَمَا (٢)
وَحِدَأَةٍ طَائِرَةٍ بِلَحْمِ   فَمَا تَزَالُ يَوْمَهَا فِي غَمِّ
لِكَثْرَةِ الطَّيْرِ الَّذِي يَبْغِيهَا   فَمِنْ حِذَارِ شَرِّهِمْ تُلْقِيهَا

---

(١) وكان في الاصل عوض هذين البيتين :

فانها كالح الموارد   يصدر عنه بقليل واقد
وكلما ازداد لذاك شربا   ازداد منه عطشاً وكربا

(٢) وعوض هذين :

والكلب اذ ينهش عظما دسما   لريحه حتى به يدمي الفما

وَٱلْعَسَلِ ٱلْمَسْمُومِ وَهُوَ حُلْوُ ... مَنْ ذَاقَهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ عُضْوُ
وَٱلنَّائِمِ ٱلْحَالِمِ فِي ٱلْمَنَامِ ... تُفْرِحُهُ ٱلْأَضْغَاثُ فِي ٱلْأَحْلَامِ
حَتَّى إِذَا ٱسْتَيْقَظَ زَالَ فَرَحُهْ ... وَزَادَ لَمَّا لَمْ يَجِدْهَا تَرَحُهْ
وَبَارِقٍ يَخْفُو وَيَخْفَى وَمْضُهُ ... وَٱلدُّودِ فِي ٱلْقَزِّ ٱلْبَطِيِّ نَهْضُهُ
يُهْلِكُ بِٱلْجُهْدِ ٱلشَّدِيدِ نَفْسَهُ ... كَجَاهِلٍ أَصْبَحَ يَبْنِي حَبْسَهُ
فَحِينَ فَكَّرْتُ رَأَيْتُ ٱلنُّسُكَا ... أَفْضَلَ شَيْءٍ وَتَرَكْتُ ٱلشَّكَّا
وَقُلْتُ يَا نَفْسُ إِلَامَ ٱلْهَرَبُ ... حَتَّامَ رَأْيٌ حَائِرٌ مُذَبْذَبُ
مِنْ مِحَنِ ٱلدُّنْيَا وَمِنْ آفَاتِهَا ... إِلَى ٱلتُّقَى وَٱلزُّهْدِ فِي لَذَّاتِهَا
إِلَامَ لَا أُبْرِمُ أَمْرًا جَزْمَا ... حَتَّامَ لَا أُلْقِي لِرَأْيٍ عَزْمَا
كَٱلْحَاكِمِ ٱلْجَاهِلِ بَيْنَ خَصْمَيْنْ ... قَضَى عَقِيبَ أَحَدِ ٱلْكَلَامَيْنْ
وَنَقَضَ ٱلْحُكْمَ بِقَوْلِ ٱلثَّانِي ... كَوَالِهٍ فِي شِدَّةٍ حَيْرَانِ
وَتَعَبُ ٱلنُّسْكِ يُفِيدُ رَاحَهْ ... نَفْسُ ٱللَّبِيبِ نَحْوَهَا مُرْتَاحَهْ
فِي جَنْبِهَا يَصْغُرُ مَكْرُوهُ ٱلتَّعَبْ ... وَلَذَّةٌ تُمْسِي إِلَى ٱلنَّارِ سَبَبْ
جَدِيرَةٌ بِتَرْكِهَا خَلِيقَهْ ... حَرِيَّةٌ بِنَبْذِهَا حَقِيقَهْ
يَا حَبَّذَا مَرَارَةٌ يَسِيرَهْ ... يَتْبَعُهَا حَلَاوَةٌ كَثِيرَهْ
لَا حَبَّذَا حَلَاوَةٌ مُعَارَهْ ... لَذَّتُهَا تُفْضِي إِلَى مَرَارَهْ

لَوْ قِيلَ لِلْعَاقِلِ عِشْ أَلْفَ سَنَةْ تَلْقَى بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِزْمِنَةْ
وَضَرْبَةً عَلَى ٱلدِّمَاغِ مُثْخِنَةْ ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَهَا فِي أَمَنَةْ
مِنْ كُلِّ خَطْبٍ وَبَلَاءٍ سَالِمَا تَبْقَى كَمَا تَهْوَى بَقَاءً دَائِمَا
لَاخْتَارَ ذَاكَ طَائِعًا لَا كَارِهَا لِمَا رَجَا وَاحْتَمَلَ ٱلْمَكَارِهَا
فَصَبْرُ أَيَّامٍ عَلَى بُؤْسِ ٱلْوَرَعْ وَٱلزُّهْدُ أَوْلَى بِٱلْفَتَى مِنَ ٱلْخُدَعْ
لَاسِيَّمَا وَٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا عَرَضْ لِكُلِّ خَطْبٍ وَشَقَاءٍ وَمَرَضْ
لَمْ يَنْجُ مِنْ وَقْعِ ٱلْبَلَايَا أَحَدُ يَلْقَى ٱلْفَتَى ٱلْمَكْرُوهَ مُنْذُ يُولَدُ(١)
وَإِنَّهُ لِلْغَمِّ مُسْتَكِينُ مُذْ هُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ جَنِينُ
كَأَنَّهُ مُقَيَّدٌ مَقْمُوطُ مُشَدَّدٌ فِي صُرَّةٍ مَضْغُوطُ
مُنَكَّسٌ كَأَنَّهُ حَزِينُ مُكْتَئِبٌ لَوْ أَنَّهُ يُبِينُ
جَبِينُهُ مُلْقًى عَلَى يَدَيْهِ وَذَقْنُهُ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ
أَنْفَاسُهُ تَخْرُجُ بِٱلْمَشَقَّهْ تَضُمُّهُ مَشِيمَةٌ كَٱلشُّقَّهْ
فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ وَضِيقِ حَتَّى إِذَا يُسِّرَ لِلطَّرِيقِ
وَعَادَ بَعْدَ ضَعْفِهِ قَوِيَّا خَلْقًا صَحِيحًا كَامِلًا سَوِيَّا

---

(١) حذفت بعض ابيات مما يلي في ايضاح بعض ما هو الجنين وكيفية وجوده

دَامَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الضِّيقِ فَرَجْ   فَلَمْ يَزَلْ مُضْطَرِبًا حَتَّى خَرَجْ
كَأَنَّهُ مِنْ جِلْدِهِ مَسْلُوخُ   يُولِمُهُ النَّسِيمُ وَالتَّمْرِيخُ
لَا يَطْلُبُ الطُّعْمَ إِذَا مَا جَاعَا   ضَعْفًا وَلَا يَشْكُو لَهُ الْأَوْجَاعَا
مَا دَامَ فِي رِضَاعِهِ مُعَذَّبَا   مُحَرَّكًا بِرَغْمِهِ مُقَلَّبَا
وَبَعْدَ ذَاكَ قَسْوَةُ الْمُؤَدِّبِ   مُعَذَّبًا نَهَارَهُ فِي الْمَكْتَبِ
ثُمَّ عَذَابُ السُّقْمِ وَالْأَدْوَاءِ   وَمِحَنُ الْحِمْيَةِ وَالدَّوَاءِ
حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ ظَلَّ طَالِبَا   لِلْمَالِ وَالْأَهْلِ حَرِيصًا كَاسِبَا
مُخَاطِرًا فِي كَسْبِهِ بِنَفْسِهِ   مُجْتَهِدًا لِضِرْسِهِ وَعِرْسِهِ
وَمَعَهُ الْأَرْبَعَةُ الْأَعْدَاءُ   الدَّمُ وَالصَّفْرَاءُ وَالسَّوْدَاءُ
وَالْبَلْغَمُ الْغَلِيظُ وَالرِّيحُ مَعَا   وَالسُّمُّ مِنْ ذِي حُمَةٍ إِنْ لَسَعَا
وَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَرِيحٌ وَمَطَرْ   وَالنَّاسُ وَالسِّبَاعُ وَالنَّاسُ أَشَرْ
حَتَّى إِذَا مَا عَدِمَ الشَّبَابَا   عَايَنَ فِي مَشِيبِهِ الْعَذَابَا
وَلَوْ نَجَا مِنْ هَوْلِ هَذَا كُلِّهِ   كَفَاهُ ذِكْرُ الْمَوْتِ عِنْدَ حَلِّهِ
وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ وَالْأَوْلَادِ   وَالْهَوْلُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ
كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُعَدَّ عَاجِزَا   إِنْ لَمْ يَرُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَاجِزَا
وَيَرْفُضِ اللَّذَّاتِ كُلَّ رَفْضِ   وَيُبْغِضِ الدُّنْيَا أَشَدَّ بُغْضِ

لا سيما في عصرنا المذموم ... الكدر المشوب بالهموم
فإننا قد نجد الزمانا ... في كل أرض عدم الإحسانا
وفقد الصدق به حتى عدم ... فمن تعاطى البر والخير ندم
أصبح كل ضائر موجودا ... فيه وكل نافع مفقودا
فالخير جاث قد ذوت أغصانه ... والشر نام قد زكت أفنانه
والرشد باك والضلال ضاحك ... والجور ناج والصواب هالك
واللؤم أقوى شوكة من الكرم ... والود ما بين الورى قد انصرم
فوصل الأراذل الأغمار ... وخص بالكرامة الأشرار
إستيقظ الغدر وقد نام الوفا ... وفقد الصدق وإخوان الصفا
وأثمر الكذب فأضحى ناميا ... وقحل الصدق فأمسى ذاويا
وظهر الجور بدثر العدل ... وضيع الحكم وكل فضل
وآذن المظلوم للخسف وقد ... قاد الهوى كل الورى عن الرشد
وأصبح الظالم مستطيلا ... وفغر الحرص فما أكولا
من بعد ما عاد الحجى مجهولا ... والشر قد سامى السماء طولا
وود أهل البر لو قد دفنوا ... في بطن هذه الأرض مما امتحنوا
وفقدت من الورى المروه ... وأضحت الدناة ذات قوه

وَآثَرَ السُّلْطَانُ أَهْلَ النَّقْصِ وَعَادَتِ الآثَامُ ذَاتَ رَقْصِ
تَقُولُ قَدْ غُيِّبَتِ الْخَيْرَاتُ وَظَهَرَتْ فِي الْعَالَمِ السُّوءَاتُ
لَمَّا رَأَيْتَ شَرَفَ الإِنْسَانِ وَهُوَ مِنَ الأَيَّامِ فِي امْتِحَانِ (١)
«عَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ الْعَجَبِ وَقُلْتُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ سَبَبِ»
«إِذْ لَيْسَ ذُو عَقْلٍ وَلَا يَحْتَالُ كَيْ لَا يَنَالَ نَفْسَهُ الْوَبَالُ»
«وَبَعْدَ جَهْدِ النَّفْسِ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ أَمْرِ هَذَا السَّبَبِ الْغَرِيبِ»
وَجَدْتُ ذَاكَ لَذَّةً حَقِيرَهْ يَتْرُكُ فِيهَا نَفْسَهُ أَسِيرَهْ
«يَنَالُهَا مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَذَاكَ لَا شَكَّ هَلَاكُ النَّفْسِ
«إِذْ إِنَّهَا تَشْغَلُ كُلَّ حِسِّهِ فَيَتَوَانَى فِي خَلَاصِ نَفْسِهِ»
كَرَجُلٍ مَرَّ لِخَوْفٍ وَانْهَزَمْ حَتَّى أَتَى جُبًّا رَجَاهُ مُعْتَصَمْ
فَحِينَ دَلَّى نَازِلًا رِجْلَيْهِ أَعْلَقَ غُصْنَيْ دَوْحَةٍ يَدَيْهِ
مُعْتَمِدًا فِيهَا عَلَى حَيَّاتِ كَرَائِهِ الْمَنْظَرِ هَائِلَاتِ
فَاغِرَةٍ أَفْوَاهَهَا إِلَيْهِ كَاشِرَةٍ أَنْيَابَهَا عَلَيْهِ

---

(١) بعد هذا بيت حذفته لعدم الرابط بين سابقه وبينه او بينه وبين اللاحق وهو:

يعرف مني الصدق كل عاقل وليس في خلاصه بعامل

وَجرذان يقرضان الغصنين ... من أبيض وأسود مجدين

وأسفل البئر رأى تنينا ... فأبصر الموت به يقينا

ثم رأى شهدا فذاق طعمه ... وصار من دون المهم همه

ونسي الآفات والمتالفا ... وكل ما قد كان منه خائفا

فالجب كالدنيا وغصناه الأجل ... والجرذان ابنا سمير في المثل

والأربع الحيات كالطبائع ... والعب في أخلاطها الجوامع

وذلك التنين مثل العاقبه ... وإنها لهلكه مراقبه

والشهد كاللذات والآمال ... تشغله عن واجب الأشغال

فساقني إلى الرضى بحالي ... لأصلح الفاسد من أعمالي

منتظرا بعد دليلا هاديا ... وصاحبا فيما بهم كافيا

« وقد رحلت لبلاد الهند ... وطلب الدواء كان قصدي »

« منها رجعت وإليها سرت ... ثانية إذ إنني أمرت »

ثم انتسخت كتب السداد ... لما توجهت إلى بلادي

بَابُ

الأَسدِ وَالثَّورِ

وَهُوَ مَثَلُ الرَّجُلَيْنِ الْمُتَحَابِّينَ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْوُشَاةُ الْخَوَنَةُ وَيَحْمِلُونَهُمَا عَلَى الْعَدَاوَةِ

قَالَ كَبِيرُ الْهِنْدِ وَهُوَ دَيْشَلَمْ[1] لِلْفَيْلَسُوفِ أَنْتَ فِي الْعِلْمِ عَلَمْ
فَاضْرِبْ لَنَا الأَمْثَالَ فِي الإِخْوَانِ تُفْسِدُهُمْ سِعَايَةُ الْخَوَّانِ
حَتَّى يَعُودَ وُدُّهُمْ عَدَاوَهْ مَرَارَةً تَحْدُثُ مِنْ حَلاَوَهْ
فَقَالَ فِي ذَاكَ الْحَكِيمُ بَيْدَبَا مُنَقِّحًا أَمْثَالَهُ مُهَذِّبَا
قَدْ يَقْطَعُ الْوُشَاةُ حَبْلَ الْوَصْلِ بَيْنَ الْخَلِيلَيْنِ بِغَيْرِ أَصْلِ
أَضْرِبُ فِي ذَلِكَ لِلنَّاسِ مَثَلْ بِتَاجِرٍ لاَمَ بَنِيهِ وَعَذَلْ
فِي تَرْكِهِمْ صَلاَحَهُمْ وَصُنْعَهُمْ مَا لاَ يَعُودُ أَبَدًا بِنَفْعِهِمْ
«قَالَ لَهُمْ وَهُوَ تَقِيٌّ صَالِحُ أَلاَ اسْمَعُوا بَنِيَّ إِنِّي نَاصِحُ»

(١) اي دبشليم وقد سماه كذا في سائر الكتاب . اما بيدبا فقد سماه ديدبا و بيدبا فاثبته بيدبا لاعتقادي ان الاختلاف من اغلاط النسخ .

مَقَاصِدُ الْعَاقِلِ مِنْ دُنْيَاهُ مَالٌ وَزَادٌ لِلرَّدَى وَجَاهُ
وَإِنَّمَا يُدْرِكُهَا بِأَرْبَعَهْ كَسْبِ حَلاَلٍ وَابْتِغَاءِ مَنْفَعَهْ
بِكَثْرَةِ الْإِنْمَاءِ وَالتَّثْمِيرِ وَالْقَصْدِ فِي الْإِنْفَاقِ وَالتَّدْبِيرِ
لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخِلِّهِ ذَلِكَ زَادُ بَعْثِهِ مِنْ حِلِّهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِفَقْرِهِ بِمُكْتَسِبْ فَإِنَّهُ كَمَثَلِ مَيْتٍ قَدْ عَطِبْ
أَوْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا اكْتِسَابِ فَأَنْفَقَ الْمَالَ بِلاَ حِسَابِ
أَوْشَكَ أَنْ يَبْقَى بِغَيْرِ مَالِ فَالْكُحْلُ لاَ يَبْقَى عَلَى الْأَمْيَالِ
أَوْ لَمْ يُصِبْ مَوَاضِعَ الْإِنْفَاقِ فَلَيْسَ فِي النَّاسِ بِذِي خَلاَقِ
وَإِنْ غَدَا مُقَتِّرًا بَخِيلاَ كَيْ لاَ يَكُونَ عَائِلاً مُعِيلاَ
فَهْوَ عَلَى غِنَاهُ كَالْفَقِيرِ وَمَالُهُ كَالْمَاءِ فِي الْغَدِيرِ
يَسِيلُ مِنْ جَمَاعَةِ النَّوَاحِي فِي غَيْرِ مَا نَفْعٍ وَلاَ صَلاَحِ
وَرُبَّمَا صَارَ كَبِيرًا فَانْدَفَقْ أَوْ عَادَ فِي شَاطِئِهِ بِثَقْبٍ فَانْبَثَقْ
كَذَاكَ مَنْ لاَ يُنْفِقُ الْأَمْوَالاَ فِي حَقِّهَا إِذْ أَضْرِبُ الْأَمْثَالاَ
يَجْمَعُهَا لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثِ أَوْ طَارِقٍ مِنَ اللَّيَالِي كَارِثِ
فَاتَّعَظُوا بِقَوْلِهِ وَارْتَدَعُوا ثُمَّ إِلَى رِضَاهُ جَمْعًا رَجَعُوا
وَاتَّجَهَ الْأَكْبَرُ لِلتِّجَارَهْ فَسَاقَ ثَوْرَيْنِ مَعَ السَّيَّارَهْ

بِعجلٍ محكمةٍ مضبّبهْ   وأسماهما بندبةٌ وشتربهْ (١)
فاجتاز إذ مرّ بوحلٍ في سبخْ   فغاص فيه ثورهُ حتى رسخْ
حتى إذا أخرجهُ من الخبثْ   قصّر عن أصحابه وما انبعثْ
فسار عنهُ راحلاً ووكّلا   بهِ من الصحب خؤوناً وكِلا
فلم يقم عليهِ ذاك الرجلْ   كذلك الوغد الخؤون يفعلُ
« بل ترك الثور وجاء صاحبهْ   وقال قمتُ بالفروض الواجبهْ »
« لكنّما الإنسانُ لا يغنيهِ   شيءٌ ولا اجتهادهُ يقيهِ »
« إذا انقضت مدّتهُ وانصرمتْ   ومنهُ أسباب المنايا اقتربتْ »
« كرجلٍ قد سار وسط باديهْ   وحوشها كاسرةٌ وضاريهْ »
« وبعد أن سار قليلاً صادفا   ذئباً فعاد منهُ يجري خائفا »
« ملتفتاً ليمنةٍ ويسرهْ   لعلّهُ ينجو ويكفى شرّهْ »
« فلمح القرية من بعيدِ   فأمّها يركض كالطريدِ »
« فصدّهُ نهرٌ سريعٌ يزخرُ   وليس فوق الماء جسرٌ يعبرُ »
« في الحال ألقى نفسهُ لم يقفِ   فكاد يلقى الحتف لو لم يسعفِ »

---

(١) كان الاصل :
بندبةٍ قد سماها وشتربه   بعجل محكمةٍ مضبيه

«حِينَئِذٍ بِجَانِبِ ٱلْوَادِي نَظَرْ يَبْتًا فَلَمَّا جَاءَهُ أَلْفَى ٱلْخَطَرْ»
«رَأَى لُصُوصًا قَتَلُوا ذَا مَالِ وَٱجْتَمَعُوا لِقِسْمَةِ ٱلْأَثْقَالِ»
«فَخَافَ مِنْهُمْ وَمَضَى حَيْرَانَا يَسْأَلُ أَيْنَ يَجِدُ ٱلْأَمَانَا»
«وَمَرَّ حَتَّى بَلَغَ ٱلْأَبْيَاتَا وَثَمَّ سَدَّ جُوعَهُ وَٱقْتَاتَا»
«وَنَامَ تَحْتَ حَائِطٍ وَبَاتَا هَوَى ٱلْجِدَارُ فَوْقَهُ فَمَاتَا»
«فَقَالَ رَبُّ ٱلثَّوْرِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمِثَالَ وَبِهِ ٱقْتَنَعْتُ»
وَٱنْطَلَقَ ٱلثَّوْرُ فَأَلْفَى مَرْجَا بِهِ حَيَاةُ مِثْلِهِ تُرْجَى
مَرْعًى كَمَا يَخْتَارُهُ وَمَوْرِدُ فَقَالَ هٰذَا لَا سِوَاهُ أَقْصِدُ
وَظَلَّ فِيهِ بُرْهَةً فَسَمِنَا وَصَالَ وَٱشْتَطَّ وَكَانَ زَمِنَا
فَخَارَ وَٱلثَّوْرُ يَخُورُ أَبَدَا فَرَاعَ فِي قُرْبِ ٱلْمَكَانِ أَسَدَا
إِسْتَخْدَمَ ٱلْوُحُوشَ وَٱلسِّبَاعَا وَعَادَ فِيهَا مَلِكًا مُطَاعَا
لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعِ ٱلْخُوَارَا قَبْلُ فَخَارَ خِيفَةً وَحَارَا
ثُمَّ أَقَامَ مُدَّةً مَكَانَهُ تَجَلُّدًا غَرَّ بِهِ أَعْوَانَهُ
وَكَانَ فِي عَسْكَرِهِ وَجُنْدِهِ خِلَّانِ كُلٌّ مُخْلِصٌ فِي وِدِّهِ
كَٱلْأَخَوَيْنِ وَهُمَا ٱبْنَا آوَى قَدْ أَحْرَزَا فِي كُلِّ فَضْلٍ شَأْوَا
وَٱسْمَاهُمَا كَلِيلَةٌ وَدِمْنَهْ كِلَاهُمَا ذُو أَدَبٍ وَفِطْنَهْ

وَدِمْنَةُ ٱلْأَدْهَى بِغَيْرِ شَكِّ ... بِكَيْدِهِ يُفْرِجُ كُلَّ ضَنْكِ
لَكِنَّهُ أَدْنَاهُمَا وَأَشَرُّهْ ... لَا يَأْمَنُ ٱلنَّاسُ جَمِيعاً شَرَّهْ
فَقَالَ وَٱسْتَعْجَلَ يَا كَلِيلَهْ ... أَرَى ٱلْهُمَامَ نَفْسَهُ ثَقِيلَهْ
وَقَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدِ ... فَلَيْسَ بِٱلْغَادِي وَلَا بِٱلصَّائِدِ
فَقَالَ لَا تَعْنَ بِمَا لَا يَعْنِيكْ ... وَلَا يَبِنْ هَذَا ٱلْكَلَامُ مِنْ فِيكْ
«نَحْنُ عَلَى بَابِ ٱلْمَلِيكِ شَأْنُنَا ... حُبُّ ٱلَّذِي هَوِيَهُ وَبُغْضُ مَاشَنَا»
«لَسْنَا مِنَ ٱلْمَرْتَبَةِ ٱلَّتِي يَنَالْ ... أَمْرَ ٱلْمُلُوكِ أَهْلُهَا بِلَا مُحَالْ»
«فَدَعْ إِذًا أَمْرَ ٱلْمُصُورِ عَنْكَا ... إِنْ لَمْ تَدَعْهُ عَنْكَ تَلْقَ ضَنْكَا»
وَلَا تَكُنْ كَٱلْقِرْدِ لَمَّا سَلَكَا ... غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْعُقَلَا فَهَلَكَا
كَذَاكَ مَنْ يَأْخُذُ غَيْرَ شَانِهْ ... يَرْدَى وَلَا يَسْلَمُ مِنْ زَمَانِهْ
قَالَ لَهُ وَكَيْفَ حَالُ ٱلْقِرْدِ ... أَوْضِحْهُ لِي يَا سَيِّدِي وَأَبْدِ
قَالَ رَأَى لِحِينِهِ نَجَّارَا ... يَشُقُّ عُودَ خَشَبٍ نُضَارَا
« وَكُلَّمَا شَقَّ ذِرَاعاً أَدْخَلَا ... فِي ٱلشَّقِّ مِنْهُ وَتَدًا مُعَجَّلَا »
فَرَامَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ ... وَلَمْ يَكُنْ أَحْكَمَهُ لِجَهْلِهِ
فَٱشْتَغَلَ ٱلنَّجَّارُ عَنْهُ وَلَهَا ... فَرَكِبَ ٱلْقِرْدُ ٱلْمَكَانَ سَفَهَا
« وَجَعَلَ ٱلْوَجْهَ لِجَانِبِ ٱلْوَتَدْ ... وَإِنَّهُ نَزَعَهُ بِلَا رَشَدْ »

وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَا قَدْرُ ٱلْوَتَدْ   فَحَصَلَ ٱلذَّنَبُ حِينَمَا صَعَدْ
فِي ٱلشَّقِّ فَٱنْضَمَّتْ عَلَيْهِ ٱلْخَشَبَهْ   وَجَاءَهُ صَاحِبُهَا فَضَرَبَهْ ٠
• فَقَالَ مَا كُلُّ ٱلرِّجَالِ يَخْدُمُ   سُلْطَانَهُ لِلْقُوتِ أَنْتَ أَعْلَمُ» (١)
لَكِنْ لِجَاهٍ يُرْغِمُ ٱلْأَعَادِي   بِٱلضُّرِّ أَوْ لِنَفْعِ ذِي ٱلْوِدَادِ
وَٱلْمَالُ مَقْصُودٌ لَدَى ٱللِّئَامِ   كَٱلْكَلْبِ إِذْ يَقْنَعُ بِٱلْعِظَامِ
وَٱلْفَاضِلُ ٱلْكَامِلُ مِثْلُ ٱلْأَسَدِ   يَسْمُو إِلَى ٱلْقَدْرِ ٱلْبَعِيدِ ٱلْأَمَدِ
إِذَا تَرَاءَى مِسْحَلٌ أَرَادَهْ   قَصْدًا وَخَلَّى كُلَّ صَيْدٍ صَادَهْ
وَٱلْكَلْبُ يُرْضِي نَفْسَهُ بِكِسْرَهْ   وَٱلْفِيلُ لَا يَرْجُو ٱلْغُلَامُ كَسْرَهْ
بِعَلَفٍ يُطْعِمُهُ وَإِنَّمَا   يَمْسَحُهُ بِكَفِّهِ مُعَظِّمَا
إِنَّ ٱلْفَتَى إِذَا غَدَا جَلِيلَا   كَانَ قَصِيرُ عُمْرِهِ طَوِيلَا
وَٱلْخَامِلُ ٱلْمُضْطَهَدُ ٱلْمَغْمُوزُ   فِيهَا طَوِيلُ عُمْرِهِ قَصِيرُ
وَٱلْبَائِسُ ٱلْمِسْكِينُ مَنْ لَمْ يُؤْمَلِ   بَلْ هُوَ مِثْلُ ٱلسَّارِحَاتِ ٱلْهُمَّلِ
يَسْعَى لِمِلْءِ بَطْنِهِ لَا غَيْرِهِ   لَا يَطْمَعُ ٱلدَّهْرَ ٱمْرُؤٌ فِي خَيْرِهِ
قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ ٱلرَّشِيدُ   فَهِمْتُ مِنْ قَوْلِكَ مَا تُرِيدُ

(١) كان الاصل :
فقال ما كل الرجال السلطان   يخدم للقوت فذاك خلآن ٠

لَكِنْ لِكُلٍّ مَوْضِعٌ وَمَنْزِلَهْ   يَرْضَى بِهَا ذُو الْكَيْسِ دُونَ ذِي الْبَلَهْ
لَاسِيَّمَا وَفِيَّ لَهُ مُسَالَمَهْ   وَحَالُهُ بِحِفْظِهَا مُنْتَظِمَهْ
وَحَالُنَا مَرْضِيَّةٌ مَحْمُودَهْ   وَنَحْنُ فِي مَنْزِلَةٍ مَحْسُودَهْ
« ثُمَّ لِكُلٍّ رُتْبَةٌ مُقَرَّرَهْ   عَلَيْهِ مُنْذُ خَلْقِهِ مُقَدَّرَهْ »
« فَمَا لَهُ إِلَّا الرِّضَى بِحَالِهْ   مِنْ جِسْمِهِ وَعِزِّهِ وَمَالِهْ »
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنَّ الْمَاجِدَا   يَسْمُو إِلَى أَعْلَى الْأُمُورِ صَاعِدَا
« أَمَّا اللَّئِيمُ فَهْوَ كُلَّ يَوْمِ   يَحُطُّ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْقَوْمِ »
« وَالْحَطُّ مِنْ أَوْجِ الْعُلَى يَسِيرُ   أَمَّا ارْتِقَاءُ الْمَجْدِ فَعَسِيرُ »[1]
أَلَسْتَ تَدْرِي أَنَّ طَرْحَ الْحَجَرِ   أَسْهَلُ مِنْ إِصْعَادِهِ لَا تَمْتَرِ
قَالَ فَمَا عَزْمُكَ قَالَ سَاعِدِ   لَا خَيْرَ فِي كَفٍّ بِغَيْرِ سَاعِدِ
لِأَطْلُبَ الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَهْ   وَأَسْحَرَ الْهُمَامَ بِالْخَدِيعَهْ
شَخْصٌ عَظِيمٌ مِلْءُ عَيْنِ النَّاظِرِ   لَكِنَّهُ غِمْرٌ ضَعِيفُ الْخَاطِرِ
قَالَ وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَا   قَالَ بِرَأْيِي لَسْتُ فِيهِ آفِكَا
قَالَ فَمَا أَنْتَ مِنَ الْأَعْوَانِ   فَكَيْفَ تَرْجُو خِدْمَةَ السُّلْطَانِ

---

(١) كان الاصل :
كما الذي في كل يوم يستفل   وذاك سهل وشديد ان يعل

فَقَالَ لِي رَأْيٌ وَعَقْلٌ وَأَدَبْ ... وَهَنَّ لِي إِلَى الَّتِي أَبْغِي سَبَبْ
إِنَّ الشَّدِيدَ يَحْمِلُ الأَثْقَالاَ ... وَالْكَسْبُ لَيْسَ يُعْجِزُ الْمُحْتَالاَ
مَا عَاقِلٌ فِي بَلَدٍ غَرِيبَا ... مِنْ لاَيْنَ النَّاسَ غَدَا حَبِيبَا
قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ السُّلْطَانُ ... إِنْعَامُهُ الْمَقْسُومُ وَالإِحْسَانُ
لَيْسَ بِقَدْرِ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ... بَلْ هُوَ لِلأَدْنَى مِنَ الرِّجَالِ (١)
كَالْكَرْمِ لاَيَلْزَمُ إِلاَّ مَاقَرُبْ ... مِنْهُ سِوَ الأَمْرَ حَمْلاً أَمْ عَذُبْ (٢)
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنَّمَا دَنَوا ... مِنْهُ وَفَازُوا بِالثَّرَاءِ وَاقْتَنَوا
بِالنُّصْحِ وَالْخِدْمَةِ وَالْمُلاَزَمَهْ ... وَلِي عَلَى ذَلِكَ نَفْسٌ عَازِمَهْ
فَقَلَّ مَنْ لاَزَمَ ذَاكَ وَاحْتَمَلْ ... فِيمَا يُرَجِّيهِ الأَذَى إِلاَّ وَصَلْ
قَالَ لَهُ هَبْكَ وَصَلْتَ بَابَهْ ... وَلَمْ تَخَفْ إِذْ جِئْتَهُ حُجَّابَهْ
فَمَا الَّذِي تَسْمُو إِلَى الْحَظِّ بِهِ ... قَالَ مَقَالَ عَاقِلٍ مُنْتَبِهِ
إِذَا عَرَفْتُ طَبْعَهُ وَخُلْقَهُ ... وَرِفْقَهُ فِي أَمْرِهِ وَخُرْقَهُ
تَبِعْتُ فِي مَشُورَتِي هَوَاهُ ... مُتَّبِعًا بِغِشِّهِ رِضَاهُ

---

(١) كان الاصل :
ليس بقدر الفضل والكمال ... يخلص للادنى من الرجال
(٢) كان الاصل : منه وان طاب جناه وعذب

أَوْ نَاصِحًا فِيمَا يَعِنُّ صَادِقَا　مُطَابِقًا لِعَزْمِهِ مُوَافِقَا
أَصْرِفُهُ عَنْ كُلِّ مَا يَضُرُّهُ　إِلَى الَّذِي مِنْ أَمْرِهِ يَسُرُّهُ
مُبَالِغًا فِي الْقَوْلِ وَالتَّلَطُّفِ　لاَ قَائِلاً قَوْلَ الْعَنِيفِ الْمُسْرِفِ
حِينَئِذٍ يَخْتَصُّنِي لِنَفْسِهِ　مِنْ دُونِ أَهْلِ نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ
قَالَ لَهُ احْذَرْ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ　فَلَيْسَ مَوْلاَهُ عَلَى أَمَانِ
قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ　ثَلَثَةٌ تُفْرِقُ أَهْلَ الْحَزْمِ
فَصُحْبَةُ الْمَلْكِ وَشُرْبُ السُّمِّ　ثُمَّ ائْتِمَانُ الْغَانِيَاتِ الْمُعْمِي
فَلَيْسَ يَنْجُو وَاحِدٌ مِنْ شَرِّهَا　وَلاَ يَكُونُ آمِنًا مِنْ ضَرِّهَا
وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ مِثْلُ الْجَبَلِ　وَهْوَ بِأَنْوَاعِ الثِّمَارِ مُمْتَلِي
«لَكِنَّهُ مَحَلَّةُ الأَذْبَابِ　وَمَعْدِنُ السِّبَاعِ وَالذِّئَابِ»(١)
«فَالارْتِقَا إِلَيْهِ صَعْبٌ وَالْمُقَامْ　فِيهِ أَشَدُّ خَطَرًا مِنَ الصِّدَامْ»
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ مَنْ خَافَ الأَجَلْ　لَمْ يُدْرِكِ الْحَظَّ وَلَمْ يَحْوِ الأَمَلْ
وَإِنَّمَا الْمَغْنَمُ لِلْمُغَامِرِ　وَالرِّبْحُ فِي الْمَتْجَرِ لِلْمُسَافِرِ
أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ ثَلَثَهْ　لاَ تَسْتَطِيعُ الدَّهْرَ بِالدَّنَاءَهْ

---

(١) كان الاصل :
لكنها محمية من راع　لخوف ما فيها من السباع .

تجارةُ البحرِ وفي ذاكَ خطرْ "والحربُ من يهجم ينل فيها الظفر"(١)
وعملُ السلطانِ صعبٌ جداً إلاّ إذا رُزِقتَ فيهِ جدّاً
فليكنِ الحرُّ مع الملوكِ أو ناسكاً في موضعٍ متروكِ
كالفيلِ إمّا مركبُ السلطانِ أو في مكانٍ ليسَ ذا مكانِ
دعا لهُ حينئذٍ كليلهْ بالنصرِ والتوفيقِ عندَ الحيلهْ
فجاءَ يبغي الملكِ المحيّا فقالَ من ذلكَ لمّا اقتربا
قالوا فلانُ بنُ فلانٍ ينسبُ فقالَ قد كانَ أبوهُ يقربُ
أُدنُوا أينَ كنتَ هذي المدهْ فقالَ بالبابِ سنينَ عدهْ
منتظراً أمراً أقي فيهِ الملكْ بمهجتي إذِ الجنانُ مرتبكْ
وربّما نابَ ملمٌّ ووقعْ فردّهُ عنهُ بمثلي ودفعْ
فربّما استنفعَ غيرَ غاوي ألرَّجلُ الضربُ بعودٍ ذاوي
يحكُّ أذنيهِ بهِ منَ الأذى فالحرُّ أولى أن يكونَ هكذا
فراقهُ كلامهُ إذْ سمعهْ ورامَ أن تحصلَ منهُ منفعهْ
وقالَ للحضورِ إنَّ الفاضلا قد يغتدي بينَ الرجالِ خاملا
ثمَّ ينمُّ علمهُ وفضلهُ عليهِ حتّى يعتلي محلّهُ

(١) كان الاصل : من لم يصل في الحرب، لم يحو الظفر

كَالنَّارِ إِذْ يَصُونُهَا أَصْحَابُهَا — فَيَعْتَلِي مُتَّقِدًا شِهَابُهَا
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِذْ رَآهُ — لِلْعَقْلِ وَالْفَضْلِ قَدِ ارْتَضَاهُ
يَا مَلِكَ الْوُحُوشِ إِحْتِمْ حَتْمَا — أَنْ يُظْهِرَ الْقَوْمُ لَدَيْكَ الْعِلْمَا
حَتَّى تَرَى أَقْدَارَهُمْ فِي عِلْمِهِمْ — وَنُصْحِهِمْ وَعَزْمِهِمْ وَحَزْمِهِمْ
فَالْعِلْمُ لِلْعَالِمِ مَا لَمْ يَنْشُرِ — كَالْحَبِّ تَحْتَ الْأَرْضِ مَا لَمْ يَظْهَرِ
وَتَرْتَفِعْ أَوْرَاقُهُ مَجْهُولُ — لَيْسَ إِلَى عِرْفَانِهِ سَبِيلُ
وَوَاجِبٌ فَرْضٌ عَلَى السُّلْطَانِ — تَحْقِيقُ كُلِّ النَّاسِ فِي الْعِرْفَانِ
حَتَّى يَكُونَ وَضْعُهُ وَرَفْعُهُ — بِنِسْبَةٍ وَبَذْلُهُ وَمَنْعُهُ
أَمْرَانِ لَا يَجُوزُ أَنْ يُبَدَّلَا — وَيُوضَعَا بِالْخُرْقِ أَوْ يُنَزَّلَا
«أَلتَّاجُ وَالْخَلْخَالُ فَاعْرِفْ ذَاكَا»(١) — جَهْلُهُمَا عَارٌ عَلَى نُهَاكَا
أَلتَّاجُ لَا يُوضَعُ فَوْقَ الْقَدَمِ — كَلَّا وَلَا الْخَلْخَالُ فَوْقَ الْقِمَمِ
إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْقِصَاصِ — مَنْ رَصَّعَ الْيَاقُوتَ بِالرَّصَاصِ
وَذَاكَ لَا يُزْرِي بِقَدْرِ الْجَوْهَرِ — لٰكِنَّهُ مِنْ سَفَهِ الْمُدَبِّرِ
لَا تَصْحَبَنَّ جَاهِلًا يَدَيْهِ — لَا يَعْرِفُ الْيَمِينَ مِنْ كَفَّيْهِ

---

(١) كان الاصل :

الحلي والرجال فاعرف ذاكا .

وَإِنَّمَا يَعْرِفُ مَا عِنْدَ الْجُنْدْ … قَادَتُهُمْ عِنْدَ الْمَصَاعِ وَالْجِدّْ

كَذَاكَ يَدْرِي قِيَمَ الرِّجَالِ … وُلَاتُهُمْ فَارْضَ بِنَقْدِ الْوَالِي

وَالدِّينُ وَالتَّأْوِيلُ أَهْلُ الْعِلْمِ … ثَلَاثَةٌ إِتَّفَقَتْ فِي الْاسْمِ

وَاخْتَلَفَتْ فِي وَضْعِهَا وَالْحُكْمِ … وَإِنَّمَا يَنْقُدُهَا ذُو الْفَهْمِ

أَلْفِيلُ وَالْعَالِمُ وَالشُّجَاعُ … وَقَلَّمَا تَتَّفِقُ الطِّبَاعُ

أَلشُّغْلُ لَا يُحْمَلُ عِنْدَ مَنْ نَظَرْ … بِكَثْرَةِ الْأَعْوَانِ مِنْ غَيْرِ بَصَرْ

وَإِنَّمَا يُعْمَلُ بِالْبَصَائِرِ … وَالْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ لَا التَّكَاثُرِ

كَرَجُلٍ يَحْمِلُ فَوْقَ مَفْرِقِهْ … صَخْرًا يَرُومُ بَيْعَهُ بِحُمْقِهْ

وَرَجُلٍ يَبِيعُ يَاقُوتًا لَهُ … فَبَاعَهُ سَهْلًا وَمَا أَثْقَلَهُ

وَمَا يُرَامُ فِعْلُهُ بِالرِّفْقِ … لَا يُسْتَطَاعُ بِقَبِيحِ الْخُرْقِ

لَا يَحْقِرِ الْوَالِي صَغِيرًا رُبَّمَا … أَبْصَرَهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ قَدْ نَمَا

فَعَصَبُ الْمَيْتَةِ إِنْ صَارَ وَتَرْ[1] … قَضَى بِهِ السُّلْطَانُ يَوْمًا مَا وَطَرْ

ثُمَّ أَرَادَ دِمْنَةُ الْحَكِيمُ … أَنْ يَنْسُبَ التَّبْجِيلُ وَالتَّعْظِيمُ

لِفَضْلِهِ وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهْ … كَيْ لَا يُظَنَّ قُرْبُهُ لِنَسَبِهْ

فَقَالَ لَا يُقَرِّبُ السُّلْطَانُ … لِقُرْبِ آبَاءٍ كِرَامٍ كَانُوا

---

(١) كان الاصل : فالعقب الميت

وَإِنَّمَا يُقَرِّبُ ٱلرِّجَالَا   إِذَا رَأَى لَدَيْهِمِ كَمَالَا
فَأَقْرَبُ ٱلْخَلْقِ إِلَى ٱلْمَرْءِ ٱلْجَسَدْ   وَرُبَّمَا أَبْعَدَهُ إِذَا فَسَدْ
ثُمَّ ٱلدَّوَاءُ مِنْ بَعِيدٍ يَاتِي   فَكَمْ قَرِيبٍ لَيْسَ بِٱلْمُوَاتِي
وَرُبَّمَا عُوْدِيَ لِلْقُرْبِ ٱلْجُرَذْ   «لِأَنَّهُ إِنْ جَاوَرَ ٱلْآكِلَ أَخَذْ» (١)
وَإِنَّمَا يُقَرِّبُ ٱلْبَازِيُّ   لِصَيْدِهِ وَإِنَّهُ وَحْشِيُّ
فَٱزْدَادَ مِنْ ذَاكَ بِهِ عُجْبًا ٱلْمَلِكْ   إِذْ قَالَ قَوْلًا صَادِقًا وَمَا أَفِكْ
فَأَحْسَنَ ٱلرَّدَّ عَلَيْهِ قَائِلَا   لِلْقَوْمِ لَا يَكُ مَلِيكٌ غَافِلَا
عَنْ حَقِّ ذِي حَقٍّ فَذَاكَ سُبَّهْ   وَبِٱلْجَمِيلِ تُدْرَكُ ٱلْمَحَبَّهْ
بَلْ يَنْبَغِي ٱسْتِدْرَاكُهُ مَا فَرَطَا   وَعِلْمُهُ فِي ذَاكَ أَنْ قَدْ غَلِطَا
فَهْوَ وَإِنْ أَظْهَرَ لِلْوَالِي ٱلرِّضَى   وَلَمْ يَجِدْهُ سَاخِطًا لِمَا قَضَى
فَرُبَّمَا أَغْضَى ٱلْفَتَى عَلَى ٱلْقَذَى   وَجَرَّ حِلْمًا ذَيْلَهُ عَلَى ٱلْأَذَى
وَقَلْبُهُ طَاوٍ عَلَى جَمْرِ ٱلْغَضَا   وَعَزْمُهُ مِثْلُ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُنْتَضَى
فَٱلنَّاسُ ٱثْنَانِ فَطَبْعُ وَاحِدِ   شَرَاسَةُ ٱلْأَخْلَاقِ وَٱلْعَقَائِدِ
وَذَاكَ كَٱلْحَيَّةِ إِنْ لَمْ تَلْسَعِ   وَاطِئَهَا مِنْ وَقْتِهِ فَلْيَفْزَعِ
وَلَا يَعُدْ لِدَوْسِهَا مُغْتَرًّا   بِهِ فَيَلْقَى مِنْهُ أَمْرًا مُرًّا

---

(١) كان الاصل : وانه جار لشيء ان اخذ

وَرَجُلٌ عَادَتُهُ ٱلْمُسَاهَلَهْ   وَرُبَّمَا تُحِيلُهُ ٱلْمُعَامَلَهْ
فَٱلْحُكُّ قَدْ يُعِيدُ بَرْدَ ٱلصَّنْدَلِ   حَرَارَةً لَا تُسْتَطَاعُ فَٱعْقِلِ (١)
ثُمَّ خَلَا دِمْنَةُ لَمَّا آنَسَا   "قُرْبًا وَقَالَ إِذْ غَدَا مُجَالِسَا" (٢)
مَالِي رَأَيْتُ ٱلْمَلِكَ ٱلْعَظِيمَا   شَهْرَيْنِ فِي مَكَانِهِ مُقِيمَا
قَدْ رَابَنِي ذَاكَ فَمَا كَانَ ٱلسَّبَبْ   قَالَ ٱلْخَبِيرُ ثُمَّ خَارَ فَٱضْطَرَبْ
وَبَاحَ بِٱلسِّرِّ إِلَيْهِ مُظْهِرَا   أَخَافُ ذَا ٱلصَّوْتِ فَقُلْ لِي مَا تَرَى
إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ جُثَّتُهْ   عَظِيمَةً كَصَوْتِهِ وَقُوَّتُهْ
حِينَئِذٍ يَنْبُو بِنَا ٱلْمَقَامُ   خَوْفًا وَلَا يُمْكِنُنَا ٱلْتِئَامُ
قَالَ فَهَلْ رَابَكَ غَيْرُ ذَلِكَا   فَقَالَ لَا قَالَ دَعِ ٱلتَّهَالُكَا
لِمِثْلِ هَذَا لَا يُخَلَّى ٱلْمَوْطِنُ   لِأَجْلِهِ يَا سَيِّدِي وَٱلْمَسْكَنُ
فَٱلْمَاءُ قَدْ يَغْلِبُ جِسْمَ ٱلسُّكَّرِ   وَآفَةُ ٱلْعَقْلِ قَبِيحُ ٱلْكِبَرِ
وَتَقْطَعُ ٱلْمَوَدَّةَ ٱلنَّمِيمَهْ   وَٱلْقَلْبَ خَوْفُ ٱلْوَجْبَةِ ٱلْعَظِيمَهْ
وَآفَةُ ٱلْحَيَوةِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلنَّزَقْ   مَا كُلُّ صَوْتٍ يَنْبَغِي مِنْهُ ٱلْفَرَقْ
فَعِنْدَهَا قَالَ وَمَا هَذَا ٱلْمَثَلْ   قَالَ حَكَى لِي فِي ٱلْحَدِيثِ مَنْ نَقَلْ

(١) هذا البيت متقدم في الاصل على سابقه ·
(٢) كان الاصل : قربا وصار خاليا مجالسا·

جَاءَ وَقَدْ جَاعَ أَبُو الْحُصَيْنِ غَيْضَةَ دَوْحٍ عِنْدَ مَاءِ عَيْنِ
فِي أَصْلِ بَعْضِ الدَّوْحِ طَبْلٌ مُلْقَى تَدُقُّهُ الرِّيحُ بِغُصْنٍ دَقَّا
فَحَسِبَ الثَّعْلَبُ فِيهِ لَحْمَا إِذْ رَاعَهُ دَوِيُّهُ فَلَمَّا
عَالَجَهُ بِالْجَهْدِ حَتَّى مَزَّقَهْ عَايَنَ كُنْهَ أَمْرِهِ وَحَقَّقَهْ
وَقَالَ مَا جَسَامَةُ الْأَجْسَامِ تُغْنِي وَلَا تَعَاظُمُ الْعِظَامِ
فَهَاكَ هَذَا مَثَلًا ضَرَبْتُهُ وَإِنْ رَأَيْتَ قَصْدَهُ قَصَدْتُهُ
حَتَّى أَجِيَ مِنْهُ بِالْيَقِينِ وَالْخَبَرِ الْمُحَقَّقِ الْمُبِينِ
فَقَالَ سِرْ إِلَيْهِ وَاعْرِفْ حَالَهْ وَاصْدُقْ إِذَا مَا قُلْتَ فِي الْمَقَالَهْ
فَحِينَ وَلَّى وَمَضَى عَنْهُ نَدِمْ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ وَمُلْتَزِمْ
يَقُولُ قَدْ يَجْفُو الْفَتَى سُلْطَانَهْ وَيَسْتَحِيلُ جَفْوَةً إِحْسَانَهْ
تَعَمُّدًا مِنْهُ وَغَيْرَ عَمْدِ فَيَغْتَدِي ذَا تِرَةٍ وَحِقْدِ
وَقَدْ يَكُونُ ضَائِعًا فِي دَوْلَتِهْ أَوْ مُخْفِقًا مِنْ بِرِّهِ وَنِعْمَتِهْ
أَوْ خَامِلًا مُطَّرَحًا أَوْ خَائِفًا إِنْ كَانَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا سَالِفَا
أَوْ خُصَّ بِالْإِهْمَالِ وَالْحِرْمَانِ مُؤَخَّرًا عَنْ جُمْلَةِ الْأَقْرَانِ
فَإِنَّ مَنْ أُخِّرَ عَنْ أَقْرَانِهْ شَاكٍ قَرِيحُ الْقَلْبِ مِنْ أَضْغَانِهْ
لَوْ أُعْطِيَ الدُّنْيَا لَمَا سُرَّ بِهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلْقُرَنَاءِ مُشْبِهَا

تَفْضِيلُ مَنْ لَيْسَ بِذِي فَضْلٍ عَلَى ... أَفَاضِلِ ٱلرِّجَالِ نَارٌ تُصْطَلَى
وَيُفْسِدُ ٱلطَّبَائِعَ ٱلْجَلِيلَةْ ... تَقْدِيمُكَ ٱلنَّقْصَ عَلَى ٱلْفَضِيلَةْ
لَا تَطْمَعَنْ سَفَاهَةً أَنْ يَشْكُرَا ... مَنْ كَانَ عَنْ أَقْرَانِهِ مُؤَخَّرَا
كَلَّا وَلَا تَأْمَنْ فَتًى ظَلَمْتَهْ ... وَلَا تَرُمْ شُكْرَ ٱمْرِىءٍ حَرَمْتَهْ
وَلَا صَفَاءَ فَاضِلٍ أَخَّرْتَهُ ... عَنْ نَاقِصٍ لِسَبَبٍ قَدَّمْتَهُ
أَوْ عَامِلٍ لَمْ تَجْزِهِ بِعَمَلِهْ ... أَوْ مُخْطِىءٍ جَازَيْتَهُ بِزَلَّتِهْ
أَوْ مَنْ خَصَصْتَ خَصْمَهُ بِبِرِّ ... فَكُلُّهَا تُوغِرُ صَدْرَ ٱلْحُرِّ
أَوْ فَاسِدَ ٱلدِّينِ سَفِيهًا قَدْ غَوَى ... أَوْ ذَا هَوًى فَاقَةُ ٱلْعَقْلِ ٱلْهَوَى
أَوْ رَجُلًا صَدِيقُهُ عَدُوُّكَا ... أَوْ رَجُلًا قَدْ فَاتَهُ حُنُوُّكَا
« فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَعْدَاءُ ... قُلُوبُهُمْ تَمْلَأُهَا ٱلْبَغْضَاءُ »
إِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ بِطَانَهْ ... أَوْ أَنْ تَرَاهُمْ مَوْضِعَ ٱلْأَمَانَهْ
وَلَمْ يَزَلْ دِمْنَةُ ذُو ٱلْآدَابِ ... مُضَيَّعًا مُطَّرَحًا بِبَابِي
وَذَاكَ لَا شَكَّ عَلَيَّ يَحْفِظُهْ ... وَٱلْحُرُّ لَا يَحْفَظُ مَنْ لَا يَحْفَظُهْ
لَعَلَّهُ يَخُونُنِي لِمَا سَلَفْ ... إِذْ رَأَى ذَا ٱلصَّوْتِ أَقْوَى وَعَرَفْ
أَوْ كَانَ يَرْجُو مِنْهُ فَضْلَ رِفْدِ ... أَوْ فَوْقَ مَا كَانَ يَنَالُ عِنْدِي
حِينَئِذٍ يَدُلُّهُ وَيَحْمِلُهْ ... عَلَى ٱلَّذِي أَكْرَهُهُ فَيَفْعَلُهْ

وَلَمْ يَزَلْ مُفَكِّرًا قَدْ وَجِلَا   حَتَّى رَآهُ عَائِدًا قَدْ أَقْبَلَا

وَحِينَمَا رَآهُ عَادَ وَحْدَهُ   سُرَّ وَرَدَّ حُزْنَهُ وَوَجْدَهُ

تَجَلُّدًا كَيْ لَا يَرَى تَغَيُّرَهْ   وَقَالَ هَلْ رَأَيْتَهُ أَمْ لَمْ تَرَهْ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ بَلْ رَأَيْتُهْ   وَإِنَّهُ ثَوْرٌ وَهَذَا صَوْتُهْ

قَالَ وَكَيْفَ قَدْرُهُ وَقُوَّتُهْ   قُلْ لِي وَمَا إِبَاؤُهُ وَنَخْوَتُهْ

فَقَالَ لَمْ أَنْظُرْ لَهُ عِزًّا بِهِ   أَعْرِفُ قَدْرَ الْجَبَلِ فِي مَنْكِبِهِ

حَاوَرْتُهُ كَأَنَّنِي نَظِيرُهْ   يَوْمِي فَمَا أَزْعَجَنِي نَكِيرُهْ

وَهُوَ ذَلِيلٌ نَفْسُهُ مَهِينَهْ   رِدَاؤُهُ الْوَقَارُ وَالسَّكِينَهْ

قَالَ لَهُ إِذْ سَمِعَ الْقَوْلَ الْأَسَدْ   لَا تَحْسَبَنْ ذَلِكَ عَنْ ضُعْفِ جَلَدْ

فَالرِّيحُ لَا تَقْلَعُ بَقْلًا نَابِتَا   وَتَقْلَعُ الدَّوْحَ الْعَظِيمَ الثَّابِتَا

كَذَلِكَ الصِّنْدِيدُ فِي لِقَائِهِ   يُبَارِزُ الْمَشْهُورَ مِنْ أَكْفَائِهِ

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنْ أَذِنْتَ لِي   يَا مَالِكِي جِئْتُ بِهِ فِي عَجَلِ

حَتَّى يَكُونَ سَامِعًا مُطِيعًا   فَلَيْسَ لِلْإِبَاءِ مُسْتَطِيعًا

قَالَ لَهُ دُونَكَ ذَاكَ فَمَضَى   وَقَالَ لِلثَّوْرِ رَسُولٌ قَدْ أَتَى

مِنْ مَلِكِ السِّبَاعِ أَجْمَعِينَا   فَصِرْ إِلَيْهِ وَاعْلَمَنْ يَقِينَا

أَنَّكَ ان أَتَيْتَهُ وَلَمْ تَقِفْ   أَضْرِبُ مِنْ ذَنْبِكَ عَمَّا قَدْ سَلَفْ

وَإِنْ تَلَكَّأْتَ وَلَمْ تَحْضُرْ أُعِدْ ... قَالَ لَهُ الثَّوْرُ وَمَنْ هٰذَا الأَسَدْ
قَالَ هُوَ الْمُتَوَّجُ الْمُطَاعُ ... وَمَنْ عَنَتْ لِعِزِّهِ السِّبَاعُ
فَارْتَاعَ مِنْهُ الثَّوْرُ عِنْدَ ذِكْرِهِ ... وَقَالَ إِنْ أَمَّنْتَنِي مِنْ شَرِّهِ
أَتَيْتُهُ مِنْ سَاعَتِي فَأَمَّنَهْ ... وَأَقْسَمَ الْفَاجِرُ أَنْ مَا دَاهَنَهْ
وَجَاءَهُ الثَّوْرُ فَقَالَ مَرْحَبَا ... أَهْلاً وَسَهْلاً هَهُنَا وَقَرُبَا
سَايَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ وَحَالِهْ ... وَلَمْ يَزَلْ يَلْطُفُ فِي سُؤَالِهْ
فَقَصَّ شَرْحَ أَمْرِهِ وَمَا كَتَمْ ... شَيْئاً فَقَالَ سَتَرَى مِنَّا النِّعَمْ
اِلْزَمْ جَنَابِي إِنَّنِي مَا أُنْعِمُ ... عَلَيْكَ إِنِّي لِلضُّيُوفِ مُكْرِمُ
فَقَبَّلَ الثَّوْرُ التُّرَابَ وَدَعَا ... وَجَدَّ فِي تَقْرِيظِهِ فَأَسْمَعَا
ثُمَّ اصْطَفَاهُ الأَسَدُ الْعَظِيمْ ... فَلَمْ يَكُنْ عَنْ بَابِهِ يَرِيمْ
إِنَّ الأَدِيبَ يُكْرِمُ الأُدَبَا ... كَمَا الْغَرِيبُ يَرْحَمُ الْغُرَبَا
وَلَمْ يَزَلْ يَبْدُو لَهُ مِنْ عَقْلِهِ ... وَفَهْمِهِ وَحِلْمِهِ وَفَضْلِهِ
مَا رَدَّهُ بِحُبِّهِ مَشْغُوفَا ... عَنْ كُلِّ خِلٍّ غَيْرِهِ صَدُوفَا
مُؤْتَمَناً لِلسِّرِّ وَالْمَشُورَهْ ... مُدَبِّراً بِرَأْيِهِ أُمُورَهْ
لَمَّا رَأَى دِمْنَةُ إِيثَارَ الأَسَدْ ... شَتْرَبَةَ اغْتَاظَ لِذَاكَ وَحَسَدْ
وَسَاءَهُ حَتَّى أَتَى أَخَاهُ ... كَلِيلَةً يَشْكُو الَّذِي عَنَاهُ

قَالَ أَنَا فَعَلْتُ ذَا بِجَهْلِي ... فَلَيْسَ غَيْرِي مَوْضِعاً لِعَذْلِي
إِنِّي أَنَا ٱلْجَانِي فَمَنْ أَلُومُ ... أَنَا لَعَمْرِي ٱلظَّالِمُ ٱلْمَظْلُومُ
قَالَ لَهُ أَخُوهُ غَيْرَ آفِكِ ... أَرَاكَ فِيمَا جِئْتَهُ كَالنَّاسِكِ
وَرَهْطِهِ قَالَ لَهُ وَمَا ذَاكْ ... قَالَ سَمِعْتُ أَنَّ بَعْضَ ٱلنُّسَّاكْ
كَسَاهُ سُلْطَانٌ فَجَاءَ طَامِعُ ... فِيهَا وَظَلَّ بِالتُّقَى يُخَادِعُ
وَقَالَ إِنِّي رَاغِبٌ فِي صُحْبَتِكْ ... تَبَرُّكاً فِي سَفَرِي بِخِدْمَتِكْ
حَتَّى إِذَا أَبْصَرَهُ وَقَدْ غَفَلْ ... فَازَ بِهَا ثُمَّ مَضَى عَلَى عَجَلْ
وَفَقَدَ ٱلنَّاسِكُ تِلْكَ ٱلْخِلْعَهْ ... قَالَ خُدِعْتُ وَٱلْحُرُوبُ خُدْعَهْ
ثُمَّ مَضَى يَطْلُبُهُ فَلَمَحَا ... وَعْلَيْنِ قَدْ إِقْتَتَلَا وَٱنْتَطَحَا
حَتَّى جَرَى دَمٌ فَجَاءَ ثَعْلَبُ ... يَلْطَعُهُ لِجُوعِهِ وَيَشْرَبُ
فَنَطَحَاهُ خَطَأً فَمَاتَا ... وَفَاضَ مِنْ نُطْحِهِمَا وَفَاتَا
وَذَهَبَ ٱلنَّاسِكُ يَبْغِي سَارِقَهْ ... وَقَدْ رَمَاهُ دَهْرُهُ بِبَائِقَهْ
فَجَاءَ لَيْلاً بَلْدَةً مَحْصُورَهْ ... فَبَاتَ عِنْدَ ٱمْرَأَةٍ ضَرُورَهْ
«لَهَا فَتَاةٌ خُلْقُهَا مَشْكُورُ ... وَحُسْنُهَا بَيْنَ ٱلْوَرَى مَشْهُورُ»
«وَقَدْ أَحَبَّتْ أَنْ يَكُونَ رَجُلُ ... بَعْلاً لَهَا وَأُمُّهَا لَا تَقْبَلُ»
«بَلْ أَبْغَضَتْهُ أُمُّهَا شَدِيدَا ... وَعَزَمَتْ فِي ٱلْحَالِ أَنْ تَكِيدَا»

وَدَبَّرَتْ لِقَتْلِهِ تَدْبِيرَا　　عَادَ لَهَا لَوْ عَرَفَتْ تَدْمِيرَا
نَامَ فَجَاءَتْهُ بِسُمٍّ قَدْ سُحِقْ　　وَذُرَّ فِي يَرَاعَةٍ لِيَنْطَلِقْ
تَنْفُخُهُ فِي فَمِهِ وَقَدْ هَجَعْ　　«فَعَطَسَ الرَّجُلُ عَطْسًا فَرَجَعْ
فِي فَمِهَا السُّمُّ فَحَالاً مَاتَتْ　　مِنْهُ وَسَالَتْ نَفْسُهَا وَفَاتَتْ»
وَاسْتَبْدَلَ النَّاسِكُ مِنْ مَكَانِهْ　　بَيْتًا لِإِسْكَافٍ غَدَا لِشَانِهْ
وَقَالَ لَمَّا أَنْ مَضَى لِزَوْجَتِهْ　　إِنَّ أَخًا قَدْ خَصَّنِي بِدَعْوَتِهْ
فَأَكْرِمِي النَّاسِكَ وَاخْدِمِيهِ　　لَا تَحْقِرِي ضَيْفِي فَتُهْمِلِيهِ
فَإِنَّ ذَاكَ مِنْ لَئِيمِ الْأَخْلَاقْ　　أَلْمَالُ فَانٍ وَحَدِيثُهُ بَاقْ
وَامْرَأَةُ الْإِسْكَافِ جِدُّ مُغْرَمَهْ　　بِرَجُلٍ كَانَتْ بِهِ مُتَيَّمَهْ
«تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ زَوْجَ ابْنَتِهَا　　وَزَوْجُهَا لَا يَبْتَغِي بُغْيَتَهَا»
جَارَتُهَا بَيْنَهُمَا سَفِيرَهْ　　فَرَاسَلَتْهُ وَهْيَ مُسْتَزِيرَهْ
فَجَاءَ خِلُّ ابْنَتِهَا مُبَادِرَا　　لَيْلًا وَظَنَّ زَوْجَهَا مُسْتَأْخِرَا
فَقَامَ بِالْبَابِ وَجَاءَ بَعْلُهَا　　فَارْتَابَ وَاسْتَرْجَعَ مِنْهُ خِلَّهَا
وَضَرَبَ الزَّوْجَةَ ضَرْبَ مُحْنَقِ　　وَشَدَّهَا فِي الْجِذْعِ غَيْرَ مُشْفِقِ
حَتَّى إِذَا مَا غَطَّ فِي الْمَنَامِ　　جَاءَتْ إِلَيْهَا امْرَأَةُ الْحَجَّامِ
لِأَنَّهَا كَانَتْ هِيَ الرَّسُولُ　　تَقُولُ مَاذَا يَفْعَلُ الْخَلِيلُ

قَالَتْ لَهَا نِهَايَةُ الإِحْسَانِ أَنْ تُوثِقِي نَفْسَكِ فِي مَكَانِي
«حَتَّى اذَا بَدَا لَدَيْهِ عُذْرِي» عُدْتُ وَزَوْجِي نَائِمٌ لَمْ يَدْرِ
فَأَوْثَقَتْ جَارَتَهَا بِحَبْلِهَا وَذَهَبَتْ تَبْغِي مَكَانَ خِلِّهَا
وَانْتَبَهَ الإِسْكَافُ مِنْ مَنَامِهْ وَعَادَ فِي الْمُؤْلِمِ مِنْ كَلَامِهْ
وَلَمْ تُجِبْهُ خِيفَةً فَحَنِقَا فَقَامَ بِالشَّفْرَةِ لَمَّا زَهِقَا
فَحَزَّ لِلْغَيْظِ الشَّدِيدِ أَنْفَهَا «وَعَادَ عَنْهَا نَاطِقًا كَالسُّفَهَا»
«قَالَ خُذِي أَنْفَكِ بَاذِي أَتْحِفِي بِهِ بِلَا بُطْءٍ صَدِيقَكِ الْوَفِي»
«وَسَكَتَتْ إِمْرَأَةُ الْحَجَّامِ خِيفَةَ أَنْ تُعْرَفَ بِالْكَلَامِ»
«وَرَجَعَتْ تِلْكَ فَلَاحَتْ مَا صَنَعْ رَجُلُهَا فَسَاءَهَا الَّذِي وَقَعْ»
فَأَطْلَقَتْ جَارَتَهَا الْمَجْدُوعَهْ فَانْطَلَقَتْ وَالِهَةً مَفْجُوعَهْ
وَمَكَثَتْ مُوثَقَةً فِي السَّارِيَهْ وَالْقَلْبُ فِي نَارِ عَذَابٍ حَامِيَهْ
وَأَقْبَلَتْ تَقُولُ يَا إِلٰهِي زَوْجِيَ قَدْ أَسْرَفَ فِي السَّفَاهِ
فَإِنْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَرْفِ لِي ظَالِمًا فَارْدُدْ عَلَيَّ أَنْفِي
ثُمَّتَ صَاحَتْ أَيُّهَذَا الظَّالِمْ نِمْتَ وَمَا رَبِّيَ عَنْكَ نَائِمْ
قَدْ رَدَّ أَنْفِي إِنَّهُ لَطِيفُ فَقَالَ سِحْرٌ عَجَبٌ ظَرِيفُ
ثُمَّ أَتَاهَا فَرَآهَا صَادِقَهْ قَالَ لَهَا مَا أَنْتِ إِلَّا فَائِقَهْ

وزوجة الحجام تذري دمعها ... خيفة أن يرى الخليل جدعها
إن نال زوجي لم جدعت قولي ... فما الذي أقول للخليل
ولم تزل ليلتها تختال ... للوجد في فؤادها اشتعال
فانتبه الزوج من المنام ... وقام كي يمضي إلى الحمام
وقال هاتي عدتي لعملي ... هيا أداتي أحضري وعجلي
وكرر القول فما أتته ... إلا بموساه فأحفظته
ثم رماها غضباً بالموسى ... فصرخت وعملت ناموسا
أنفي أنفي فأتى الجيران ... والأهل والشرطة والأعوان
وذهبوا بالزوج نحو الحاكم ... فقال ما عذرك قول لائم
فلم يطق لجهله أن يعتذر ... ولا لفرط ضعفه أن ينتصر
فقال قاضي القوم عاقبوه ... ففعله مستبشع كريه
« حينئذ قام لديه العابد ... وقال يا حاكم إني شاهد»
« لا يشتبه عليك هذا الأمر ... وإنما في تي القضايا سر»
«فاللص في سرقته ما أذنبا» ... والوعلان لم يريدا الثعلبا
والسم لم يقتل ولا الحجام ... عليه إن أنصفته ملام
لكنما بنفسه كل فعل ... وهو لها يا أيها القاضي قتل

«قَالَ لَهُ الْقَاضِي أَبِنْ لِي الْقِصَّهْ ... نُزِلْ لَنَا عَنِ الْقُلُوبِ غُصَّهْ»

«فَشَرَحَ النَّاسِكُ مَا كَانَ نَظَرْ ... فَدُهِشَ الْقَاضِي وَقَالَ ذِي عِبَرْ»

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ قَدْ كَانَ كَذَا ... فَمَا الَّذِي يَدْفَعُ عَنَّا ذَا الْأَذَى

قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ السَّدِيدُ ... قَدْ كَانَ مَا كَانَ فَمَا تُرِيدُ

فَقَالَ مَا أَطْمَعُ فِي الزِّيَادَهْ ... حَسْبِيَ مِنْهُ أَنْ تَعُودَ الْعَادَهْ

ثَلَاثَةٌ يَنْظُرُ فِيهَا مَنْ عَقَلْ ... مَا جَاءَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَوَصَلْ

كَيْ يَتَوَقَّى الشَّرَّ غَيْرَ وَانِ ... وَيَبْتَغِي الْخَيْرَ الَّذِي يُعَانِي

قِسْ يَوْمَكَ الْآتِي بِأَمْسِ الْمَاضِي ... مَا سَاخِطٌ لِأَمْرِهِ كَالرَّاضِي

إِعْمَلْ لِمَا تَخَافُ أَوْ مَا تَرْجُو ... حَسْبُ الْغَرِيقِ مَغْنَمًا أَنْ يَنْجُو

وَلَا أُرِيدُ غَيْرَ حَتْفِ الثَّوْرِ ... وَلَيْسَ قَصْدِي حَتْفَهُ بِجَوْرِ

فَإِنَّ فِي فَسَادِهِ صَلَاحِي ... أَجَلْ وَفِي بَقَائِهِ اجْتِيَاحِي

ثُمَّ عَسَى الْخَيْرُ يَكُونُ لِلْأَسَدْ ... فَإِنَّهُ أَصْلَحَهُ حَتَّى فَسَدْ

فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ كَلِيلَهْ ... لَا عَيْبَ فِي الثَّوْرِ فَقُلْ مَا الْحِيلَهْ

قَالَ بَلَى قَدْ أَوْحَشَ الْأَصْحَابَا ... وَنَفَّرَ الْأَجْنَادَ وَالْحُجَّابَا

وَقَدْ جَفَاهُمْ كُلَّهُمْ وَمَلَّهُمْ ... حَتَّى غَدَا أَعَزُّهُمْ أَذَلَّهُمْ

وَآفَةُ السُّلْطَانِ فِي أُمُورِهِ ... فِي سِتَّةٍ تَخْفَى عَلَى تَدْبِيرِهِ

فَبَعْضُهَا ٱلْفِتْنَةُ وَٱلْحِرْمَانُ ... وَٱلْغِلْظَةُ ٱلشَّنْعَآءُ وَٱلزَّمَانُ
وَٱلْخُرْقُ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ وَٱلْهَوَى ... فَأَيُّهَا أَظْهَرَهُ فَقَدْ غَوَى
انْ حَرَمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا ٱسْتَحَقَّهُ ... وَلَمْ يُرَاعِ نُصْحَهُ وَصِدْقَهُ
حِينَئِذٍ تَخْذُلُهُ أَنْصَارُهُ ... حَتَّى تُرَى كَلِيلَةً شِفَارُهُ
وَٱلْفِتْنَةُ ٱلْمَرْهُوبَةُ ٱلْمَخُوفَهْ ... حَرْبُ ٱلرَّعَايَا إِنَّهَا مَوْصُوفَهْ
وَغِلْظَةُ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّهْ ... أَلْخَبْطُ وَٱلتَّحْرِيفُ فِي ٱلْقَضِيَّهْ
شَتْمًا وَضَرْبًا يَخْفِضُ ٱلْأَحْرَارَا ... وَيُغْضِبُ ٱلسَّادَاتِ وَٱلْخِيَارَا
ثُمَّ هَوَاهُ فِي ٱلنِّسَآءِ وَٱللَّعِبْ ... يَرُدُّ حَبْلَ ٱلْمُلْكِ وَهْوَ مُنْقَضِبْ
وَمِحْنَةُ ٱلزَّمَانِ وَٱلْخُطُوبُ ... تَنُوبُهُ بِشَرِّ مَا تَنُوبُ
مِنَ ٱلْوَبَآءِ وَٱلْغَلَاءِ وَٱلْجَلَا ... وَكُلِّ مَا بِهِ ٱلنُّفُوسُ تُبْتَلَى
وَخُرْقُهُ أَنْ لَا يَكُونَ حَازِمَا ... وَلَا بِأَعْقَابِ ٱلْأُمُورِ عَالِمَا
فَيَضَعُ ٱلْمَعْرُوفَ غَيْرَ مَوْضِعِهْ ... وَيُوقِعُ ٱلنَّوَالَ شَرَّ مَوْقِعِهْ
وَقَدْ رَعَاهُ ٱلْيَوْمَ حَتَّى أَفْرَطَا ... وَرَفَضَ ٱلْجُنُودَ لَمَّا فَرَّطَا
وَهٰكَذَا ٱلْجَاهِلُ فِي ٱلتَّعَاطِي ... بَيْنَ أَذَى ٱلتَّفْرِيطِ وَٱلْإِفْرَاطِ
قَالَ لَهُ إِنِّي أَرَاهُ ٱلْآنَا ... أَمْكَنَ مِنْكَ عِنْدَهُ مَكَانَا
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ لَا يَرُوعُكَا ... مَكَانُهُ مِنْهُ وَلَا يُفْزِعُكَا

فإنه قد يفعل الصغير   أشياء لا يستطيعها الكبير
فقبلنا الغراب كاد الأسودا   قال وكيف ذاك قل لي فبدا
كان غراب وكره فوق جبل   بقربه جحر لأفعى ذي حيل
تأكل ما يفرخ أكلا لما   فما يزال تاكلا مغتما
حتى شكا ذاك إلى ابن آوى   وكل داء معضل يداوى
وقال أزمعت على بياته   ونقر عينيه على غراته
قال له أنت إذا مخاطر   في ذاك إما خائب أو ظافر
فلا تكن معذلا ملوما   تحاك في الندامة العلجوما
فقال ما ذاك فقال كانا   رفراف عش لازما مكانا
إختاره لعشه من أجمه   أسماكها كثيرة مزدحمه
حتى إذا ما عاد شيخا فانيا   لا يستطيع الصيد ظل باكيا
قال أبو بحر وما أبكاكا   فقال كان أكلي الأسماكا
وقد رأيت اليوم صيادين   قد أوعداها كلها للحين
إنهما اليوم إذا ما رجعا   ملتقطان سمك الوادي معا
عاد أبو بحر وأخبر السمك   فقلن هل من حيلة لنا ولك
وجئن في الحال إلى الرفراف   وقلن أنت موضع الإسعاف

وَانْ تَكُنْ عَدُوَّنَا بِالطَّبْعِ فَإِنَّ فِينَا لَكَ كُلَّ نَفْعِ
وَٱلرَّجُلُ ٱلْعَاقِلُ يَسْتَشِيرُ عَدُوَّهُ إِنْ ضَاقَتِ ٱلْأُمُورُ
إِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ فَإِنَّ عَقْلَهُ يُرِيهِ مِنْ إِرْشَادِهِ مَحَلَّهُ
لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ أَيْضًا هَالِكَا بِذَاكَ أَوْ لِخَصْمِهِ مُشَارِكَا
وَنَحْنُ فِيمَا نَخْتَشِي سِيَّانِ وَٱلرَّأْيُ لَا يُدْرَكُ بِٱلتَّوَانِي
فَقَالَ لَا حَرْبَ وَلَكِنْ حِيلَهْ أَظُنُّهَا إِلَى ٱلْمُنَى وَسِيلَهْ
هُنَا غَدِيرٌ مَاؤُهُ غَزِيرُ فِي قَصَبٍ فَهْوَ بِهِ سَتِيرُ
فِيهِ لَكُنَّ مَعْقِلٌ وَحِرْزُ قُلْنَ وَهَلْ رُكِّبَ فِينَا ٱلْعَجْزُ
لَنَهْلِكَنَّ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِلْنَا إِلَيْهِ فِي ٱلْحَالِ وَلَمْ تَنْقُلْنَا
فَقَالَ إِنِّي حَامِلٌ حُوتَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِقَضَاءِ ٱلدَّيْنِ
فَكَانَ ذَاكَ دَأْبُهُ وَدِينُهُ وَدَأْبُهُنَّ مِنْهُمَا تَمْكِينُهُ
فَيَأْكُلُ ٱلْحُوتَيْنِ كُلَّ بُكْرَهْ حَتَّى إِذَا أَفْنَى جَمِيعَ ٱلْعِتْرَهْ
نَادَى أَبُو بَحْرٍ فَلَوْ حَمَلْتَنِي كُنْتَ كَمَا خَلَّصْتَهُمْ خَلَّصْتَنِي
قَالَ نَعَمْ وَٱشْتَالَهُ فَٱحْتَمَلَهْ حَتَّى إِذَا وَافَى مَكَانَ ٱلْمَقْتَلَهْ
وَعَايَنَ ٱلْعِظَامَ وَٱلْأَصْدَافَا ٱرْتَابَ إِذْ أَبْصَرَهَا وَخَافَا
وَقَالَ إِنْ قَصَّرْتُ فِي قِتَالِهْ مَكَّنْتُ نَفْسِي مِنْ فِعَالِ ٱلْوَالِهْ

لأجهدن أن لا أرى مأكولا — فالحر يحمي نفسه معقولا
وأخسر القرنين في المحاربه — من كف عن عدوه وراقبه
لا يقتل الحر الكريم صبرا — قتل الفتى وهو شيخ أحرى
لأعصرن حلق الخبيث عصرا — بكلبتي أو أموت حرا
ووقع العلجوم ميتا فرجع — إليه في الحال جزاء ما صنع
كم حيلة قد قتلت محتالها — وقولة قد أهلكت من قالها
كم حفر البئر لخصم فوقع — فيها وكم من خادع قد انخدع
وشاحذ سيفا فحز عنقه — ومبرم حبلا له قد خنقه
والرأي أن تخطف عقد در — «ليخرجوا للبحث والتحري»(١)
حتى إذا ما تبعوك فاقترب — منهم لكيلا يفتروا عن الطلب
وألقه بباب جحر الأسود — حينئذ تقتله ألف يد
سعادة المرء ويمن طيره — قتل أعاديه بسيف غيره
«فعل الغراب ما أشارا — به ابن آوى وكذاك صارا»
قال له فقوة الثور أشد — ورأيه في مشكل الخطب أسد

---

(١) كان الاصل:
والرأي ان تخطف عقد جوهر — فيما تطوف فتطلب وانظر

قُلْ لِي بِأَيِّ حِيلَةٍ تُرِيدُهُ قَالَ لَهُ أَقْدِرُ أَنْ أَكِيدَهُ
لِأَنَّهُ يَحْسِبُنِي صَدِيقَا فَإِنْ أَقُلْ يُظْهِرْ لِيَ ٱلتَّصْدِيقَا
مِنْ هٰهُنَا يَنْفُذُ فِيهِ سَهْمِي وَلَا يَطِيشُ ٱلنَّبْلُ حِينَ أَرْمِي
قَدْ قَتَلَ ٱلضِّرْغَامَ كَيْدُ ٱلْأَرْنَبِ قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ قُلْ لِي أَعْجَبِ
فَقَالَ كَانَ أَسَدٌ عَظِيمُ فِي غَيْضَةٍ مُخْصِبَةٍ يُقِيمُ
تَخَافُهُ ٱلْوُحُوشُ وَٱلْأُسُودُ لِأَنَّهُ ٱلدَّهْرَ لَهَا صَيُودُ
قَالَتْ لَهُ مُذْعِنَةً جَمِيعَا هَلْ لَكَ فِي خَرْجٍ يُمِيتُ ٱلْجُوعَا
نُعْطِيكَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ قَدْرَ مَا تَأْكُلُهُ مُرَفَّهًا مُعَظَّمَا
وَفِعْلُنَا يُغْنِيكَ مِنْ جُهْدِ ٱلطَّلَبْ فَلَسْتَ تَلْقَى ٱلصَّيْدَ إِلَّا بِتَعَبْ
فَقَالَ إِنِّي قَانِعٌ بِذَاكَا كَمْ طَمَعٍ قَدْ جَلَبَ ٱلْهَلَاكَا
فَدَامَ ذَاكَ مُدَّةً مَدِيدَهْ وَلَمْ يَكُنْ مَا قَرَّرُوا مَكِيدَهْ
حَتَّى إِذَا ٱلْقُرْعَةُ يَوْمًا وَقَعَتْ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَرْنَبِ حَتْمًا جَزِعَتْ
وَقَالَتْ ٱسْمَعْنَ فَإِنِّي بَاكِرَهْ بِحِيلَةٍ لَطِيفَةٍ مُمَاكِرَهْ
أُهْلِكُهُ فِيهَا وَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ فَإِنَّ عَيْشَنَا تَبْرِيحُ
فَقَصَدَتْهُ وَهُوَ غَضْبَانُ لِمَا أُخِّرَ عَنْهُ وَأَمَيْتَ فَرَمَا
قَالَتْ لَهُ يَا مَلِكَ ٱلسِّبَاعِ هَلْ أَنْتَ لِلْقَوْلِ ٱللَّطِيفِ وَاعِي

حَمَلْتُ مِنْ يَوْمِي إِلَيْكَ أَرْنَبَا ... فَبَزَّنِيهَا أَسَدٌ وَغَلَبَا
فَقُلْتُ دَعْهَا إِنَّهَا قُوتُ الْمَلِكْ ... خَرَجًا لَهُ عَلَى الْوُحُوشِ قَدْ تُرِكْ
فَسَبَّنِي مِنْ جَهْلِهِ وَسَبَّكَا ... جَهْلًا وَقَدْ أَزْمَعَ أَيْضًا حَرْبَكَا
قَالَ لَهَا وَأَيْنَ هَذَا الْأَسَدُ ... قَالَتْ قَرِيبٌ مِنْكَ دَانٍ يَرْصُدُ
«فَجَاءَ مَعْهَا لِيَرَى الْهُمَامَا ... ذَاكَ الَّذِي حَرَّمَهُ الطَّعَامَا»
فَوَقَفَتْهُ فَوْقَ رَأْسِ جُبِّ ... فِعْلَ خَدُوعٍ لِلرِّجَالِ خَبِّ
وَمَاؤُهُ صَافٍ كَدَمْعِ عَاشِقِ ... بَاكٍ عَلَى أَحْبَابِهِ مُفَارِقِ
فَعِنْدَهَا أَبْصَرَ فِيهِ ظِلَّهُ ... وَظِلَّهَا فَظَنَّ لَيْثًا مِثْلَهُ
فَهَاجَهُ مَا قَدْ رَآهُ فَوَثَبْ ... عَلَيْهِمَا لِمَا بِهِ مِنَ الْغَضَبْ
فَصَارَ مِنْ وَثْبَتِهِ فِي قَعْرِهِ ... وَرَجَعَتْ سَالِمَةً مِنْ شَرِّهِ
فَبَشَّرَتْ بِذَلِكَ الْوُحُوشَا ... وَلَمْ يَكُنْ مَقَالُهَا مَغْشُوشَا
قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ الْأَمِينُ ... شَرُّ الْأَنَامِ الْغَادِرُ الظَّنِينُ
فَلَا تَخُنْ فَالْحُرُّ لَا يَخُونُ ... فَإِنَّ عُقْبَى الْمَكْرِ لَا تَهُونُ
أَلْغَدْرُ لُؤْمٌ فَاحِشٌ وَسُبَّهْ ... وَالصِّدْقُ زَيْنٌ حَسَنٌ وَرُتْبَهْ
وَإِنْ رَأَيْتَ فُرْصَةً فَبَادِرِ ... كَذَاكَ فِعْلُ الْأَلْمَعِيِّ الْمَاهِرِ
بِحَيْثُ لَا يُهْلِكُ ذَاكَ الْأَسَدَا ... وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ مُفَنَّدَا

«ثُمَّ غَدَا دِمْنَةُ فِي ٱلْأَحْيَاءِ … يَجُولُ فِي ٱلصَّبَاحِ وَٱلْمَسَاءِ»
وَلَمْ يَدُسْ شَهْراً بِسَاطَ ٱلْمَلِكِ … ثُمَّ أَتَى كَٱلْخَائِرِ ٱلْمُرْتَبِكِ
يَظْهَرُ فِي أَعْطَافِهِ ٱلتَّغَيُّرُ … وَوَجْهُهُ ٱلشَّتِيمُ سُمّاً يَقْطُرُ
قَالَ لَهُ ٱلْهُمَامُ مَاذَا أَخَّرَكْ … عَنْ خِدْمَتِي وَمَا ٱلَّذِي قَدْ غَيَّرَكْ
قَالَ وَلَمْ يُفْصِحْ بِهِ بَلْ عَرَّضَا … مُجَمْجِماً كَلَامَهُ مُمَرِّضَا
قَالَ لَهُ قُلْ فَهْيَ حَالُ خَلْوَهْ … وَبِي إِلَى ذَاكَ أَشَدُّ صَبْوَهْ
«قَالَ لَهُ دِمْنَةُ ذُو ٱلرِّيَاءِ … وَٱلْمَكْرِ وَٱلْحِيلَةِ وَٱلدَّهَاءِ»
«إِذَا غَدَا ٱلْكَلَامُ مَكْرُوهاً لَدَى … سَامِعِهِ فَذِكْرُهُ لَنْ يُحْمَدَا»[1]
قَائِلُهُ مُخَاطِرٌ بِنَفْسِهْ … مُتَّهَمٌ فِي رَأْيِهِ وَحِسِّهْ
وَلَيْسَ لِلْقَائِلِ فِيهِ مَنْفَعَهْ … بَلْ رُبَّمَا أَوْدَى بِهِ وَصَرَعَهْ
«إِلَّا إِذَا نَقَلَهُ لِقَابِلِ … لِحُرْمَةِ ٱلْوِدَادِ غَيْرِ جَاهِلِ»[2]
وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ جَزْلِ … حِينَئِذٍ يَقْبَلُهُ بِٱلْعَقْلِ
وَأَنْتَ لَا شَكَّ لَبِيبٌ فَاضِلُ … وَٱلنُّصْحُ لَا يَأْبَاهُ إِلَّا ٱلْجَاهِلُ

(١) كان الاصل :
قال له دمنة كل قول … يكرهه سامعه ذو عول
(٢) كان الاصل :
والنفع للسامع لا للقائل … الاّ اذا حدّث جدّ قابل

وإنني أحذر أن أقولا   وأنت أولى ذا الورى تحصيلا
أخاف أن اذكره فأتهم   لكن نصحي لك من خير الشيم
جزاء ما أوليتني من نعمك   وشكر ما قلدتني بكرمك
فإنما أنفسنا منوطه   بحفظ من أضحت به محوطه
وأصبحت بفضله مضبوطه   آمالها بجوده مربوطه
فكاتم النصح عن السلطان   والداء عن طبيبه المعوان
ما خان إلا نفسه بذلكا   وكان لا شك سفيها هالكا
قال لقد أكثرت في المقاله   فاذكر وعجل ودع الإطاله
قال لقد سمعت أن شتربه   لم يرض رأي الملك لما جربه
وقال للجنود قد فتشته   ولم أجد فيه الذي قدرته
من جرأة وقوة وعقل   ورأفة ورحمة وعدل
وإن لي لا بد يوما وله   من أرب لا بد أن أفعله
فعندها خفت عليك غدره   وما أمنت كيده ومكره
أنت الذي أفسدته ببركا   فهم إذا أكرمته بكفركا
رفعته بالبر فوق قدره   وكان ما أظهر قدر شكره

«فَإِنْ تَزَايَلْ قِيدَ شِبْرٍ دَسْتَكَا | يَكُنْ لَهُ بِدُونِ شَكٍّ مُلْكُكَا» (١)
أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَةَ الْحَكِيمِ | الْفَاضِلِ الْمُجَرَّبِ الْعَلِيمِ
إِذَا رَأَى السُّلْطَانُ مَنْ يُسَاوِيهْ | فِي الْفَضْلِ وَالْقُوَّةِ أَوْ يُضَاهِيهْ
بِالْمَالِ وَالرِّجَالِ فَلْيَفْتِكْ بِهِ | مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْجَأَهُ بِحَرْبِهِ
وَرَأْيُكَ الْأَعْلَى وَأَنْتَ أَعْلَمُ | لَكِنْ فَتْكًا بِالْعَدُوِّ أَحْزَمُ
بَادِرْهُ مَا اسْطَعْتَ إِلَى هَلَاكِهِ | إِنْ فَاتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى اسْتِدْرَاكِهِ
فَالنَّاسُ فِيمَا ذَكَرُوا ثَلَاثَهْ | وَلِلَّبِيبِ فِطْنَةٌ بَحَّاثَهْ
فَعَاجِزُ الرَّأْيِ وَحَازِمَانِ | فَحَازِمٌ لَيْسَ بِذِي تَوَانِي
بَلْ يَدْفَعُ الْخَطْبَ إِذَا مَا وَقَعَا | وَلَا يَضِلُّ وَالِهًا مُرَوَّعَا
وَحَازِمٌ أَكْيَسُ مِنْهُ مَنْ دَفَعْ | عَنْهُ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَبْلَ أَنْ تَقَعْ
وَالْعَاجِزُ الْفَشْلُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ | دَفْعَ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ فَيَهْلِكُ
كَأَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّمَكْ | عَاجِزَةٌ وَجَلْدَتَانِ لَا يُشَكّْ
وَقَعْنَ بِالْمَعْزِلِ فِي غَدِيرِ | فَمَرَّ صَيَّادَانِ فِي الْمَسِيرِ
قَالَا إِذَا عُدْنَا عَمَدْنَا لِلسَّمَكْ | وَصَيْدِهِنَّ بِالشُّصُوصِ وَالشَّبَكْ

(١) كان الاصل
لو سرت للنزهة عن مكانكا | ترى بلا شك على سلطانكا

فَخَرَجَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ الحَازِمَهْ … مِنْ مَبْعَثِ الْمَاءِ وَكَانَتْ عَالِمَهْ
حَتَّى إِذَا مَا حَضَرَ الصَّيَّادَانْ … إِرْتَاعَتِ الأُخْرَى لِمَا يُرِيدَانْ
قَالَتْ لَقَدْ فَرَّطْتُ فِي أُمُورِي … فَالآنَ لَا يَنْفَعُنِي تَدْبِيرِي
فَإِنَّ شَرَّ الرَّأْيِ رَأْيُ الْمُرْهَقْ … فَأَخَذَتْ صَاحِبَتِي بِالأَوْثَقْ
لَكِنَّنِي لَا بُدَّ أَنْ أَحْتَالَا … لِفَرَجِي فَرُبَّ فَأْلٍ نَالَا
وَالرَّأْيِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَائِدَهْ … عَلَى الَّذِي يَنْظُرُ فِيهَا عَائِدَهْ
فَانْقَلَبَتْ طَافِيَةً كَأَنَّهَا … مَيْتَةٌ ثُمَّ كَذَاكَ ظَنَّهَا
ثُمَّ عَلَى ضِفَّتِهِ أَلْقَاهَا … فَانْسَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهَا
وَصَبَرَتْ أُخْتُهُمَا لِعَجْزِهَا … فَأُخِذَتْ وَأُخْرِجَتْ مِنْ حِرْزِهَا
وَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي الْمُبَادَرَهْ … فَاعْجَلْ إِلَى ذَاكَ بِلَا مُشَاوَرَهْ
فَالْجَلْدُ مَنْ بَادَرَ حَسْمَ الدَّاءِ … مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْضُلَ بِالدَّوَاءِ
قَالَ لَهُ فَهِمْتُ مَا تَقُولُ … لَكِنْ أَبَتْ تَصْدِيقَهُ الْعُقُولُ
أَلثَّوْرُ لَا يَخُونُنِي مَعْ بِرِّي … لَهُ فَلَيْسَ الْكُفْرُ دِينَ الْحُرِّ
مَا لِي إِلَيْهِ قَدْ عَلِمْتَ سَيِّئَهْ … نَعَمْ وَلَا يَحْذَرُ مِنِّي مَرْزِئَهْ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ ذَاكَ أَفْسَدَهْ … إِنَّ الْجَمِيلَ لِلَّئِيمِ مَفْسَدَهْ
فَقَلَّ مَنْ تَرْفَعُهُ إِلَّا كَفَرْ … صَنِيعَكَ الْمَحْمُودَ بَغْيًا وَبَطَرْ

أَطْمَعْتَهُ بِمَا فَعَلْتَ فَطَمِعْ فَلَسْتَ مِنْ بَعْدُ بِهِ بِمُنْتَفِعْ
قَدْ يَقْنَعُ ٱللَّئِيمُ بِٱلْقَلِيلِ حَتَّى إِذَا أُهِّلَ لِلْجَلِيلِ
سَمَتْ إِلَى مَا فَوْقَ ذَاكَ هِمَّتُهْ وَلَطُفَتْ فِيمَا يَرُومُ حِيلَتُهْ
وَإِنَّمَا يَخْدُمُكَ ٱللَّئِيمُ لِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ تُقِيمُ
حَتَّى إِذَا ٱسْتَغْنَى بِشَيْءٍ وَأَمِنْ عَادَ إِلَى ٱلْأَصْلِ عَدُوًّا مُضْطَغِنْ
كَذَنَبِ ٱلْكَلْبِ إِذَا ثَقَّفْتَهُ صَحَّ وَيَعْوَجُّ إِذَا حَلَلْتَهُ
وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ ٱلنَّصَائِحَا وَلَمْ يَرَى ٱلرَّأْيَ ٱلسَّدِيدَ صَالِحَا
يَكُونُ كَٱلْمَرِيضِ يَبْغِي شَهْوَتَهْ وَلَوْ عَصَى طَبِيبَهُ وَصِفَتَهْ
وَوَاجِبٌ حَتْمٌ عَلَى ٱلْوَزِيرِ أَنْ يَنْصَحَ ٱلْمُلُوكَ فِي ٱلتَّدْبِيرِ
مُنَبِّهًا عَلَى ٱلْجَمِيلِ ٱلْأَصْلَحْ وَنَاهِيًا عَنِ ٱلدَّنِيِّ ٱلْأَقْبَحْ
وَٱلنُّصْحُ وَٱلصِّدْقُ دَلِيلُ ٱلشَّفَقَهْ وَخَيْرُ إِخْوَانِ ٱلْفَتَى مَنْ صَدَقَهْ
وَخَيْرُ أَعْمَالِ ٱلْفَتَى مَا كَانَ لَهْ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ مُفَضَّلَهْ
وَخَيْرُ مَدْحٍ مَا أَتَى مِنْ فَاضِلِ وَخَيْرُ خِلٍّ مَنْ صَفَا مِنْ بَاطِلِ
وَخَيْرُ خُلْقٍ مَا دَعَا إِلَى ٱلْوَرَعْ أَغْنَى ٱلْأَنَامِ مَنْ نَجَا مِنَ ٱلطَّمَعْ
وَأَحْزَمُ ٱلْمُلُوكِ مَنْ لَمْ يَحْقِرِ عَدُوَّهُ إِذْ ذَاكَ عَيْنُ ٱلْمُنْكَرِ
تَوَسُّدُ ٱلْحَيَّاتِ وَهْيَ تَنْقَلِبْ بَلِ ٱفْتِرَاشُ ٱلنَّارِ وَهْيَ تَلْتَهِبْ

أَوْطَأُ مِنْ عَدَاوَةِ الرِّجَالِ ... فَإِنَّهَا عَظِيمَةُ النَّكَالِ
وَأَعْجَزُ الْمُلُوكِ يَوْماً مَنْ عَدَلْ ... إِلَى الْهُوَيْنَا مَرْكَباً مِنَ الْفَشَلْ
وَلَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي الْعَوَاقِبِ ... أَشْبَهُهُمْ بِالْفِيلِ فِي الضَّرَائِبْ
مَنْ لَيْسَ مُهْتَمّاً بِأَمْرِ الْمُلْكِ ... مُضَيِّعاً يَقِينَهُ بِالشَّكِّ
حَتَّى إِذَا مَا فَادِحُ الْأَمْرِ حَزَبْ ... لَمْ يَجْتَهِدْ فِي نَزْعِ أَنْيَابِ النُّوَبْ
حَتَّى إِذَا ضَيَّعَ أَجَلَّ شَانِهْ ... أَحَالَ بِاللَّوْمِ عَلَى أَعْوَانِهْ
قَالَ لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي الْمَقَالِ ... وَإِنَّمَا لِنُصْحِكَ احْتِمَالِي
فَقَوْلُ كُلِّ نَاصِحٍ مَقْبُولُ ... وَالْهُجْرُ مِنْ مَقَالِهِ مَحْمُولُ
وَإِنْ يَكُنْ شَتْرَبَةٌ عَدُوِّي ... فَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ فِعْلَ سُوءِ
إِذْ أَكْلِيَ اللَّحْمُ وَأَكْلُهُ الْعُشْبْ ... وَهُوَ طَعَامِي فَاعْلَمَنْ بِلَا كَذِبْ
وَمَا أَهُمُّ قَطُّ بِالْعُدْوَانِ ... وَكَيْفَ ذَاكَ وَهُوَ فِي أَمَانِي
وَحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ وَالْمُخَالَطَهْ ... وَشِدَّةِ الْأُلْفَةِ وَالْمُبَاسَطَهْ
أَلْغَدْرُ بِالْمُلُوكِ مَا لَا يَحْسُنُ ... إِنَّ الْوَفَاءَ بِالرِّجَالِ أَزْيَنُ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ... بِنَفْسِهِ احْتَالَ وَكَادَ فَاتَّبِعْ
فَالْمَثَلُ الْمَشْهُورُ غَيْرُ خَافِي ... لَا تَأْمَنَنْ مِنْ عَابِرِي الْأَضْيَافِ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ سَجَايَاهُمْ فَلَا ... تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ سَاعَةً فَتُبْتَلَى

وَلَا تَكُنْ فِي ذَاكَ مِثْلَ ٱلْقَمْلَهْ　　فَتَغْتَدِي بَيْنَ ٱلرِّجَالِ مُثْلَه
قَالَ ٱلْهُمَامُ بَيِّنِ ٱلْحَدِيثَا　　فَقَالَ ضَافَتْ قَمْلَةٌ بُرْغُوثَا
إِلَى فِرَاشِ رَجُلٍ شَرِيفِ　　كَانَتْ بِهِ فِي مَوْضِعٍ لَطِيفِ
تَشْرَبُ فِي ٱلسِّرِّ إِذَا نَامَ دَمَهْ　　ثُمَّ أَضَافَتْهُ بِهِ لِتُكْرِمَهْ
فَٱشْتَدَّ فِي قَرْصَتِهِ لَحْمَ ٱلرَّجُلْ　　فَهَبَّ مِنْ نَوْمَتِهِ وَقَدْ وَجِلْ
يَطْلُبُهُ فَقَفَزَ ٱلْبُرْغُوثُ　　وَوَقَعَتْ وَأَفْلَتَ ٱلْخَبِيثُ
وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ هٰذَا مَثَلَا　　فَصَاحِبُ ٱلسُّوءِ وَإِنْ قَلَّ فَلَا
تُؤْمَنُ مِنْهُ غِيلَةٌ وَحِيلَهْ　　كُنْ خَائِفًا جُنُودَكَ ٱلْجَلِيلَهْ
فَإِنَّهُ أَفْسَدَهُمْ جَمِيعَا　　حَتَّى غَدَا ٱلْكُلُّ لَهُ مُطِيعَا
جَرَّأَهُمْ عَلَيْكَ حَتَّى ٱجْتَرَأُوا　　وَلِلَّذِي أَوْلَيْتَهُمْ مَا كَلَأُوا
وَهُوَ مُطَاعٌ فِيهِمِ بِنَفْسِهِ　　وَإِنْ يَكُنْ مُحْتَقَرًا لِجِنْسِهِ
بِنَفْسِهِ يَلْقَاكَ لَا بِٱلْجُنْدِ　　لَا خَيْرَ فِي كَفٍّ بِغَيْرِ زَنْدِ
فَصَحَّ مَا صَوَّرَهُ فِي قَلْبِهِ　　وَٱسْتَبْدَلَ ٱلْبُغْضَ لَهُ مِنْ حُبِّهِ
وَقَالَ كَيْفَ ٱلرَّأْيُ حَقِّقْهُ إِذَنْ　　فَقَالَ فَقْدُ ٱلضِّدِّ أَشْفَى لِلْحَزَنْ
قَدْ تُؤْلِمُ ٱلسِّنُّ فَإِنْ لَمْ تُقْلَعْ　　لَمْ يَسْتَرِحْ صَاحِبُهَا وَيَهْجَعْ
فَقَلْعُهَا رَوْحٌ لَهُ وَهٰكَذَا　　فَقْدُكَ مَا عَنَاكَ أَنْفَى لِلْأَذَى

فَقَالَ لَمَّا سَمِعَ ٱلْقَوْلَ ٱلْأَسَدْ　　قَدِ ٱسْتَحَالَ فِيهِ رَأْيِي وَفَسَدْ
فَلَسْتُ أَهْوَى أَنْ يَكُونَ جَارِيَا　　وَٱلرَّأْيُ أَنْ أَبُثَّهُ ٱعْتِذَارِيَا
بِمَا أَتَانِي عَنْهُ مِنْ تَقْبِيحِهِ　　وَغَدْرِهِ ٱلْبَادِي إِلَى نَصِيحِهِ
ثُمَّ أَقُولُ سِرًّا فَيَبْدُو عُذْرِي　　وَلَا أُزَنُّ فِي ٱلْوَرَى بِغَدْرِ
فَلَمْ يُوَافِقْ ذَاكَ رَأْيَ دِمْنَهْ　　وَخَافَ أَنْ يُوقِعَهُ فِي مِحْنَهْ
لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُجِيبَهْ　　بِٱلْعُذْرِ كَيْ يَدْفَعَ عَنْهُ ٱلرِّيبَهْ
فَيَظْهَرُ ٱلْحَقُّ وَيَدْرِي ٱلْأَسَدُ　　أَنَّ ٱلَّذِي دَعَا إِلَيْهِ ٱلْحَسَدُ
فَقَالَ بِئْسَ ٱلرَّأْيُ هٰذَا فَٱعْرِفِ　　إِنَّ لَكَ ٱلْخِيَارَ مَا لَمْ تَكْشِفِ
فَإِنْ كَشَفْتَ لِلْعَدُوِّ سِرَّكَا　　لَمْ تَكُ مِنْهُ آمِنًا أَنْ يَفْتِكَا
فَإِنْ أَرَدْتَ ٱلْحَرْبَ قَالَ قَادِرْ　　وَإِنْ نَأَى قَالَ لَئِيمٌ غَادِرْ
وَعَادَةُ ٱلْمُلُوكِ أَنْ لَا يُعْلِنُوا　　أَسْرَارَهُمْ لِمَنْ لِغَدْرٍ يُبْطِنُ
عُقُوبَةُ ٱلسِّرِّ لِذَنْبِ ٱلسِّرِّ　　وَأَنْتَ لَا شَكَّ بِذَاكَ تَدْرِي
فَٱكْتُمْ جَزَاءَ ذَنْبِهِ كَمَا كَتَمْ　　إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ لَمْ تَخْشَ ٱلنَّدَمْ
قَالَ إِذَا عَاقَبْتُهُ بِٱلظَّنِّ　　مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ صَادِقٍ فَإِنِّي
عَاقَبْتُ نَفْسِي وَأَهَنْتُ عِرْضِي　　جَزَاءَ نَقْصِ ٱلْعِرْضِ نَقْصُ ٱلْعِرْضِ
قَالَ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى أَوْفَى حَذَرْ　　فَأَنْتَ مِنْ صُحْبَتِهِ عَلَى خَطَرْ

فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مِنكَ غِرَّهْ وَغَفْلَةً يُظْهِرُ فِيهَا أَمْرَهْ
إِذَا أَتَى وَلَوْنُهُ قَدْ حَالَا مُرْتَعِدًا عَنْ طَبْعِهِ قَدْ زَالَا
مُلْتَفِتًا فِي كُلِّ وَقْتٍ سِرًّا يَنْظُرُ لِلْكَيْدِ إِلَيْكَ شَزْرَا
قَدْ هَمَّ بِالنَّطْحِ وَإِنْ شَاءَ نَطَحْ فَقَالَ إِنْ رَأَيْتُ ذَا فَقَدْ وَضَحْ
صِدْقُكَ فِي مَا قُلْتَهُ فَوَدَّعَهْ ثُمَّ أَتَى شَتْرَبَةً لِيَخْدَعَهْ
مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَخْرَجَ إِذْنَ الْأَسَدِ فِي قَصْدِهِ بِحِيلَةِ الْمُجْتَهِدِ
وَقَالَ آتِيهِ لِأَبْلُو أَمْرَهْ عَسَايَ أَنْ أَعْرِفَ مِنْهُ سِرَّهْ
فَقَالَ سِرْ فَجَاءَهُ حَزِينَا مُكْتَئِبًا حَيْرَانَ مُسْتَكِينَا
« فَرَحَّبَ الثَّوْرُ بِهِ وَآنَسَا لَمَّا رَآهُ وَاجِمًا وَعَابِسَا »
وَقَالَ مَا حَضَرْتَ مُذْ أَيَّامِ فَلِمْ تَأَخَّرْتَ عَنِ السَّلَامِ
سَلَامَةٌ قَالَ وَكَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ أَمْرُهُ إِلَى عَدُوٍّ يَظْلِمُ
فَمَا يَزَالُ خَائِفًا عَلَى خَطَرْ يَحْذَرُ لَوْ أَغْنَى عَنِ الْمَرْءِ الْحَذَرْ
قَالَ لَهُ شَتْرَبَةٌ وَمَا جَرَى قَالَ لَهُ دِمْنَةُ أَمْرٌ قُدِّرَا
وَالْقَدَرُ الْمَحْتُومُ لَا يُغَالَبْ وَالْفَلَكُ الدَّوَّارُ لَا يُحَارَبْ
مَنْ ذَا الَّذِي مِنْ دَهْرِهِ نَالَ الْوَطَرْ وَلَمْ يُعَادِ النَّاسَ بَغْيًا وَبَطَرْ
أَمْ مَنْ جَرَى مَعَ الْهَوَى فَمَا نَدِمْ أَمْ حَاوَرَ النِّسَاءَ يَوْمًا فَسَلِمْ

أَمْ مَنْ صَفَتْ أَيَّامُهُ وَأَنْصَفَتْ ... أَمْ صَحِبَ الْمَلْكَ فَلَمْ يَخْشَ الْعَنَتْ
وَاحَسْرَتِي لِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ ... وَإِنَّمَا الْحِكْمَةُ لِلْأَوَائِلِ
إِنَّهُمُ فِي صَبْرِهِمْ عَمَّنْ مَضَى ... وَتَرْكِهِمْ وَفَاءَهُمْ لِمَنْ وَفَى
شَبِيهُ خَانٍ فَاعْلَمَنْ وَمَكْتَبِ ... مَنْ مَرَّ يَوْمًا عَنْهُمَا لَمْ يُطْلَبِ
لاَ يَحْفِلاَنِ أَبَدًا بِمَنْ رَحَلْ ... لِكُلِّ مَنْ يَمْضِي مِنَ النَّاسِ بَدَلْ
قَالَ لَقَدْ أَزْعَجْتَنِي فَمَا لَكَا ... قَالَ لَهُ أَخْشَى الْهُمَامَ الْمَالِكَا
عَلَيْكَ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ ... يُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ مِنْكَ بَطْنَهُ
وَقَالَ إِنِّي أَشْتَهِي سَنَامَهُ ... وَزَوْرَهُ مُمَشِّشًا عِظَامَهُ
فَجِئْتُ إِذْ سَمِعْتُ ذَا لِأُنْذِرَكْ ... بَطْشَتَهُ فَخُذْ بِجِدٍّ حَذَرَكْ
فَرَاعَ ذَاكَ الثَّوْرَ ثُمَّ فَكَّرَا ... وَقَالَ مَا كَانَ الْجَرِي لِيَغْدُرَا[1]
كَيْفَ وَقَدْ أَعْطَانِيَ الْأَمَانَا ... وَأَكَّدَ الْعُهُودَ وَالْأَيْمَانَا
وَمَا أَسَأْتُ مُذْ لَزِمْتُ بَابَهْ ... وَلاَ جَفَوْتُ مَرَّةً أَصْحَابَهْ
لَكِنَّهُ عَلَى الْقَبِيحِ قَدْ حُمِلْ ... بِكَذِبٍ بُيِّتَ لَيْلًا وَعُمِلْ
وَقَدْ رَأَى مِنْ صُحْبَةِ اللِّئَامِ ... وَعِشْرَةِ الْأَرَاذِلِ الطَّغَامِ
مَا صَدَّقَ الْوَاشِينَ بِالْكَرِيمِ ... وَحَقَّقَ الْغِيبَةَ فِي الْحَلِيمِ

(١) وكان في الاصل - وقال ما أخذه ليغدرا

وصحبة الأشرار حقاً تورث   تهمة كل صاحب وتحدث
فيقتدي العاقل ذو التجارب   مصدقاً في القول كل كاذب
كخطإ البطة لما نظرت   في الماء ضوء كوكب فابتدرت
لأخذه وقدرته سمكة   ثم رأت أن المنايا مهلكة
وأبصرت إذ أقبلت من الغد   حوتاً فظنته كذاك الفرقد
فأخطأت أولة وثانية   والحظ لا تثنيه عنك ثانية
بلغ عني كذباً فصدقه   لما رأى قبلي ممن طوقه
أو قال في رأيه أو غلطا   واشتط في الحكم فقال شططا
وأعجب الأشياء أن تريدا   وصل امرىء فيكثر الصدودا
هذا عجيب والعجيب المفرط   أنك ترضي صاحباً فيسخط
يرضى الذي لعله ما أغضبه   والصعب ما يخفى عليك سببه
قد يفقد الحكم لفقد العلة   كذلك القياس والأدلة
والحق قد يوجد ثم يعدم   وحكمه كذاك ليس يلزم
والسبب الباطل باق دائم   فحكمه الدهر مقيم لازم
والاعتذار مخمد نار الحنق   إن كذب القائل فيه أو صدق
وليس لي ذنب إليه أذكره   إلا صغير مثله لا ينكره

لَمْ آتِهِ مُعْتَمِداً لَكِنْ فَرَطْ — وَالْمَرْءُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْغَلَطْ
لَا سِيَّمَا إِنْ دَامَتِ الْمُخَالَطَهْ — وَزَالَتِ الْكُلْفَةُ بِالْمُبَاسَطَهْ
فَغَلَطُ الْمَرْءِ وَإِنْ تَحَفَّظَا — بِجُهْدِهِ إِذَا رَنَا أَوْ لَحَظَا
لَكِنَّ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْإِنْصَافِ — يَنْظُرُ فِي ذَاكَ بِفَهْمٍ صَافِي
مَا قَدْرُهُ وَحَقُّهُ وَسَبَبُهْ — وَتَرْكُهُ أَوْلَى بِهِ أَمْ أَدَبُهْ
عَمْداً أَتَى ذَلِكَ أَمْ سَهْوٌ بَدَرْ — فَالْأَمْرُ لَا يُقْضَى بِهِ إِذَا نَدَرْ
وَلَا يَلُومُ صَاحِباً إِذَا سَهَا — إِلَّا جَهُولٌ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ النُّهَى
لَا يَحْسُنُ الْعِقَابُ وَالْهَوَانُ — إِلَّا إِذَا مَا قَبُحَ الْغُفْرَانُ
وَاللهِ مَا خَالَفْتُهُ فِي أَمْرِ — بَلْ رُبَّمَا نَهَيْتُهُ عَنْ شَرِّ
أَوْ فِعْلِ أَمْرٍ لَا يَجُوزُ فِعْلُهُ — أَوْ فَاحِشٍ يَأْنَفُ مِنْهُ مِثْلُهُ
نَصِيحَةً مِنِّي وَمِثْلِي يَنْصَحْ — فَظَنَّ ذَاكَ فِي عُلَاهُ يَقْدَحْ
وَجُرْأَةً مِنِّي عَلَى خِلَافِهْ — كَيْفَ وَقَدْ أَفْصَحَ بِاعْتِرَافِهْ
أَنِّي لَهُ فِي ذَاكَ عَيْنُ النَّاصِحْ — وَمُرْشِدٌ هَادٍ إِلَى الْمَصَالِحْ
وَكَانَ ذَاكَ الْقَوْلُ مِنِّي سِرَّا — لَا بَيْنَ قُوَّادِ الْجُيُوشِ جَهْرَا
فِي خَلْوَةٍ بِذُلِّ عَبْدٍ مُنْكَسِرْ — مُحَاذِرٍ بَطْشَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ
مَنْ طَلَبَ الرُّخْصَةَ مِنْ مُشِيرِهْ — فِي فِعْلِهِ أَخْطَأَ فِي تَدْبِيرِهْ

فإنما النصيح كالطبيب   أو كالفقيه العالم الأريب
" إن لم يكن ذلك علة الغضب   ساغ لنا القول لقد كان السبب "
من سكرة الملك فإن سكره   يسلبه رشاده وحجره
فيعكس القياس في الأمور   ويجعل الصحيح كالمكسور
مقربا من يستحق البعدا   وجازيا بالبغض جهلا ودا
يفعل ما يريده بلا سبب   إلا كما آثر منه وأحب
لذاك قال الحكماء خاطرا   من ركب البحر العظيم الزاخرا
وصاحب السلطان ذو المشاوره   أشد منه فاعلمن مخاطره
لو بذل المجهود في خدمته   لم يك بالسالم من سطوته
يهلك أو يشفي على الهلاك   كذاك حال صاحب الأملاك
أو لا ففضلي آفتي كالشجره   يكسرها القوم لطيب الثمره
كذاك فاعلم ذنب الطاووس   صيره في الطير كالمحبوس
والفرس الجواد حين يركب   يكده فارسه ويتعب
والرجل الفاضل ذو المروه   يطرحه حساده في هوه
لأن أهل الشر فيهم كثره   يبغون للحر الكريم عثره
يبغونه فلا يكاد يسلم   لأنه منفرد بينهم

أَوِ الْقَضَاءُ الْغَالِبُ الْمَحْتُومُ   فَفِيهِ حَارَ الْفَاضِلُ الْحَكِيمُ
قَدْ يُوطِئُ الصَّبِيُّ ظَهْرَ فِيلِهِ   وَيَبْذِلُ اللَّيْثُ الزُّبَى مِنْ غِيلِهِ
وَيَسْحَرُ الْحَيَّةَ لِلْحَوَّاءِ   وَيَخْدَعُ الْأَرِيبَ بِالْأَهْوَاءِ
وَيَنْقُلُ الرِّجَالَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ   بِجَدِّهِمْ يُعْطَوْنَ لَا اسْتِحْقَاقِهِمْ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ لَا بَلْ طَبْعُهُ   الْغَدْرُ وَهُوَ لَا يُطَاقُ نَزْعُهُ
فَفِعْلُهُ أَوَّلُهُ حَلَاوَهْ   وَبَعْدَهُ مَرَارَةُ الْعَدَاوَهْ
لَا بَلْ هُوَ السُّمُّ الْمُمِيتُ الْقَاتِلْ   قَالَ لَهُ الثَّوْرُ وَنِعْمَ الْقَائِلْ
قَدْ ذُقْتُ مِنْ حَلْوَائِهِ اللَّذِيذَا   فَالْآنَ جِئْتُ مَصْرَعِي وَقِيذَا
مَا كَانَ لَوْلَا الْحَيْنُ وَالْخِذْلَانْ   تَصْطَحِبُ الْأُسُودُ وَالثِّيرَانْ
إِنَّ الَّذِي أَلْقَاهُ بَعْضُ مَا فَعَلْ   فَقُبِّحَ الْحِرْصُ وَقُبِّحَ الْأَمَلْ
قَدْ حَبَسَا عَنِّي نَصِيبِي الْأَوْفَرْ   مِثْلَ احْتِبَاسِ النَّحْلِ فِي النَّيْلُوفَرْ
لَمَّا وَجَدْنَ رِيحَهُ ذَكِيَّا   نَسِينَ لِلْحَيْنِ بِهِ الْمُضِيَّا
فَانْطَبَقَتْ أَوْرَاقُهُ عَشِيَّا   حَتَّى لَقِينَ الْأَجَلَ الْمَقْضِيَّا
وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْكِفَايَهْ   وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا بَعِيدَ الْغَايَهْ
مِثْلُ الذُّبَابِ عَافَ أَوْرَاقَ الشَّجَرْ   وَتَرَكَ الرَّيْحَانَ جَهْلًا وَبَطَرْ
وَرَامَ مَا تَحْتَ أُذَانِ الْفِيلِ   فَغَادَرَتْهُ ثَمَّ كَالْقَتِيلِ

وَإِنَّ مَنْ يَنْصَحُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهْ | كَزَارِعٍ فِي سَبَخٍ لاَ يَحْصُدُهْ
أَوْ نَاصِحٍ لِأَصْلَخٍ لاَ يَسْمَعُ | أَوْ مُعْجَبٍ بِعِشْرَةٍ لاَ تَنْفَعُ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ دَعْ هٰذَا وَجِدْ | فِي حِيلَةٍ تَدْفَعُ عَنْكَ وَتَرُدّْ
قَالَ لَهُ دَعْنِي فَسَوْفَ أَحْتَالْ | فَإِنَّنِي أَعْرِفُهُ عَلَى حَالْ
« لَوْ كَانَ لاَ يَطْلُبُ قَطُّ ضَيْرِي | وَصَحْبُهُ لاَ يَبْتَغُونَ خَيْرِي »
« لَقَدَرُوا بِمَكْرِهِمْ وَالْحِيَلِ | عَلَى أَذَايَ دُونَ سَبْقِ زَلَلِي »(١)
إِنَّ اجْتِمَاعَ الضُّعَفَاءِ الْمَكَرَهْ | وَهَلْ يَقُومُ وَاحِدٌ بِعَشَرَهْ
عَلَى الْقَوِيِّ الصَّالِحِ الْبَرِيِّ | يُتْلِفُهُ بِالْأَجَلِ الْوَحِيِّ
أَمَا سَمِعْتَ مَا جَرَى عَلَى الْجَمَلْ | مِنْ حِيلَةٍ تَفُوقُ أَنْوَاعَ الْحِيَلْ
لِلذِّئْبِ وَالْغُرَابِ وَابْنِ آوَى | لَمَّا غَدَوْا بِبُغْضِهِ نَشَاوَى
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ حَدِّثْنِي بِمَا | سَمِعْتَ مِنْ كَيْدِهِمِ مُعَلِّمَا
قَالَ نَعَمْ حُدِّثْتُ أَنَّ أَسَدَا | فِي غَيْضَةٍ كَانَ شَدِيدًا أَبَدَا
يَصْحَبُهُ الثَّلٰثَةُ الْأَشْرَارُ | وَبِالْشِّرَارِ تَهْلِكُ الْخِيَارُ
أَكْلُهُمُ مِنْ فَضْلِ مَا يَصِيدُهْ | لِأَنَّهُ مَوْلًى وَهُمْ عَبِيدُهْ

(١) وكان في الاصل عوض البيتين :
لو لم يرد الأ الجميل الحسنا | وكان في اصحابه لأمكنا

وَلَا يَسُودُ فِي ٱلرِّجَالِ إِلَّا — مَنْ يَحْمِلُ ٱلْكَلَّ وَيَحْمِي ٱلْفَلَا

فَٱجْتَازَ قَوْمٌ مَالُهُمْ كَثِيرُ — فَضَلَّ مِنْ بُعْرَانِهِمْ بَعِيرُ

وَغَابَ عَنْهُمْ بَيْنَ دَوْحِ ٱلْأَجَمَةْ — فَصَادَفَ ٱللَّيْثَ بِهَا فَكَلَّمَهْ

وَقَالَ مَا تَبْغِي فَقَالَ خِدْمَتَكْ — قَالَ بَلَغْتَ مِنْ جِوَارِي هِمَّتَكْ

أَقِمْ لَدَيْنَا فَأَقَامَ مُدَّهْ — لَمْ يَرَ فِيهَا فَاقَةً وَشِدَّهْ

ثُمَّ غَدَا ٱللَّيْثُ فَلَاقَى فِيلَا — فَنَكَّلَ ٱلْفِيلُ بِهِ تَنْكِيلَا

وَعَادَ نَحْوَ صَحْبِهِ كَلِيمَا — لِلضَّعْفِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرِيمَا

فَلَمْ يَصِدْ شَهْرًا وَزَادَ جُوعُهْ — وَرِيعَ رُوعُ صَحْبِهِ وَرُوعُهْ

قَالَ لَهُمْ تَجَسَّسُوا وَٱرْتَادُوا — شَيْئًا قَرِيبًا عَلَّنَا نَصْطَادُ

فَإِنَّنَا جَمِيعَنَا جِيَاعُ — وَٱلْجُوعُ لَا تَحْمِلُهُ ٱلطِّبَاعُ

فَٱئْتَمَرُوا لَمَّا غَدَوْا وَقَالُوا — كَوْنُ ٱلْبَعِيرِ بَيْنَنَا مُحَالُ

قَالَ ٱبْنُ آوَى مَنْ عَلَيْهِ يَقْدِمُ — وَهْوَ مَكِينٌ عِنْدَهُ مُكَرَّمُ

أَعْطَاهُ مِمَّا يَكْرَهُ ٱلْأَمَانَا — وَلَيْسَ مِمَّنْ يَنْكُثُ ٱلْأَيْمَانَا

فَٱنْصَرَفَ ٱلْغُرَابُ وَهْوَ ذُو نَكَدْ — بِحِيلَةٍ مِنْهُ فَقَالَ لِلْأَسَدْ

كَيْفَ نُطِيقُ ٱلصَّيْدَ أَوْ نَطُوفُ — وَكُلُّنَا لِجُوعِهِ ضَعِيفُ

وَعِنْدَنَا رَأْيٌ إِنِ ٱرْتَضَيْتَهْ — عِشْنَا وَلَا نُفْلِحُ إِنْ أَبَيْتَهْ

أَلرَّأْيُ أَنَّا نَأْكُلُ ٱلْبَعِيرَا   فَلَيْسَ فِي ٱلْجِنْسِ لَنَا نَظِيرَا
فَقَالَ بِئْسَ ٱلرَّأْيُ يَا مُدَبِّرُ   أَجَائِزٌ أَنِّي بِجَارِي أَغْدُرُ
لَوْلَا ٱلَّذِي أَعْرِفُهُ مِنْ حُمْقِكَا   لَمْ أَكُ يَوْمًا مُشْفِقًا مِنْ قَتْلِكَا
أَرَدْتَ أَنْ أَكْذِبَ فِي مِيثَاقِي   غَدْرًا وَلَيْسَ ٱلْغَدْرُ مِنْ أَخْلَاقِي
أَبَعْدَ مَا أَجَرْتُهُ أَجُورُ   عَلَيْهِ إِنِّي جَاهِلٌ غَدُورُ
لَقَدْ تَجَرَّأْتَ إِذِ ٱسْتَقْبَلْتَنِي   بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقَوْلِ وَٱسْتَجْهَلْتَنِي
أَمَا سَمِعْتَ ٱلْقَوْلَ لَيْسَ صَدَقَةْ   كَمَنْعِكَ ٱلْخَائِفَ مِمَّا طَرَقَهْ
قَالَ عَرَفْتُ ذَاكَ لٰكِنْ عُذْرِي   بَادٍ لَدَيْكَ ظَاهِرٌ كَٱلْفَجْرِ
قَدْ يَفْتَدِي بِٱلْمَرْءِ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ   حِذَارَ أَنْ يَشْتَرِكُوا فِي ٱلْمَوْتِ
وَيَفْتَدِي بِبَيْتِهِ قَبِيلَهْ   مِمَّا عَرَا حِينَ تَضِيقُ ٱلْحِيلَهْ
وَيَفْتَدِي ٱلْبِلَادُ بِٱلْقَبَائِلِ   وَإِنْ عَلَتْ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ هَائِلِ
وَٱلْمِصْرُ لَا شَكَّ فِدَاءُ ٱلْمَلِكِ   إِنْ خَافَ مِنْ بَطْشِ عَدُوٍّ مُهْلِكِ
فَغَيْرُ بِدْعٍ إِنْ وَقَيْنَا بِٱلْجَمَلْ   نُفُوسَنَا فَمَا لَنَا مِنْهَا بَدَلْ
وَحِيلَتِي فِي أَكْلِهِ لَطِيفَهْ   تُعْجَبُ مِنْهَا نَفْسُكَ ٱلشَّرِيفَهْ
وَلَا تُلَامُ مَعَهَا فِي أَكْلِهْ   وَلَا تُظَنُّ غَادِرًا بِخِلِّهْ
فَأَطْرَقَ ٱللَّيْثُ وَمَا أَجَابَا   بَلْ كَلَّمَتْ لِحَاظُهُ ٱلْغُرَابَا

فعاد بالقول إلى خليه   يرفل للنجاح في برديه
وقال إني قد خدعت الأسدا   ففي البعير فكروا واجتهدا
قالوا له احتل حيلة الرجال   قال ارجعوا جمعا إلى الرئبال
فقرظوه واشكروا إنعامه   وبره وأظهروا إعظامه
ثم اذكروا ضيقته وجوعه   وليذر كل منكم دموعه
ثم يقول إننا إن لم نكن   في مثل هذي الحال أعوانا نحن
لا خير فينا بعد ذا وما وفى   منا له ذو صحبة ولا كفى
فعل الجميل للرجال عده   وإنما تعرفهم في الشده
الناس إخوان الرخاء كلهم   حتى إذا ما حال حال جلهم
وقل منهم من يدوم وده   عند الشقاء أو يصح عهده
حينئذ يقول كل واحد   كلني فإني لك عين الحامد
أقيك بالمهجة مما حل بك   فبدر الغراب غير مرتبك
وقال نفسي لك يا مولاها   كلها تنل من دهرها مناها
قال له عن ذاك صاحباه   هذا هو الضلال والسفاه
قال ابن آوى أنت لا تشبعه   وإنني لطيب أقنعه
فرد ذاك الذئب والغراب   غير الذي أبديته صواب

أَنْتَ خَبِيثٌ مُنْتِنٌ صُعْلُوكُ ‏ ‏ مِثْلُكَ لَا تَأْكُلُهُ الْمُلُوكُ
قَالَ لَهُ الذِّئْبُ وَلَكِنْ لَحْمِي ‏ ‏ خَيْرٌ فَكُلْ مِنْهُ بِغَيْرِ إِثْمِ
قَالَ ابْنُ آوَى وَالْغُرَابُ إِنَّهُ ‏ ‏ مَنْ أَكَلَ الذِّئْبَ عَرَتْهُ مِحْنَهْ
إِذْ لَحْمُهُ يُوَلِّدُ الْخُنَاقَا ‏ ‏ وَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ مَنْ أَفَاقَا
« فَظَنَّ إِذْ ذَاكَ الْبَعِيرُ أَنَّهُ ‏ ‏ إِنْ قَالَ مِثْلَهُمْ يُسَفِّهُونَهُ »
« ثُمَّ تَدَنَّى مِنْهُمُ وَأَسْمَعَا ‏ ‏ مَا لَحْمُكُمْ بِمُشْبِعٍ الْجُوَّعَا »
« لَكِنْ أَنَا إِذَا أُكِلْتُ أُشْبِعُ ‏ ‏ وَإِنَّ لَحْمِي طَيِّبٌ وَيَنْفَعُ »
« كُلْنِي إِذًا مَوْلَايَ وَأَطْعِمْ حَشَمَكْ ‏ ‏ وَكُلَّ مَنْ تَعْرِفُهُ قَدْ خَدَمَكْ »
« فَكَانَ قَوْلُ جُمْلَةِ الْأَصْحَابِ ‏ ‏ قَدْ نَطَقَ الْبَعِيرُ بِالصَّوَابِ »[1]
وَابْتَدَرُوهُ بِالْمَخَالِبِ إِلَى ‏ ‏ أَنْ عَادَ شِلْوًا بَيْنَهُمْ فَأُكِلَا
« وَقَدْ ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَا ‏ ‏ مُخْتَصَرًا مُبَيَّنًا مُفَصَّلَا »
« لِكَيْ تَرَى أَنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ ‏ ‏ عَلَى الصِّحَابِ إِنْ رَأَوْا أَنْ يَغْدِرُوا »
« وَإِنْ يَكُنْ رَأْيُ الْهُمَامِ فِيَّا ‏ ‏ خَيْرًا وَيَدْرِي جَانِبِي بَرِيَّا »
« فَلَا يَرُدُّ ذَاكَ عَنْ عَيْنِي الْقَذَى ‏ ‏ إِذَا أَرَادَ صَحْبُهُ لِيَ الْأَذَى »

(١) كان عوض هذه الأبيات :

ثم دنا منه البعير قائلا ‏ ‏ كقولهم فظن ظنا نائلا

وَقَالَ فِي الأَمْرِ المُلُوكُ الأُوَلُ ... وَهُوَ لَهُمْ بِقَوْلِهِمْ يُمَثِّلُ
إِنَّ الشَّرِيفَ مِنْهُمُ كَالنَّسْرِ ... أَقَامَ بَيْنَ جِيَفٍ وَقَبْرِ
وَكُلُّهُمْ كَجِيَفٍ مُلْقَاةِ ... بَيْنَ نُسُورِ الجَوِّ وَالبُزَاةِ
لَوْ لَمْ يُرِدْ لِي الشَّرَّ كَانَ جُنْدُهُ ... إِلَى الَّذِي أَكْرَهُهُ يَرُدُّهُ
فَالمَاءُ مِنْ قَوْلِ العَدُوِّ أَلْطَفُ ... وَالقَلْبُ مِنْ صُمِّ الصُّخُورِ أَضْعَفُ
ثُمَّ إِذَا المَاءُ عَلَى صَخْرٍ جَرَى ... مُدَيْدَةً غَادَرَ فِيهِ أَثَرَا
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ مَا تُرِيدُ ... قَالَ القِتَالَ إِنَّنِي شَدِيدُ
وَلاَ أُرَى مُسْتَسْلِمًا ذَلِيلاَ ... مِنْ غَيْرِ مَا مَعْذِرَةٍ قَتِيلاَ
أَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي بِذَاكَ الشَّرَّا ... دَفْعَ مُرَجٍّ فِي الجِهَادِ أَجْرَا
« فَلَيْسَ لِلعَابِدِ فِي صَلاَتِهِ ... وَلاَ المُزَكِّي قَطُّ فِي زَكَاتِهِ »
« أَجْرُ الَّذِي عَنْ نَفْسِهِ يُجَاهِدُ ... فِي الحَقِّ فَالأَوْلَى بِيَ التَّجَالُدُ »
لاَ بُدَّ مِنْ مَوْتٍ وَمَوْتِي صَابِرَا ... مُجَاهِدًا مُجَاهِرًا مُغَامِرَا
أَحْسَنُ بِي مِمَّا أُقَادُ خَاضِعَا ... وَلاَ أُرَى مُمَانِعًا مُدَافِعَا
إِمَّا يَمُوتُ أَوْ أَمُوتُ إِنَّهْ ... لِي إِنْ قُتِلْتُ أَوْ قَتَلْتُ الجَنَّةْ
فَدَفْعُهُ عَنْ مُهْجَتِي عِبَادَهْ ... وَإِنْ قُتِلْتُ فَهِيَ الشَّهَادَهْ
ذَاكَ الَّذِي يُبَرِّدُ حَرَّ قَلْبِي ... انَّ الشُّجَاعَ رَوْحُهُ فِي الحَرْبِ

قَالَ لَهُ دِمنَةٌ مَنْ يُخَاطِرْ ... بِنَفْسِهِ وَلِلرَّدَى يُبَاشِرْ
يَسْتَوْجِبُ التَّعْنِيفَ وَالْمَلَامَهْ ... وَشِدَّةَ الْعِقَابِ فِي الْقِيَامَهْ
إِنْ فَازَ لَمْ يُحْمَدْ وَإِنْ خَابَ شُتِمْ ... وَقَلَّ مَنْ خَاطَرَ إِلَّا وَنَدِمْ
وَمَثَلٌ قَدْ قَالَهُ الْأَوَائِلْ ... فِيهِ لِمَنْ يَبْغِي الْعُلُومَ طَائِلْ
تَوَقَّ كَيْدَ خَصْمِكَ الضَّعِيفِ ... الْعَاقِلِ الْمُجَرَّبِ الْحَصِيفِ
فَكَيْفَ بِالْخَصْمِ الْقَوِيِّ الْعَاقِلِ ... الْفَاضِلِ الْمُحَاوِلِ الْمُزَاوِلِ
مَنْ أَمِنَ الْحُسَّادَ وَالْأَعْدَاءَ ... لَاقَى الشَّقَاءَ الْبَحْتَ وَالْبَلَاءَ
إِنَّ وَكِيلَ الْبَحْرِ لَمَّا احْتَقَرَا ... الطِّيطَوَى الْحَقِيرَ لَاقَى الْعِبَرَا
عَشَّشَ مَعْ زَوْجَتِهِ بِالسَّاحِلِ ... فَقَالَتِ الْأُنْثَى مَقَالَ عَاقِلِ
لَوِ انْتَقَلْنَا كَانَ ذَاكَ أَحْرَى ... بِمِثْلِنَا إِنِّي أَخَافُ الْبَحْرَا
قَالَ لَهَا الزَّوْجُ دَعِي عَنْكِ الْحَذَرْ ... فَالْبَحْرُ لَا يُهْلِكُنَا وَإِنْ زَخَرْ
لِأَنَّهُ يَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبْ ... بِرَأْيِ صَافِي الرَّأْيِ ذِي تَجَارِبْ
قَالَتْ لَهُ قَوْلُكَ قَوْلُ الْأَحْمَقِ ... وَلَسْتَ فِي رَأْيِكَ بِالْمُوَفَّقِ
الْحُرُّ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلْ ... وَلَا يَرُومُ حَمْلَ مَا لَا يُحْمَلْ
قَدْ قِيلَ أَقْوَى النَّاسِ جَمْعًا مَعْرِفَهْ ... عَارِفُ قَدْرِ نَفْسِهِ بِلَا صِفَهْ
أَيُوعِدُ الْبَحْرَ مَقَالُ الْجَاهِلْ ... لَقَدْ أَتَيْتَ بِالشَّنِيعِ الْبَاطِلْ

قَالَتْ لَهُ إِذْ أَكْثَرَتْ وَأَكْثَرَا وَضَجِرَتْ مِنْ عَتْبِهِ وَضَجِرَا
مَنْ لَمْ يُطِعْ نَصِيحَهُ تَخَلَّفَا أَصَابَهُ كَمَا أَصَابَ السُّلْحفَا
قَالَ اذْكُرِي بِاللّٰهِ مَا أَصَابَهَا قَالَتْ لَهُ وَأَعْلَنَتْ خِطَابَهَا
كَانَتْ بِأَرْضٍ عَيْنُ مَاءٍ زَاخِرَهْ صَافِيَةٌ مِنْ كُلِّ رَنْقٍ غَامِرَهْ
فِيهَا مِنَ الطُّيُورِ بَطَّتَانِ وَسُلْحفَا وَفِي مِنَ الحِيتَانِ
فَطَالَتِ الصُّحْبَةُ حَتَّى اسْتَأْنَسُوا وَالوَطَنُ الجَامِعُ لَا التَّجَانُسُ
فَجَفَّتِ العَيْنُ وَغَارَ المَاءُ وَحَلَّ بِالثَّلَاثَةِ البَلَاءُ
فَقَالَتَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَنْتَقِلْ إِلَى مَكَانٍ غَيْرِهِ وَنَرْتَحِلْ
قَالَتْ وَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا السُّلْحفَا لَمْ يَبْقَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ ذُو وَفَا
فَقَالَتَا لِمْ بِئْسَ مَا ذَاكِ إِنَّا لَيَعْنِينَا الَّذِي عَنَاكِ
قَالَتْ أَبَعْدَ الصُّحْبَةِ المَدِيدَهْ وَالأُلْفَةِ الصَّادِقَةِ الوَكِيدَهْ
تَنْتَقِلَانِ ثُمَّ أَبْقَى مُفْرَدَهْ إِذَا أَمُوتُ فِي مَكَانِي مُكْمَدَهْ
لَوْ كُنْتُمَا رَعَيْتُمَا الإِخَاءَ طَلَبْتُمَا أَيْضًا لِيَ النَّجَاءَ
فَأَنْتُمَا أَعْلَمُ بِالصَّلَاحِ مِنِّي وَأَوْلَى اليَوْمَ بِالفَلَاحِ
لِأَنَّنِي حُوتٌ حَيَاتِي المَاءُ وَلَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ بَقَاءُ

« فَقَالَتَا إِنْ أَنْتِ سَاعَدْتِ بِمَا ... نَبْغِي قَصَدْنَا جُمْلَةً مَحَلًّا مَا »[1]

هٰذَا قَضِيبٌ فَالْزَمِي بِفِيكِ ... وَسَطَهُ وَإِنَّنَا نَكْفِيكِ

فَشَالَتَا رَاسَيْهِ وَهْيَ فِي الْوَسَطْ ... وَطَارَتَا فَأَكْثَرَ النَّاسُ اللَّغَطْ

أَلْعَجَبُ الْعَجَبُ إِنَّ السُّلَحْفَا ... تَطِيرُ بَيْنَ زَوْجِ بَطٍّ وَحَفَا

فَفَتَحَتْ فَاهَا تُعِيذُ نَفْسَهَا ... بِاللهِ مِنْ عُيُونِهِمْ فَمَسَّهَا

مَا أَشْفَقَتْ مِنْهُ فَخَرَّتْ سَاقِطَهْ ... كَذَاكَ لَا شَكَّ تَكُونُ الْغَالِطَهْ

قَالَ لَهَا الزَّوْجُ سَمِعْتُ قَوْلَكِ ... فَمَشِّي فِيهِ وَخَلِّي خَوْفَكِ

فَالْبَحْرُ لَا يَفْعَلُ خَوْفَ الْعَاقِبَهْ ... فَذَهَبَتْ مِنْ قَوْلِهِ مُغَاضِبَهْ

فَفَرَخَتْ وَالْبَحْرُ قَدْ كَانَ سَمِعْ ... مَقَالَةَ الزَّوْجِ لَهَا لَا يَرْتَدِعْ

فَعَجِبَ الْبَحْرُ وَمَدَّ وَزَجَرْ ... فَأَخَذَ الْفَرْخَيْنِ وَالْعُشَّ وَمَرّْ

قَالَتْ لَهُ لَقَدْ رَأَيْتَ مَا جَرَى ... قَالَ لَهَا وَسَتَرَيْنَ الْعِبَرَا

فَجَمَعَ الطُّيُورَ مُسْتَغِيثَا ... مِمَّا جَرَى وَذَكَرَ الْحَدِيثَا

قَالَتْ لَهُ الطُّيُورُ مَاذَا نَصْنَعْ ... أَلْبَحْرُ أَقْوَى قُوَّةً وَأَمْنَعْ

قَالَ إِذَا قَصَدْتُمُ الْعَنْقَاءَ ... أَزَالَ عَنَّا الْبُؤْسَ وَالشَّقَاءَ

---

(١) كان الاصل :

فقالتا إن أنتِ ساعدتينا ... بالصبر سرنا كلّنا قطينا

فَبَاتَتِ ٱلطُّيُورُ وَهِيَ بَاكِيَةْ ... مِنْهُ إِلَى عَنْقَائِهِنَّ شَاكِيَةْ

قَائِلَةً أَنْتِ ٱلْكَبِيرُ ٱلسَّيِّدُ ... وَدَفْعُكِ ٱلْمَكْرُوهَ عَنَّا ٱلسُّؤْدَدُ

إِنَّ ٱلْعَظِيمَ فِي ٱلْعَظِيمِ يُقْصَدُ ... لَا مَجْدَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ لَا يُحْمَدُ

قَالَ وَمَا أَصْنَعُ قُلْنَ جَمْعَا ... أَلْمَرْءُ لَا يَجْهَلُ كَيْفَ يَسْعَى

إِذَا أَرَادَ لِأَخِيهِ نَفْعَا ... فَهَتَفَ ٱلْعَنْقَاءُ سَمْعًا سَمْعَا

وَجَاءَ فِي ٱلْحَالِ إِلَى مُتَعَدِهْ ... وَهُوَ قَوِيٌّ مُفْرَدٌ فِي جَلَدِهْ

مُسْتَنْجِدًا عَلَى وَكِيلِ ٱلْبَحْرِ ... فَذُعِرَ ٱلْوَكِيلُ أَيَّ ذُعْرِ

مِنْهُ وَرَدَّ مَدُّهُ ٱلْفَرْخَيْنِ ... فَعَادَ مَسْرُورًا قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَا ... مَوْعِظَةً مِنِّي لِكَيْ لَا تَعْجَلَا

إِنَّ ٱلْقِتَالَ آخِرُ ٱلْأَعْمَالِ ... بَعْدَ نُكُولِ حِيلَةِ ٱلْمُحْتَالِ

فَعِنْدَ هٰذَا ٱلْقَوْلِ قَالَ ٱلثَّوْرُ ... تَغَيُّرِي عَلَى ٱلْهُمَامِ جَوْرُ

وَٱللّٰهِ مَا بَدَأْتُهُ بِشَرِّ ... فِي حَالَةِ ٱلسِّرِّ وَلَا فِي ٱلْجَهْرِ

حَتَّى أَرَى مِنْهُ ٱلَّذِي أَخَافُهْ ... حِينَئِذٍ يَحْسُنُ بِي خِلَافُهْ

فَٱرْتَاعَ مِنْ هٰذَا ٱلْكَلَامِ دِمْنَهْ ... وَقَالَ إِذْ فَكَّرَ فِيهِ إِنَّهْ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَلَامَاتُ ٱلْغَضَبْ ... وَلَمْ يَحُلْ عَنْ حَالِهِ خِفْتُ ٱلْعَطَبْ

إِذَا رَآهُ سَاكِنًا كَمَا كَانْ ... حَقَّقَ أَنِّي قَدْ ذَكَرْتُ ٱلْبُهْتَانْ

فَقَالَ لِلثَّوْرِ إِذَا رَأَيْتَهْ قَدْ حَالَ عَنْ حَالَتِهِ أُنَبِّئْتَهْ
قَالَ وَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَغَيُّرِهْ عَلَيَّ فِي الْحَالِ وَمِنْ تَنَكُّرِهْ
قَالَ تَرَاهُ مُقْعِيًا يَكِيدُ كَا وَفَاغِرًا فَاهُ بِهِ يُرِيدُ كَا
وَضَارِبًا مَا حَوْلَهُ بِذَنَبِهْ فَذَاكَ فَاعْرِفْهُ دَلِيلُ غَضَبِهْ
قَالَ لَئِنْ رَأَيْتُهُ كَذَاكَ بَادَرْتُهُ الصِّيَالَ وَالْعِرَاكَا
حَتَّى إِذَا مَا أَفْسَدَ الْوِدَادَا بَيْنَهُمَا وَأَلْقَحَ الْعِنَادَا
جَاءَ إِلَى صَاحِبِهِ لِيُخْبِرَهْ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قَالَ مُنْكِرَهْ
أَلْقَيْتُ مَا بَيْنَهُمَا ضَغِينَهْ نَفْسَاهُمَا بِشَرِّهَا رَهِينَهْ
فَلَنْ يَعُودَا أَخَوَيْنِ أَبَدَا وَالْوُدُّ لَا يَبْقَى إِذَا مَا فَسَدَا
وَالْحُبُّ لَا يَرْجِعُ بَعْدَمَا ذَهَبْ أَضْرَمْتُ نَارًا فِيهِمَا ذَاتَ لَهَبْ
دَبَّبْتُ بِالْكَيْدِ وَذُو الشَّرِّ يَدِبّْ فَمَا أُبَالِي مِنْهُمَا بِمَنْ عَطِبْ
وَحَضَرَا فِي جُمْلَةِ الْأَصْحَابِ فَدَخَلَ الثَّوْرُ بِلَا حِجَابِ
فَصَرَّ أُذْنَيْهِ وَأَقْعَى الْأَسَدُ وَلَمْ تَزَلْ أَعْضَاؤُهُ تَرْتَعِدُ
يَضْرِبُ جَنْبَيْهِ جَمِيعًا بِالذَّنَبْ وَيَحْرِقُ النَّابَ لِسَوْرَاتِ الْغَضَبْ
فَصَدَّقَ الثَّوْرُ كَلَامَ دِمْنَهْ وَقَالَ إِذْ حَقَّقَ فِيهِ ظَنَّهْ
مُجَاوِرُ الْمَلِيكِ فِي مَا يَذْعَرُهْ مِنْهُ وَمَا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهْ

كأنه مجاور لأفعى   يخاف في الساعات منها اللسعا
أو مثل من جاور ليثا خادرا   أو سابح يقطع بحرا زاخرا
فيه التماسيح فليس يدري   متى تفاجيه بأمر نكر
وفكر الثور وقد تغيرا   فظن فيه الليث بل تصورا
أن قد أتاه طالبا قتاله   وقال صح القول لا محاله
فوثب الليث عليه ووثب   فكاد كل منهما يلقى العطب
وسالت الدماء من كلاهما   وبقيا عبرة من يراهما
قال له صاحبه لم ترفق   لقد فعلت اليوم فعل الأخرق
فبئست الحيلة كانت حيلتك   فإنها إلى الردى وسيلتك
قال له دمنة في ذاك ولم   تلومني في ما جرى ولم ألم
شفيت نفسي وقضيت أربي   وكان هذا حاجتي وطلبي
قال فضحت الملك الهماما   وفرق الملك فلن يلتاما
ومر من يديه مثل شتربة   وما الليالي بعده بمنجبة
والخرق أن تفعل ما تستغني   عن فعله فتكثر التعني
كم من كمي أمكنته فرصة   فخاف عقباها تكون غصة
فكف عنها حذر المخاطرة   والغر يغتر بأدنى بادرة

وَقَالَ عَلِيٌّ أَبْلُغُ الْمُرَادَا   وَلَمْ أُرِدْ لِأَحَدٍ فَسَادَا
إِنَّ وَزِيرَ الْمَلِكِ وَالْمُشِيرَا   عَلَيْهِ بِالْحَرْبِ إِذَا اسْتُشِيرَا
فِي مَا يُطِيقُ دَفْعَهُ بِالسِّلْمِ   فَهْوَ لَهُ لَا شَكَّ شَرُّ خَصْمِ
إِنْ جَبُنَ الْمَرْءُ لِضَعْفِ قَلْبِهِ   فَخَطَلُ الرَّأْيِ مُضِرٌّ صَحْبِهِ
فَالرَّأْيُ وَالنَّجْدَةُ تَوْأَمَانِ   مَا فِيهِمَا عَنْ خِلِّهِ بِغَانِ
وَالرَّأْيُ فِيهَا فِي الْحُرُوبِ الْأَفْضَلْ   لِأَنَّهَا ثَانِيهِ وَهْوَ الْأَوَّلْ
فَإِنَّمَا بِالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ   حَقًّا تُرَجَّى أَكْثَرُ الْأُمُورِ
قَدْ يَسْتَقِلُّ الرَّأْيُ دُونَ الْبَاسِ   وَالْبَاسُ دُونَ الرَّأْيِ ذُو انْتِبَاسِ
وَإِنَّ مَنْ هَمَّ بِأَمْرٍ نُكْرِ   إِنْ هُوَ لَمْ يَعْرِفْ وُجُوهَ الْأَمْرِ
يَكُونُ حَقًّا فِعْلُهُ كَفِعْلِكَا   قَدْ كُنْتُ أَدْرِي بِقَبِيحِ جَهْلِكَا
وَمُذْ رَأَيْتُ فِي الْأُمُورِ حِرْصَكَا   عَرَفْتُ يَا دِمْنَةُ مِنْهُ نَقْصَكَا
وَخِفْتُ مِنْ فَاحِشَةٍ تَأْتِيهَا   جَهْلًا وَمِنْ مَغَبَّةٍ تَجْنِيهَا
تُهْلِكُنِي بِجَهْلِهَا وَتَهْلِكُ   لَكِنَّنِي كُنْتُ حَيَاءً أُمْسِكُ
وَسِمْتَنِي بِالشُّؤْمِ وَالْبَوَارِ   قَدْ يُؤْخَذُ الْجَارُ بِذَنْبِ الْجَارِ
فَحِينَ أَسْرَفْتَ وَلَمْ تَقْتَصِدِ   عَرَفْتُ تَزْيِيفَكَ فِي ذَا الْمَشْهَدِ
وَالْحَازِمُ الْعَاقِلُ مَنْ إِذَا عَزَمْ   أَمْرًا تَوَقَّى فِيهِ أَسْبَابَ النَّدَمْ

وَلَا يَكُونُ مُسْرِفًا بَلْ يَقْتَصِدْ ... وَإِنْ رَآهُ عُسْرًا لَمْ يَجْتَهِدْ

حَسْبُكَ هَذَا يَا ابْنَ عَمِّ خَطَلَا ... أَحْسَنْتَ قَوْلًا وَأَسَأْتَ عَمَلَا

قَدْ ذَكَرَ الْعَاقِلُ فِي مَا قَالَا ... إِنَّ الْحَكِيمَ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَا

لَا شَيْءَ فِي الدَّهْرِ أَضَرُّ بِالدُّوَلْ ... مِنْ حُسْنِ قَوْلٍ بَعْدَهُ سُوءُ عَمَلْ

وَإِنَّمَا الْقَوْلُ بِغَيْرِ فِعْلِ ... كَالْجِسْمِ ذِي الْحُسْنِ بِغَيْرِ عَقْلِ

لَا خَيْرَ فِي جِسْمٍ مَلِيحِ الْمَنْظَرْ ... وَهُوَ لَدَى الْبَحْثِ قَبِيحُ الْمَخْبَرْ

لَا فَضْلَ فِي الْمَالِ بِغَيْرِ جُودِ ... وَالصِّدْقِ إِلَّا بِوَفَا الْعُهُودِ

وَالْفِقْهُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالْوَرَعْ ... وَالْبِرُّ بِالنِّيَّةِ خَيْرٌ مُتَّبَعْ

عُمْرُ الْفَتَى صِحَّتُهُ وَلَذَّتُهْ ... وَمَوْتُهُ عِلَّتُهُ وَتَرْحَتُهْ

وَقَدْ تَعَاطَيْتَ عَظِيمًا هَائِلَا ... تَلْقَى بِهِ مَا عِشْتَ شُغْلًا شَاغِلَا

يُصْلِحُهُ الْمُوَفَّقُ اللَّبِيبُ ... كَالدَّاءِ إِذْ يُبْرِئُهُ الطَّبِيبُ

إِذَا أَبَتْ أَخْلَاطُهُ اعْتِدَالَا ... وَزَالَ عَنْ مِزَاجِهِ وَحَالَا

لَمْ يَشْفِهِ إِلَّا الطَّبِيبُ الْحَاذِقْ ... مَا كُلُّ مَشْرُوبٍ لَهُ يُوَافِقْ

وَإِنَّ سُكْرَ الْعَاقِلِ الْأَدِيبِ ... يَزُولُ بِالتَّأْدِيبِ وَالتَّهْذِيبِ

وَسَكْرَةُ الْأَحْمَقِ مِنْ تَأَدُّبِهْ ... مِثْلُ ضِيَاءِ الشَّمْسِ فِي تَلَهُّبِهْ

يَزِيدُ كُلَّ النَّاظِرِينَ نُورَا ... وَيَمْنَعُ الْخُفَّاشَ أَنْ يَطِيرَا

ذُو ٱلْعَقْلِ لَا يُبْطِرُهُ مَا نَالَهُ   مِنْ شَرَفٍ فَاقَ بِهِ أَمْثَالَهُ
بَلْ هُوَ فِيهِ ثَابِتٌ مِثْلَ ٱلْجَبَلْ   لَوْ عَصَفَتْ كُلُّ ٱلرِّيَاحِ لَمْ يَمِلْ
وَٱلْعَاجِزُ ٱلرَّأْيِ ٱلَّذِي قَدْ يُبْطِرُهْ   أَقَلُّ شَيْءٍ نَالَهُ وَيُسْكِرُهْ
مِثْلُ ٱلْحَشِيشِ تَحْتَ أَنْفَاسِ ٱلصَّبَا   إِذَا ٱلصَّبَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ٱضْطَرَبَا
أَذْكَرْتَنِي ٱلْآنَ وَكُنْتُ نَاسِيَا   قَوْلًا لَهُ قَدْ كُنْتُ قِدَمًا رَاوِيَا
أَلْمَلِكُ ٱلصَّالِحُ لَا يُنْتَفَعُ   بِهِ إِذَا كَانَ ٱلْوَزِيرُ يَمْنَعُ
كَٱلْمَاءِ تُلْفِيهِ نَمِيرًا بَارِدَا   فِيهِ تَمَاسِيحُ تَضُرُّ ٱلْوَارِدَا
لَا يَسْتَطِيعُ وَارِدٌ أَنْ يَدْخُلَهْ   لِأَنَّهُ يَخَافُهَا أَنْ تَقْتُلَهْ
وَزِينَةُ ٱلْمُلُوكِ بِٱلْأَصْحَابِ   «أَلْحَسَنِي ٱلدِّينِ ذَوِي ٱلْآدَابِ»
وَإِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ لَا يَدْنُو   مِنْهُ سِوَاكَ فَٱعْتَرَاكَ ٱلضِّغْنُ
فَاتَكَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ مِثْلُ ٱلْبَحْرِ   أَصْحَابُهُ كَمَوْجِهِ إِذْ يَجْرِي
وَٱلْخُرْقُ أَنْ يَصْطَفِيَ ٱلْإِخْوَانَا   مَنْ عَرَفُوهُ غَادِرًا خَوَّانَا
«وَأَنْ يَرُومَ عِشْرَةَ ٱلنِّسَاءِ   فَظٌّ طِبَاعٍ لَيْسَ ذَا حَيَاءِ»
«كَذَاكَ مَنْ يَبْغِي نَوَالَ ٱلْآخِرَهْ   وَهُوَ يُكِنُّ مَا يُنَافِي ظَاهِرَهْ»
وَضَرُّكَ ٱلنَّاسَ لِنَفْعِ نَفْسِكَا   وَٱلْجَهْدُ فِي وَحْشَتِهِمْ لِأُنْسِكَا
إِنِّي لَأَدْرِي أَنَّ وَعْظِي ضَائِعْ   كَمَثَلِ ٱلطَّائِرِ وَهْوَ شَائِعْ

إِذْ قَالَ لَا نُصْحَ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ ... قَالَ وَكَيْفَ كَانَ ذَاكَ ٱلْمَثَلُ
قَالَ قُرُودٌ أَبْصَرَتْ يَرَاعَهْ ... فَقَدَّرَتْهَا جَمْرَةً لَمَّاعَهْ
فَجَمَعَتْ مِنْ حَطَبٍ أَضْبَارَهْ ... وَهِيَ تَظُنُّ أَنَّهَا شَرَارَهْ
وَنَفَخَتْ لَيْلَتَهَا لِتَضْطَرِمْ ... وَكَانَ ثَمَّ طَائِرٌ وَقَدْ عَلِمْ
فَلَامَهُنَّ نَاصِحًا فَٱغْتَظْنَهْ ... مِنْهُ وَلَوْ أَنْصَفْنَ كَانَتْ مِنَّهْ
ثُمَّ دَنَا مِنْهُنَّ لَمَّا ضَجِرَا ... مِنْ نَفْخِهِنَّ ثُمَّ قَالَ مُخْبِرَا
«لَيْسَ ٱلَّذِي تَنْفُخْنَ شَيْئًا يُوقَدُ ... وَيَصْطَلِي بِجَمْرِهِ مَنْ يَبْرُدُ»
فَقَالَ ذُو عَقْلٍ لَهُ لَا تَعِظِ ... مَنْ لَيْسَ ذَا فَهْمٍ وَذَا تَيَقُّظِ
يَتْعَبُ مَنْ ثَقَّفَ عُودًا يَابِسَا ... أَوْ وَرَدَ ٱلْمَاءَ ٱلزُّلَالَ قَابِسَا
أَلْفَرَسُ ٱلْقَارِحُ يُعْيِي ٱلرَّائِضَا ... وَٱلْمَاءُ فِي ٱلْكَفِّ يَخُونُ ٱلْقَابِضَا
فَخَالَفَ ٱلنَّاصِحَ ثُمَّ أَقْبَلَا ... إِلَى ٱلْقُرُودِ نَاصِحًا فَقُتِلَا
كَذَاكَ أَنْتَ لَا تُطِيعُ ٱلنَّاصِحَا ... إِنِّي أَرُوضُ ٱلْيَوْمَ مِنْكَ قَارِحَا
خُبْثٌ وَعَجْزٌ وَهُمَا شَرُّ ٱلشِّيَمْ ... فِيكَ فَسَوْفَ تَقْرَعُ ٱلسِّنَّ نَدَمْ
إِنَّكَ كَٱلْخِبِّ شَرِيكِ ٱلْغَافِلِ ... قَالَ وَلِمْ جَعَلْتَهُ مُمَاثِلِي
فَٱذْكُرْهُ أَعْرِفْ أَمْرَهُ قَالَ نَعَمْ ... قَدْ كَانَ فِي مَنْ قَبْلَنَا مِنَ ٱلْأُمَمْ
خِبٌّ وَشَرُّ ٱلْعَالَمِينَ ٱلْخِبُّ ... لِأَنَّهُ فِي ضَرِّهِمْ يَدِبُّ

شَارَكَهُ مُغَفَّلٌ فَوَجَدَا ... كِيسًا فَقَالَ قَدْ سَعِدْنَا أَبَدَا
فَقَالَ لِلْخَبِّ الْفَتَى الْمُغَفَّلُ ... هَلُمَّ نَقْسِمْهُ فَذَاكَ أَفْضَلُ
قَالَ لَهُ وَمَا لَنَا فِي الْقِسْمَةْ ... كَأَنَّ فِينَا أَحَدًا ذَا تُهْمَةْ
نَأْخُذُ مِنْهُ الْآنَ قَدْرَ النَّفَقَةْ ... وَنَدْفِنُ الْبَاقِي لِكَيْ لَا نَمْحَقَهْ
وَكُلَّمَا احْتَجْنَا أَخَذْنَا شَيْئًا ... فَقَاءَ فِي ذَاكَ إِلَيْهِ فَيْئَا
فَأَتَيَا قَصْدًا إِلَى بَعْضِ الشَّجَرْ ... فَدَفَنَاهُ عِنْدَهَا تَحْتَ حَجَرْ
حَتَّى إِذَا مَا وَصَلَا إِلَى الْبَلَدْ ... خَالَفَهُ الْخَبُّ إِلَيْهَا وَعَمَدْ
لِأَخْذِهِ فَحَفَرَ الْمَكَانَا ... بِرِفْقَةٍ وَأَخَذَ الْهِمْيَانَا
ثُمَّ مَضَتْ عَلَيْهِمَا أَيَّامُ ... فَقَالَ وَالظُّلْمُ لَهُ ظَلَّامُ
أُخْرُجْ لِكَيْ نَأْخُذَ قَدْرَ النَّفَقَةْ ... فَخَرَجَا وَرُبَّمَا خَانَ الثِّقَةْ
فَنَبَشَا ذَاكَ الْمَكَانَ عَنْهُ ... فَأَلْفَيَاهُ وَهْوَ قَفْرٌ مِنْهُ
فَوَثَبَ الْخَبُّ عَلَى الْمُغَفَّلِ ... يَصِيحُ قَدْ أَخَذْتَهُ لَا يَأْتَلِي
وَذَلِكَ الْمِسْكِينُ أَيْضًا يَحْلِفُ ... وَقَلَّمَا يُوجَدُ خِلٌّ يُنْصِفُ
فَاتَّفَقَا عَلَى حُضُورِ الْقَاضِي ... كُلٌّ بِمَا يُقْضَى عَلَيْهِ رَاضِي
وَسَبَقَ الْخَبُّ فَقَالَ وَادَّعَى ... فَقَالَ هَلْ مِنْ شَاهِدٍ لِأَسْمَعَا
قَالَ نَعَمْ لِي شَاهِدٌ تَرْضَى بِهِ ... قَالَ وَمَنْ فَقَالَ فِي جَوَابِهِ

تشهد لي بما أقول الدوحه فصر إليها غدوة أو روحه
فأنكر القاضي كلام الشجره وقال هذا من فعال المكره
نعم أصير بكرة إليها معولاً فيما جرى عليها
فرجع الخب إلى أبيه مجتهداً في المكر والتمويه
وقال ساعدني فرأي الوالد يذخر للنوائب الشدائد
فقال ما أصنع قال الشجره عظيمة المنظر وفي نخره
فيها مكان واحد كالمخدع وهذه واحدة من خدعي
فأدخله في الليل دخول رفق وأشهد إذا ما سألوا بصدقي
قال له أبوه رب ماكر قد ابتلي من أمره بفاقر
فلا تكن ويحك كالعلجوم لما غدا من مكره في شوم
كان له عش بقرب جحر لحية كانت إليه تسري
تأكل ما فرخه فغمه ذلك من فعالها وهمه
حتى رآه سرطان قد بكى فقال ما شأنك قل لي فحكى
قصته فقال قد كفيتا فلا تضع من بعد ما أوليتا
ظفرت بالنصر فعند جحرها جحر ابن عرس شره كثيرها
وهو لها ضد عدو فاعلم بالطبع إن أبصرها لم يرحم

فَاطْرَحْ مِنَ ٱلْأَسْمَاكِ فِي طَرِيقِهْ شَيْئًا إِلَى مَكَانِهَا وَضِيقِهْ
فَإِنَّهُ سَيَطْلُبُ ٱلْحِيتَانَا فَيُبْصِرُ ٱلْحَيَّةَ وَٱلْمَكَانَا
وَكَانَ مَا قَالَ فَلَمَّا أَكَلَا أَلْحُوتَ وَٱلْحَيَّةَ أَمْسَى جَذِلَا
وَفِي غَدٍ بَاكَرَ ذَاكَ ٱلْمَوْضِعَا لِيَطْلُبَ ٱلرَّسْمَ ٱلَّذِي قَدْ قَطَعَا
فَمَا رَأَى شَيْئًا سِوَى ٱلْعُلْجُومِ ذَاكَ ٱلشَّقِيِّ ٱلْخَائِنِ ٱلْمَشْؤُومِ
فَأَكَلَ ٱلزَّوْجَيْنِ وَٱلْفِرَاخَا وَٱللَّحْمَ وَٱلْعِظَامَ وَٱلْمِخَاخَا
فَعَادَ مَا دَبَّرَهُ عَلَيْهِ فَلَا تُضِفْ فِي شُؤْمِهِ إِلَيْهِ
قَالَ لَهُ ٱلْخِبُّ لَقَدْ جَنَيْنَا وَلَيْسَتِ ٱلْحَالُ كَمَا ظَنَنَّا
إِذْهَبْ فَثَمَّ مَوْضِعٌ خَفِيٌّ وَأَنْتَ فِيهِ آمِنٌ مَكْفِيٌّ
قَالَ نَعَمْ وَمَرَّ مِنْ شَقَائِهْ وَلَمْ يَزَلْ يَجْهَدُ فِي ٱرْتِقَائِهْ
حَتَّى إِذَا مَا دَخَلَ ٱلْمَكَانَا نَامَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنْ قَدْ حَانَا
وَٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ لِفَصْلِ ٱلْحُكْمِ وَعَجِبَ ٱلْكُلُّ لِقَوْلِ ٱلْخَصْمِ
قَالَ لَهُ ٱلْخِبُّ مَقَالَ ٱلْمُعْتَدِي بَيِّنَتِي هَذِي فَسَلْهَا تَشْهَدِ
قَالَ لَهَا ٱلْقَاضِي ٱشْهَدِي وَحَصِّلِي قَالَ ٱلدَّنَانِيرُ مَعَ ٱلْمُغَفَّلِ
فَأَنْكَرَ ٱلْقَاضِي كَلَامَ مِثْلِهَا وَلَمْ يَزَلْ يَطُوفُ حَوْلَ أَصْلِهَا
حَتَّى رَأَى ذَاكَ ٱلْمَكَانَ فَأَمَرْ بِٱلنَّارِ وَٱلنِّفْطِ فَأَلْقَاهَا شَرَرْ

وَصَاحَ مِنْهَا الشَّيْخُ أَخْرِجُونِي فَافْتَضَحَا وَقُوبِلَا بِالْهُونِ
وَفَازَ بِالْقَضِيَّةِ الْمُغَفَّلُ كَذَلِكَ الْكَيْدُ الْخَبِيثُ يَفْعَلُ
وَقَدْ جَنَيْتَ هٰذِهِ الْجِنَايَهْ وَلَسْتَ مِنْهَا تَأْمَنُ النِّكَايَهْ
وَأَنْتَ يَا دِمْنَةُ ذُو لَوْنَيْنِ وَذُو لِسَانَيْنِ بِقَوْلِ الْمَيْنِ
وَالنَّهْرُ عَذْبُ الْمَاءِ مَا لَمْ يَخْتَلِطْ بِالْبَحْرِ فِي لُجَّتِهِ وَيَنْبَسِطْ
كَذَاكَ أَهْلُ الْبَيْتِ فِي تَوَدُّدِ بِالْعَيْشِ مَا لَمْ يَطْرُقُوا بِمُفْسِدِ
وَلَمْ أَزَلْ أَكْرَهُ قُرْبَ دَارِكَا لِخَوْفِ أَنِّي أَصْطَلِي بِنَارِكَا
وَذَاكِرًا وَصِيَّةَ الْمُشِيرِ بِقَطْعِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفُجُورِ
وَقَوْلَهُمْ إِنَّ الصَّدِيقَ الْفَاجِرَا كَحَيَّةٍ يُرْدِي أَذَاهَا الْآسِرَا
يَمْسَحُهَا تَوَدُّدًا وَتَلْدَغُهْ وَالسُّمُّ مِنْ أَنْيَابِهَا تُفْرِغُهْ
فَجَانِبِ الْجَاهِلَ وَاللَّئِيمَا وَلَازِمِ الْعَاقِلَ وَالْكَرِيمَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ أَخْلَاقُهُ مَرْضِيَّهْ فَعَقْلُهُ مَنْفَعَةٌ قَوِيَّهْ
مُنْتَفِعًا بِعَقْلِهِ وَذُو الْكَرَمْ أَكْرِمْهُ تَغْنَمْ كُلَّ خَيْرٍ يُغْتَنَمْ
وَإِنْ ذَمَمْتَ عَقْلَهُ لِفَضْلِكَا فَانْفَعْهُ غَيْرَ بَاخِلٍ بِعَقْلِكَا
مُنْتَفِعًا مِنْهُ بِفَضْلِ كَرَمِهْ مُقْتَدِيًا مِنْهُ بِحُسْنِ شِيَمِهْ
وَاهْرُبْ وَطِرْ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ فَصَاحِبُ الشَّقِيِّ لَاشَكَّ شَقِي

وَكَيفَ يا دِمنَةُ بِالقَرارِ لِي ... مِنكَ وَقَدْ جِئتَ بِهذا المُعضِلِ
وَخُنتَ هذَا المَلِكَ العَظِيما ... حَتّى غَدَا مُعَنَّفًا مَلِيما
أَذَا جَزَآءُ فَضْلِهِ عَلَيكَا ... وَالشُّكرُ عَنْ إِحسانِهِ إِلَيكَا
«وَكَيفَ أَرجُو بَعدُ أَنْ تَثبُتَ فِي ... وُدِّي وَقَدْ نَقَضتَ عَهدَ الأَكلَفِ»
«أَوْ كَيفَ يَرجُو الصَّحبُ مِنكَ وُدّا ... وَقَدْ رَأَى الهُمَامُ مِنكَ الإِدَّا»
إِنَّكَ يَا دِمنَةُ مِثلُ التَّاجِرْ ... إِذْ قَالَ قَولَ صَادِقٍ لَا فَاجِرْ
«لَيسَ مِنَ البُزَاةِ أَمرًا مُذهِلَا ... أَنْ خَطِفَتْ فِيلًا وَشَالَتْ جَمَلَا»
«فِي حِينِ أَنَّ الجُرَذَ الرِّغدِيدَا ... يَأْكُلُ فِي بِلَادِهَا الحَدِيدَا»
«فَقَالَ أَوضِحْ قَالَ إِنَّ تَاجِرًا ... شَدَّ لِأَرضِ غُربَةٍ مُسَافِرَا»
وَكَانَ قَدْ أَودَعَ بَعضَ النَّاسِ ... حِمْلَ حَدِيدٍ وَهوَ جِدُّ قَاسِي
وَعَادَ بَعدَ مُدَّةٍ فَوَجَدَهْ ... قَدْ بَاعَهُ بِثَمَنٍ وَجَحَدَهْ
وَقَالَ يَا صَاحِبُ إِنَّ الجُرَذَا ... أَكَلَهُ جَمِيعَهُ وَأَخَذَا
فَأَمسَكَ التَّاجِرُ عَنْ جَوَابِهْ ... فَظَنَّهُ قَدْ حَارَ عَنْ خِطَابِهْ
ثُمَّ دَعَاهُ لِشَرَابٍ فَحَضَرْ ... وَابْنًا لَهُ وُجَيهُهُ مِثلُ القَمَرْ
فَلَفَّهُ التَّاجِرُ فِي ثَوبٍ مَعَهْ ... وَفِي مَكَانٍ عَنهُ يَخفَى وَضَعَهْ
فَجَاءَ كَالوَالِهِ هَلْ رَأَيتَا ... طِفلًا لَنَا يَدخُلُ هذَا البَيتَا

قَالَ نَعَمْ قَدْ كَانَ يَمْشِي فَوَقَعْ | عَلَيْهِ بَازِيٌّ عَظِيمٌ وَارْتَفَعْ
فَقَالَ هَذَا عَجَبٌ نَكِيرٌ | هَلْ كَانَ بَازِي بِفَتًى يَطِيرُ
قَالَ لَهُ وَمَنْ رَأَى فَأْرًا أَكَلْ | حِمْلَ حَدِيدٍ فَدَرَى مَا قَدْ فَعَلْ
قَدْ أَشْبَهَ الْبَازِي الْعَجِيبُ الْجُرَذَا | فَخَلِّ عَنْكَ لَوْمَنَا فَذَا بِذَا
قَالَ خُذَا الْحَدِيدَ وَارْدُدْ وَلَدِي | قَالَ كَذَا أَرَدْتُ فَانْقُصْ أَوْزِدِ
كَذَاكَ يَا دِمْنَةُ أَنْتَ فَاعْلَمِ | كَفَرْتَ إِنْعَامَ الْهُمَامِ الْمُنْعِمِ
«دُونَ أَقَلِّ مُوجِبٍ أَوْ سَبَبِ | وَلَيْسَ بِالْعَجِيبِ أَنْ تَغْدُرَ بِي»
«وَإِنَّ مَنْ صَاحَبَ خِلًّا وَدَرَى | بِأَنَّهُ بِغَيْرِهِ قَدْ غَدَرَا»
«فَلْيَعْلَمَنْ بِأَنَّهُ خَوَّانُ | لَيْسَ لَدَيْهِ لِلْوِلَا مَكَانُ»
فَلَسْتَ بِالصَّادِقِ بِالصَّدَاقَهْ | وَلَا بِمَا عَانَيْتَ ذَا حَذَاقَهْ
مَا أَضْيَعَ النِّعْمَةَ عِنْدَ الْكَافِرْ | وَأَقْبَحَ الْخُلَّةَ عِنْدَ الْهَاجِرْ
كَحِكْمَةٍ تُهْدَى إِلَى الطَّغَامِ | وَالسِّرِّ يُسْتَوْدَعُ لِلنَّمَامِ
وَلَسْتُ بِالطَّامِعِ فِي وَفَائِكَا | قَطُّ وَلَا الرَّاغِبِ فِي صَفَائِكَا
لَوْ مِتَّ ثُمَّ عُدْتَ بَعْدُ حَيًّا | لَمَا تَرَكْتَ عَنْكَ قَطُّ الْغَيَّا
كَشَجَرِ الْمُرَارِ لَوْ لَطَخْتَهُ | بِالشَّهْدِ مَا اسْتَحْلَيْتَهُ إِنْ ذُقْتَهُ
إِلَى الطِّبَاعِ يَرْجِعُ الْمَطْبُوعُ | وَمَا لَهُ عَنْ طَبْعِهِ نُزُوعُ

وَصُحْبَةُ ٱلْأَخْيَارِ مِنْهَا ٱلْخَيْرُ ... وَصُحْبَةُ ٱلْأَشْرَارِ مِنْهَا ٱلضَّيْرُ
كَذَاكَ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ٱلرِّيحُ ... أَنْفَاسُهَا بِنَشْرِهِ تَبُوحُ
إِنَّكَ تَسْتَثْقِلُ قَوْلِي هٰذَا ... كَذَا ٱلْجَهُولُ بِٱلْعَلِيمِ يَاذَا
قَدْ يَسْخَرُ ٱلسَّفِيهُ بِٱلْحَلِيمِ ... وَٱلرَّجُلُ ٱللَّئِيمُ بِٱلْكَرِيمِ
وَوَافَقَ ٱلْفَرَاغُ مِنْ قَتْلِ ٱلثَّوْرْ ... فَرَاغَهُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَى ٱلْفَوْرْ
وَسَكَنَ ٱللَّيْثُ وَزَالَ غَضَبُهْ ... وَثَابَ بَعْدَ ذَا إِلَيْهِ أَدَبُهْ
فَعِنْدَهَا أَطْرَقَ كَٱلْمُفَكِّرِ ... فِي فِعْلِهِ ذَاكَ ٱلشَّنِيعِ ٱلْمُنْكَرِ
وَضَاقَ مِنْهُ ذَرْعُهُ وَصَدْرُهْ ... وَعِيلَ مِنْهُ حِلْمُهُ وَصَبْرُهْ
وَقَالَ كَانَ ٱلثَّوْرُ خَيْرَ فَاضِلْ ... وَإِنَّنِي قَتَلْتُهُ بِبَاطِلْ
فَجَعْتُ نَفْسِي بِصَدِيقٍ صَادِقْ ... مِنْهُ فَمَنْ لِي بِأَخٍ مُوَافِقْ
وَلَاحَتِ ٱلْحَسْرَةُ فِي أَعْطَافِهْ ... فَجَاءَهُ دِمْنَةُ لِٱسْتِعْطَافِهْ
وَقَالَ هٰذَا وَقْتُ لَهْوٍ وَمَرَحْ ... لَا وَقْتُ غَمٍّ وَٱكْتِئَابٍ وَتَرَحْ
قُلْ لِي لِمَ تَبْكِي وَقَدْ ظَفِرْتَا ... وَمَا ٱلَّذِي عَلَيْهِ قَدْ حَزِنْتَا
قَالَ عَلَى عَقْلِ صَدِيقِ ٱلصِّدْقِ ... وَكَرَمِ ٱلْعَهْدِ وَحُسْنِ ٱلْخُلْقِ
فَكَّرْتُ فِي ذَاكَ وَقَدْ رَحِمْتُهْ ... وَإِنَّنِي أَحْسَبُنِي ظَلَمْتُهْ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ شَرٌّ قَائِلْ ... لَا يَرْحَمُ ٱلْأَعْدَاءَ غَيْرُ ٱلْجَاهِلْ

وَالحَازِمُ العَاقِلُ مَنْ تَكَلَّفَا ... وُدَّ امْرِىءٍ إِذَا رَآهُ مُسْعِفَا

يَحْمِلُهُ تَكَارُهاً إِذَا رَجَا ... لَدَيْهِ نَفْعاً فِعْلَ أَرْبَابِ الحِجَى

قَدْ يُشْرَبُ الدَّوَاءُ وَهُوَ مُرٌّ ... لَا يَحْمِلُ الأَثْقَالَ إِلَّا الحُرُّ

وَرُبَّمَا يُطْرَحُ الحَبِيبُ ... إِذَا بَدَا مِنْهُ الَّذِي يَرِيبُ

فَرُبَّ عُضْوٍ حَذَرَ السُّمِّ قُطِعْ ... وَالضِّرْسُ إِنْ آلَمَ وَاشْتَدَّ قُلِعْ

فَقَالَ لَا شَكَّ وَفَحَّصَ الأَسَدْ ... فَبَانَ أَنَّ قَوْلَهُ كَانَ حَسَدْ

فَقَتَلَ الكَاذِبُ شَرَّ قِتْلَهْ ... وَعَادَ مَا بَيْنَ السِّبَاعِ مِثْلَهْ

فَهَكَذَا يَقْطَعُ بَيْنَ الإِخْوَانْ ... مَنْ كَادَهُمْ بِإِفْكِهِ وَالبُهْتَانْ

بَاب

البَحْثِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَهْ

فَقَالَ فَاذْكُرْ لِي قَتْلَ دِمْنَهْ ... يَا بَيْدَبَا مِنْ بَعْدِ هٰذِي الفِتْنَهْ

قَالَ نَعَمْ لَمَّا اسْتَبَانَ كَذِبُهْ ... عِنْدَ الهُمَامِ كَانَ فِيهِ عَطَبُهْ

رَاحَ مِنَ الْمَجْلِسِ فِي اللَّيْلِ النَّمِرْ　　وَكَانَ قَدْ سَاهَرَهُ حَتَّى سَهِرْ

وَهُوَ أَخَصُّ الْقَوْمِ جَمْعًا عِنْدَهْ　　قَلَّدَهُ خَرَاجَهُ وَجُنْدَهْ

فَمَرَّ مَا بَيْنَ الْبُيُوتِ قَابِسًا　　نَارًا يَرَى بِضَوْئِهَا الْحَنَادِسَا

لَمَّا دَنَا مِنَ الْبُيُوتِ سَمِعَا　　كَلِيلَةً لِصَوْتِهِ قَدْ رَفَعَا

يَقُولُ يَا دِمْنَةُ لَسْتَ نَاجِيَا　　فَلَا تَكُنْ مِنْهُ الْخَلَاصَ رَاجِيَا

لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مَا فَعَلْتَا　　لَهُ وَإِنْ يَظْهَرْ لَهُ هَلَكْتَا

« حِينَئِذٍ يَجْتَمِعُ الْهَوَانُ　　عَلَيْكَ وَالْقَتْلُ وَلَا غُفْرَانُ »

« لِأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ شَرَّ مَكْرِكَا　　وَالْقَتْلُ لَا شَكَّ مُزِيلُ شَرِّكَا

« وَلَسْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ أَرْتَضِيكَا　　خِلًّا وَلَكِنِّي أَتَّقِيكَا »

«وَلَسْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ أُفْشِي سِرًّا　　لَكَ لِأَنِّي مِنْكَ أَخْشَى الضُّرَّا»

« وَإِنَّنِي بِالْبُعْدِ عَنْكَ أَهْلُ　　إِنَّ جَزَاءَ الْقُرْبِ مِنْكَ الْقَتْلُ»

« فَإِنَّمَا الْقَسْوَرُ غَضْبَانُ لِمَا　　جَرَى وَسُوءُ فِعْلِهِ قَدْ عَلِمَا »

فَأَخْبَرَ النَّمِرُ بِهِ أُمَّ الْأَسَدْ　　وَكَانَ فِي الصِّدْقِ لَدَيْهَا مُعْتَمَدْ

« مِنْ بَعْدِ أَنْ حَلَّفَهَا لَا تُظْهِرُ　　لِأَحَدٍ مَا جَاءَ عَنْهُ يُخْبِرُ »

فَدَخَلَتْ عَلَى ابْنِهَا بِالْبُكْرَهْ　　فَوَجَدَتْهُ مُطْرِقًا ذَا فِكْرَهْ

قَالَتْ لَهُ فِكْرُكَ فِي مَا فَاتَا　　مُصِيبَةٌ تُنَغِّصُ الْحَيَاتَا

لَا تَجْعَلِ الْحُزْنَ عَلَيْكَ عَوْنَا قَطُّ وَصُنْ قَلْبَكَ مِنْهُ صَوْنَا
فَالْحُزْنُ دَاءٌ لِلنُّفُوسِ مُهْلِكْ وَلِلْجُسُومِ فَاحْذَرَنْهُ مِنْهُكْ
« قَالَ لَهَا يُحْزِنُنِي تَذَكُّرِي إِزْدَائِيَ الثَّوْرَ بِلَا تَفَكُّرِ »
« وَإِنَّنِي لَذَاكِرٌ مَوَدَّتَهْ وَنُصْحَهُ بِالْخَيْرِ لِي وَصُحْبَتَهْ »
فَقَالَتِ ابْحَثْ عَنْ حَدِيثِ شَتْرَبَهْ فَلَيْسَ فِي ذَاكَ عَلَيْكَ مَثْلَبَهْ(١)
قَالَ وَهَلْ مِنْ حِيلَةٍ قَالَتْ نَعَمْ إِنَّ الْحَكِيمَ الْعَادِلَ الْحُكْمِ زَعَمْ
أَنَّ الْفَتَى إِذَا أَرَادَ يَكْشِفُ أَسْرَارَ مَنْ يُحِبُّهُ وَيَعْرِفُ
أَيُّهُمُ يَصْدُقُ فِي وِدَادِهْ فَلْيَرْجِعَنْ فِيهِ إِلَى فُؤَادِهْ
فَإِنَّهُ يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهْ وَلَيْسَ يُخْفِيهِ الصَّحِيحَ قَلْبُهْ
فَارْجِعْ إِلَى قَلْبِكَ يَشْهَدْ صَادِقَا أَصَافِيًا كَانَ الْفَتَى أَمْ مَاذِقَا
إِنْ كُنْتَ عَنْ بُغْضٍ وَحِقْدٍ وَحَسَدْ قَتَلْتَهُ فَبُغْضُهُ كَانَ أَشَدْ
وَإِنْ يَكُنْ قَلْبُكَ كَانَ رَاضِيَا عَنْهُ فَكُنْ بِمِثْلِ ذَاكَ قَاضِيَا
وَإِنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّ قَلْبَكَا يَشْهَدُ أَنْ قَدْ كَانَ يُخْفِي حُبَّكَا
وَأَنَّهُ مَا كَانَ قَطُّ خَائِنَا وَلَا عَدُوًّا يُضْمِرُ الضَّغَائِنَا

---

(١) وكان قبل هذا البيت :

قال رجوت راحة من الحزن فالحزن لما ترجو إلا لا إذن

نَفسكَ فَاعلَمْ أَصدقُ الشُّهودِ ... فِي خَبَرِ الْعَدُوِّ وَالْوَدُودِ
قَالَ لَهَا لَقَدْ رَأَيتُ قَلْبِي ... يَشْهَدُ لِي عَنْ قَلْبِهِ بِالْحُبِّ
لَكِنَّمَا دِمْنَةٌ بِالزُّورِ سَعَى ... مَا بَيْنَنَا وَكَادَ حَتَّى قطعَا
وَلَوْ سَمِعْتُ خَبَرًا يُصَدِّقُ ... ظَنِّي لَمَا كُنْتُ عَلَيْهِ أُشْفِقُ
لَكِنَّنِي أَخَافُ أَنْ أَكُونَا ... فِي الْحَالَتَيْنِ خَاسِرًا مَغْبُونَا
أَقْتُلُ ذَاكَ أَمْسِ بِالنَّمِيمَهْ ... وَالْيَوْمَ ذَا بِالظَّنِّ وَالسَّخِيمَهْ
وَلَسْتُ فِي الْكُلِّ عَلَى يَقِينِ ... مَنْ لِي بِعُذْرٍ وَاضِحٍ يَقِينِي
قَالَتْ لَهُ لَقَدْ سَمِعْتُ خَبَرَا ... صَدَّقْتُهُ أَنَّ الْخَبِيثَ مَكَرَا
لَمَّا رَآكَ قَدْ خَصَصْتَ شَتْرَبَهْ ... بِالْوُدِّ وَالْبِرِّ وَحُسْنِ الْمَرْتَبَهْ
أَفْسَدَ مَا بَيْنَكُمَا حَتَّى فَسَدْ ... كَذَاكَ كُلُّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدْ
قَالَ وَمَنْ أَنْبَاكِ هذَا قَالَتِ ... مَنْ هُوَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالْأَمَانَةِ
لَكِنَّهُ قَالَ دَعِي تَسْمِيَتِي ... وَاقْتَنِعِي بِسِمَتِي وَصِفَتِي
وَإِنَّ مَنْ أَفْشَى لِخِلٍّ سِرًّا ... لَخَائِنٌ يَلْقَى بِذَاكَ صُغْرًا
قَالَ لَهَا لَيْسَ مِنَ الْمَحْمُودِ ... كِتْمَانُ ذِي الْأَخْبَارِ وَالشُّهُودِ
فِي ذِكْرِهِ أَجْرٌ لَهُ وَشُكْرُ ... إِنْ كَانَ بِالْحَالِ لَدَيْهِ خُبْرُ
أُحْيِي بِهِ حَقَّ امْرِىءٍ مَظْلُومِ ... وَفَضْحَ الْبَاغِي مِنَ الْخُصُومِ

كِتمانكِ الأسرارَ نِعمَ الشيمهْ وعادةٌ حميدةٌ كريمهْ
لكنها جميعها لا تُستَرُ بل بعضها يُخفى وبعضٌ يُذكَرُ
لا سيما إن كان فيهِ فائدهْ فطيَّهُ من الخلالِ الباردهْ
لكلِّ شيءٍ فاعرفيه قدْرُ كِتمانُ سرِّ الغادرينَ غدْرُ
من كتمَ السلطانَ ذنبَ فاجرْ فقدْ أتى لأعظمِ الجرائرْ
وذاكَ في دِينِ الوفا خيانهْ جزاؤها التنكيلُ والإهانهْ
وإنَّ منْ قالَ لكِ المقالا ألقى بهِ عنْ نفسهِ الأثقالا
أمانةٌ أخرجها من عنقهْ محترزًا بكيسهِ لا حمقهْ
قالتْ لهُ عرفتُ كلَّ ذلكا ولستُ عندي للصوابِ تاركا
أردتُ أنْ أعرفَ قدْرَ أدبكْ في رأيِ منْ خانَ لكي يلعبَ بكْ
قالَ لها ما أنتِ بالظنينهْ عندي بلِ الصادقةُ الأمينهْ
وليسَ في نفسيَ منهُ ريبُ ولا عليكِ إنْ ذكرتِ عيبُ
قالتْ إذا أفشيتُ سرَّ صاحبْ أوحشتهُ وعادَ كالمحاربْ
ولمْ يعدْ قطُّ لبيبٌ يعقلُ إليَّ في أمورهِ يسترسلُ
وإنَّ تفريطيَ في الأمانهْ يقبحُ في العقلِ وفي الديانهْ
قالَ لها صدقتِ حدثيني بما جرى بالخبرِ اليقينِ

وإن كتمتِ من به أتاكِ — فجائزٌ ذاكِ إذا أرضاكِ
فخبّرتهُ بجميعِ ما جرى — منهُ وقالت هكذا فما ترى
نعم وما أجهدُ فضلَ الحلمِ — والعفوِ عن كلِّ عظيمِ الجرمِ
إلاّ إذا ما أزهقَ النفوسا — وخرقَ الحشمةَ والناموسا
واجترأت بفعلهِ الرعيّةْ — فعظمت من ذلكَ البليّةْ
لا ينبغي استبقاءُ ذي خيانهْ — ولا كذوبٍ ناقصِ الأمانهْ
إنّ الفسادَ من ظهورِ السرِّ — والهلكُ في استبقائنا أهلَ الغدرِ
دمنةُ عندي خائنٌ في فعلهْ — فاقتلهُ لستَ آثماً في قتلهْ
وإنّما غشّكَ في ما ذكرا — حتّى قتلتَ الثورَ خيرَ الوزرا
وقد عرفتَ الآنَ كنهَ أمرهْ — فجازهِ بختلهِ ومكرهْ
لتستريحَ أنتَ والجنودُ — منهُ وينتهي الناسُ أن يكيدوا
وإن نظرتَ في ثوابِ الحكمِ — فليسَ مثلَ دمنةٍ ذو جرمِ
لأنّهُ بالغَ في الوقيعهْ — حتّى قتلتَ الثورَ بالخديعهْ
وربّما عادَ لمثلِ ذلكْ — فأفسدَ الجنودَ والممالكْ
«وعندما انتهت تأكّدَ الأسدْ — فعالَ دمنةَ الخبيثِ فارتعدْ»
وجمعَ القوّادَ والمرازبهْ — ومرتعُ البغي وخيمُ العاقبهْ

وَجِيءَ بِالْخَبِّ الْخَبِيثِ دِمْنَهْ ... وَالْحَقُّ بَادٍ لَيْسَ فِيهِ ظِنَّهْ
فَأَطْرَقَ الضِّرْغَامُ إِذْ رَآهُ ... مُفَكِّرًا وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ
فَقَالَ لِلْقَوْمِ وَقَدْ تَجَاهَلَا ... أَظُنُّ لِلْهُمَامِ شُغْلًا شَاغِلَا
مَالِي أَرَاهُ مُطْرِقًا مُفَكِّرَا ... «فَمَا الَّذِي مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ طَرَا»(١)
قَالَتْ لَهُ مُغْضَبَةً أُمُّ الْأَسَدْ ... وَهْيَ لِمَا يَجْرِي هُنَاكَ بِالرَّصَدْ
إِطْرَاقُهُ نَدَامَةٌ إِذْ تَرَكَكْ ... وَلَمْ يَكُنْ مِنْ فَوْرِهِ قَدْ أَهْلَكَكْ
وَالْآنَ مِنْكَ يَا خَبِيثُ يَنْتَقِمْ ... بِسُوءِ مَا قَدَّمْتَهُ وَيَصْطَلِمْ
قَالَ وَمَا ذَنْبِي فَقَالَتِ اقْطَعْ ... فَأَيُّ ذَنْبٍ فَاحِشٍ لَمْ تَصْنَعِ
إِنَّكَ لَوْ فَكَّرْتَ فِي خِيَانَتِكْ ... وَعِظَمِ مَا بَلَغْتَ فِي سِعَايَتِكْ
عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَيْسَ يَشْفِي ... مِنْكَ وَلَا يُقْنِعُهُ وَيَكْفِي
أَوَّلُ مَا فِي ذَلِكَ اسْتِجْهَالُكَا ... بِجَهْلِكَ الْجَمَّ الْهُمَامَ الْمَالِكَا
وَتَرْكُكَ الْبَرِيءَ مِنْ أَصْحَابِهْ ... مُمَزَّقًا بِظُفْرِهِ وَنَابِهْ
قَالَ لَهَا دِمْنَةُ قَدْ أَتَانِي ... تَصْدِيقُ مَا سَمِعْتُ فِي زَمَانِي
كَانَ يُقَالُ مَنْ تَنَاهَى وَاجْتَهَدْ ... فِي طَلَبِ الْخَيْرِ رَأَى شَرًّا نَكَدْ
وَلَيْسَ هَذَا مِثْلَ الْهُمَامِ ... وَجُنْدِهِ الْأَفَاضِلِ الْكِرَامِ

(١) كان الاصل : تجاهلا بأمره وقد درى

بَلْ مَثَلٌ لِصُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ فَإِنَّهَا تُؤْذِنُ بِٱلدَّمَارِ
مَنْ صَاحَبَ ٱلشِّرِّيرَ لَاقَى شَرَّا وَسَاءَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا سَرَّا
لِذَاكَ لَمْ يَصْحَبْهُمُ ٱلزُّهَّادُ وَٱلْعُلَمَاءُ ٱلسَّادَةُ ٱلْعُبَّادُ
وَٱنْفَرَدُوا عَنْهُمْ وَفِي ٱلتَّفَرُّدْ رَوْحٌ مِنَ ٱلْهُمُومِ وَٱلتَّلَدُّدْ
وَٱللّٰهِ مَا ٱلْعَاقِلُ إِلَّا ٱلزَّاهِدْ فِي ٱلْكَوْنِ لَا ٱلْعَالِمُ وَٱلْمُجَاهِدَ
لِأَنَّهُمْ لَا يَعْدِلُونَ حُكْمَا وَلَا يَرَوْنَ ٱلْحُكْمَ إِلَّا ظُلْمَا
فَيَجْعَلُونَ ٱلْبَرَّ مِثْلَ ٱلْفَاجِرْ وَحَسْبُهُمْ ذَاكَ مِنَ ٱلْمُغَايِرْ
وَلَيْسَ يَجْزِي مُحْسِنًا بِٱلْحُسْنَى إِلَّا ٱلْقَدِيمُ رَأْفَةً وَمَنَّا
وَٱلنَّاسُ يُعْطُونَ بِلَا ٱسْتِحْقَاقِ أُمُورُهُمْ تَجْرِي بِٱلِٱتِّفَاقِ
لَكِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلصَّوَابِ أَلْمَلِكُ ٱلْمَالِكُ لِلرِّقَابِ
لِأَنَّـهُ يَفْعَلُ لَا لِحَاجَهْ وَلَا يَخَافُ ٱللَّوْمَ وَٱللَّجَاجَهْ
وَإِنَّنِي خَدَمْتُهُ بِخِدْمَـهْ رَجَوْتُ مِنْهَا زُلْفَةً وَنِعْمَهْ
نَصَحْتُهُ وَكُلُّ مَنْ لَا يَنْصَحْ مَالِكَهُ فَٱلْكَلْبُ مِنْهُ أَصْلَحْ
خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ عِنَادِ ٱلْمَارِقِ شَتْرَبَةَ ٱلْمُخَالِفِ ٱلْمُنَافِقِ
وَلَوْ كَتَمْتُ ذَاكَ عَنْهُ خُنْتُهْ فَصُنْتُ نَفْسِي جَاهِدًا وَصُنْتُهْ
وَقَدْ رَأَى فِيهِ دَلِيلَ صِدْقِي وَمَا أَتَى مَا جَاءَهُ بِخُرْقِ

فَالنَّارُ وَالْمَاءُ مَعَاشِرُ الْحَجَرْ   وَيَكْمُنَانِ الدَّهْرَ فِي خُضْرِ الشَّجَرْ
وَإِنَّمَا يُبْدِيهِمَا الْإِنْسَانُ   بِلُطْفِهِ وَلِلْهُدَى بُرْهَانُ
ثُوِّرَتْ مِنْهُ خَبَاءُهُ فَظَهَرَا   مَا كَانَ مِنْهُ كَامِنًا مُسْتَتِرَا
فَلَيْسَ إِنْ أَنْصَفَ أَجْرُ فِعْلِي   وَخِدْمَتِي قَتْلِي بِغَيْرِ عَدْلِ
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ وَافَقَ الْمِقْدَارَا   فَمَا أُطِيقُ مِنْهُمَا انْتِصَارَا
إِنْ يُرْدِنِي مُتَّبِعًا هَوَاهُ   فَلَيْسَ لِلْمَظْلُومِ إِلَّا اللهُ
فَإِنَّهُ يُنَفِّسُ الْكُرُوبَا   وَيَنْصُرُ الْمُضْطَهَدَ الْمَحْرُوبَا
إِنْ لَمْ يُرَوِّ الْمَلِكُ الْمَخْدُومُ   فِي قِصَّتِي فَإِنَّهُ مُلِيمُ
«وَصَارَ يَحْكِي الْخَازِنَ الْمَغْرُورَا   إِنَّ لَهُ لَخَبَرًا مَشْهُورَا»
فَقِيلَ مَا قِصَّتُهُ فَقَالَا   وَلَمْ يَزَلْ يَخْتَرِعُ الْأَمْثَالَا
«كَانَ بِخَانٍ خَازِنٌ غَدَّارُ   يُرِيدُ نَهْبَ مَا اقْتَنَى التُّجَّارُ»
«وَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ أَنْ يُفَارِقَا   الْخَانَ إِنْ فَارَقَ عُدَّ سَارِقَا»
«وَكَانَ فِي السُّوقِ بِقُرْبِ الْخَانِ   بَيْتٌ كَبِيرٌ شَاهِقُ الْمَبَانِي
«لِخَازِنِ الْخَانِ بِهِ صَدِيقُ»   مُصَوِّرٌ صَنْعَتُهُ التَّزْوِيقُ
«فَاتَّفَقَا عَلَى اخْتِلَاسِ الْمَالِ   وَسَائِرِ الْأَحْمَالِ وَالْأَثْقَالِ»
«يَمُرُّ فِي وَقْتِ الدُّجَى الْمُصَوِّرُ   بِقُرْبِ ذَاكَ الْخَانِ ثُمَّ يَصْفِرُ»

«فِي ٱلْحَالِ يُلْقِي ٱلْخَازِنُ ٱلْبَضَائِعَا ... مِنْ كُوَّةٍ يَنْظُرُ مِنْهَا ٱلشَّارِعَا»
«ثُمَّتَ خَافَا أَنْ يَرَاهُمَا أَحَدْ ... يَكْشِفُ مَا هُمَا عَلَيْهِ فِي ٱلْبَلَدْ»
«فَقَالَ لِلْمُصَوِّرِ ٱجْعَلْ حِيلَهْ ... تُنْفَى بِهَا ٱلْعَاقِبَةُ ٱلْوَبِيلَهْ»
فَقَالَ لِي مُلَاءَةٌ مُصَوَّرَهْ ... مَلِيحَةٌ نُقُوشُهَا كَٱلْحَبَرَهْ
إِذَا أَنَا لَبِسْتُهَا فَبَادِرِ ... «لِلطَّرْحِ لَا تَخْشَ رِقَابَ نَاظِرِ»
«دَرَى بِذَاكَ خَادِمُ ٱلْمُصَوِّرِ ... فَرَامَ أَنْ يَرْبَحَ مِنْ ذَا ٱلْمَتْجَرِ»
«فَلَبِسَ ٱلْحُلَّةَ ثُمَّ جَاءَ ... فَفَازَ بِٱلْمَتَاعِ ثُمَّ فَاءَ»
ثُمَّ أَتَى سَيِّدُهُ فِي ٱلْحَالِ ... فَقَالَ لِمْ عُدْتَ عَلَى ٱسْتِعْجَالِ
أَلَمْ تَكُنْ وَيْحَكَ عِنْدِي ٱلسَّاعَهْ ... «وَقَدْ أَخَذْتَ سَائِرَ ٱلْبِضَاعَهْ»
فَهَالَهُ مَقَالُهُ وَرَاعَهْ ... «وَهَمَّهُ فَأَظْهَرَ ٱرْتِيَاعَهْ»
وَعَادَ مِنْ سَاعَتِهِ وَقَدْ فَطِنْ ... فَأَحْرَقَ ٱلْحُلَّةَ غَيْظًا وَحَزِنْ
وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ مِنْ ذَا ٱلْمَثَلِ ... يُحَذِّرُ ٱللَّبِيبَ عُقْبَى ٱلْعَجَلِ
وَٱلْمَلِكُ ٱلنَّدْبُ بِحَمْدِ ٱللهِ ... مَنْ لَيْسَ عَنْ مَصْلَحَةٍ بِسَاهِي
مُوَفَّقٌ فِي عَقْدِهِ وَٱلْحَلِّ ... فَاقَ ٱلْوَرَى بِعِلْمِهِ وَٱلْفَضْلِ
سَعَى بِيَ ٱلْأَشْرَارُ لَا ٱلْخِيَارُ ... فَلْيَتَأَمَّلْ وَلَهُ ٱلْخِيَارُ
وَقَدْ رَأَى بُرْهَانَ صِدْقِي ظَاهِرَا ... لَمَّا غَدَا ٱلثَّوْرُ عَلَيْهِ ثَائِرَا

فَهْوَ بِشُكْرِ رَبِّهِ خَلِيقُ　　إِذْ لَمْ يَكُنْ لِخَصْمِهِ ٱلتَّوْفِيقُ
وَرَدَّ لُطْفُ ٱللهِ عَنْهُ كَيْدَهُ　　مِنْ بَعْدِ مَا أَجْمَعَ فِيهِ أَيْدَهْ
وَإِنَّمَا ٱلْأَوْلَى بِهِ مِنَ ٱلْحَزَنْ　　عَلَيْهِ لَهْوٌ وَسُرُورٌ وَدَدَنْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَبْطَنَ ٱلْعَدَاوَهْ　　مَا جَاءَ مُعْتَدًا لَهُ قَسَاوَهْ
مُسْتَلْئِمًا مُسْتَظْهِرًا كَأَنَّهُ　　أَيْقَنَ مَا أَرَدْتَهُ وَظَنَّهُ
مِثْلُكَ لَا يَقْتُلُ ذَا ٱلْبَرَاءَهْ　　مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا إِسَاءَهْ
بِقَوْلِ وَاشٍ رُبَّمَا قَالَ ٱلْكَذِبْ　　وَلِلْوُشَاةِ نَارُ كَيْدٍ تَلْتَهِبْ
وَمَا كَرِهْتُ ٱلْمَوْتَ إِنْ كَانَ قَضَى　　بِهِ عَلَيَّ وَلَهُ فِيهِ رِضَى
فَقَدْ رَوَى ٱلْأَخْبَارُ وَٱلرُّوَاةُ　　وَٱلثَّبْتُ مَا تَنْقُلُهُ ٱلثِّقَاتُ
أَنَّ مَنِ ٱسْتَسْلَمَ حَتَّى يُقْتَلَا　　لِزَلَّةٍ كَانَ لَهَا مَا فَعَلَا
لَمْ يَصْلِ حَرَّ ٱلنَّارِ فِي ٱلْقِيَامَهْ　　وَلَمْ يَخَفْ إِثْمًا وَلَا مَلَامَهْ
وَإِنْ أَكُنْ مُحْتَقَرًا فَإِنَّ لِي　　سَهْمًا مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْعَمِيمِ ٱلْأَجْزَلِ
فَإِنْ رَأَى مَوْلَايَ أَنْ لَا يَعْجَلَا　　عَلَيَّ قَبْلَ فَحْصِهِ تَمَهَّلَا
فَمَا يَزَالُ ٱلْمَرْءُ يَسْتَفِيدُ　　فِي أَمْرِهِ ٱلْخَيْرَ وَيَسْتَزِيدُ
بِرَأْيِهِ وَحِلْمِهِ وَصَبْرِهِ　　مَا لَمْ يَصِرْ فِي حَدِّ أَقْصَى عُمْرِهِ
قَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلْحُضُورِ إِنَّمَا　　تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ أَنْ تُصْطَلَمَا

قَالَ كَذَاكَ ٱلْأَلْمَعِيُّ ٱلْعَاقِلُ ... عَنْ نَفْسِهِ مُجَادِلٌ مُنَاضِلُ
مَاذَا ٱلَّذِي أَحْفَظُ إِنْ أَضَعْتُهَا ... وَمَنْ تُرَى أَرْفَعُ إِنْ وَضَعْتُهَا
هَلْ لِيَ نَفْسٌ غَيْرُهَا فَأَدْفَعُ ... عَنْهَا ٱلْأَذَى مُجْتَهِدًا وَأَمْنَعُ
وَلَنْ يَصُونَ رَهْطَهُ وَعِرْسَهُ ... مِنْ طَالِبٍ مَنْ لَا يَصُونُ نَفْسَهُ
أَلنَّاسُ فِي ذَا كُلُّهُمْ سَوَآءُ ... حُبُّ ٱلْبَقَآءِ لِلْأَنَامِ دَآءُ
إِذَا أَهَنْتُ مُهْجَتِي لَمْ أُكْرِمِ ... خِلًّا مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَمْ أُعَظِّمِ
«وَقَدْ بَدَا ٱلَّذِي ٱلْوَرَى مِنْ قَوْلِكَا ... مَا لَمْ تُطِقْ كِتْمَانَهُ فِي صَدْرِكَا»
«مِنْ حَسَدٍ وَبِغْضَةٍ ذَمِيمَهْ ... تُنْشِئُهَا فِي نَفْسِكَ ٱللَّئِيمَهْ»
«وَقَدْ دَرَى كُلُّ ٱلْحُضُورِ أَنَّكَا ... لَسْتَ تُحِبُّ قَطُّ غَيْرَ نَفْسِكَا»
«فَأَنْتَ أَوْلَى أَنْ تُحِبَّ ٱلضَّيْرَا ... لِلنَّاسِ إِذْ لَسْتَ تُرِيدُ ٱلْخَيْرَا»
مِثْلُكَ مَنْ نُزِّهَ عَنْهُ ٱلْمَجْلِسُ ... فَأَنْتَ لَا شَكَّ لَهُ مُدَنِّسُ
فَبُهِتَ ٱلْقَائِلُ مِمَّا أَسْمَعَهْ ... حَقًّا لَقَدْ أَفْحَمَهُ وَقَطَعَهْ
قَالَتْ لَهُ ٱلسَّيِّدَةُ ٱللَّبِيبَهْ ... تَرْكُ ٱلْحَيَاءِ وَٱلنُّهَى عَجِيبَهْ
فَقَالَ لِمْ بِمُقْلَةٍ أَبْصَرْتِ ... وَأُذُنٍ وَاحِدَةٍ سَمِعْتِ
إِنِّي أَرَى نَحْسِي وَشُؤْمَ جَدِّي ... قَدْ سَلَبَ ٱلْعَالَمَ ثَوْبَ ٱلرُّشْدِ
فَعَدَلُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى ٱلْهَوَى ... وَٱنْطَبَعَ ٱلْإِفْسَادُ مِنْهُمْ فِي ٱلْقُوَى

« كَرَامَةُ الْمَلِكِ وَفَرْطُ بِرِّهِ ... لَقَدْ غَدَا مَعْ حِلْمِهِ وَصَبْرِهِ »
« كَبَاعِثٍ لِمَنْ بِبَابِ قَصْرِهِ ... لِأَنْ يَحُطُّوا مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ»
« فَأَصْبَحَ الْوَاحِدُ لَا يَدْرِي مَتَى ... يَجِبُ أَنْ يَنْطِقَ أَوْ أَنْ يَسْكُتَا»
قَالَتْ وَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا الْوَالِدَهْ ... مَقَالُهُ وَهْيَ لَهُ مُعَانِدَهْ
كَيْفَ يَكُونُ فِي الْوَرَى مُؤَدِّبَا ... لِغَيْرِهِ مَنْ قَدْ أَضَاعَ الْأَدَبَا
«أَوْ كَيْفَ يَغْدُو يَا خَبِيثُ نَاصِحَا ... سِوَاهُ مَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصَائِحَا»
قَالَ لَهَا دِمْنَةُ إِنَّ مَنْ عَمِلْ ... مَا لَيْسَ مَخْصُوصًا بِهِ فَقَدْ جَهِلْ
« شَبِيهُ مَنْ يَضَعُ الرَّمَادَا ... فِي مَوْضِعٍ يَسْتَوْجِبُ السَّمَادَا»
وَرَجُلٌ مِثْلَ النِّسَاءِ قَدْ فَعَلْ ... وَامْرَأَةٌ لَابِسَةٌ زِيَّ الرَّجُلْ
وَالضَّيْفِ يَسْتَمْلِكُ رَبَّ الدَّارِ ... وَمُخْبِرٍ مَنْ لَيْسَ ذَا اسْتِخْبَارِ
«وَإِنَّمَا الْخَبِيثُ مَنْ لَا يَعْرِفُ ... حَالَ الْوَرَى وَأَمْرَهُمْ فَيَهْرِفُ»
« كَذَاكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدْ ... عَنْ نَفْسِهِ وَقْعَ مُصَابٍ وَيَصُدْ »
« قَالَتْ لَهُ فَهَلْ تَظُنُّ قَوْلَكَا ... هَذَا يَغُرُّ أَوْ يَغُشُّ الْمَلِكَا »[1]

---

(١) كان في الأصل :

قالت له أما تخاف جرمكا ... وهو عظيم ان يريق دمكا
فاقطع القول ولا تجاوز ... لعظم ما تخشى من الفوائر

تَطْمَعُ أَنْ تَحُلَّ عَقْدَ غَضَبِهْ ... بِالْكِذْبِ أَوْ تُطْفِيءَ حَرَّ لَهَبِهْ
قَالَ لَهَا بِئْسَ جَزَاءُ النُّصْحِ ... جَزَيْتُمُونِي إِذْ أَرَدْتُمْ جَرْحِي
اَلْمَلِكُ الْأَعْظَمُ يَدْرِي أَنِّي ... نَصَحْتُهُ وَهْوَ عَظِيمُ الْمَنِّ
وَلَوْ كَذَبْتُ مَا نَبَسْتُ عِنْدَهْ ... وَلَا أَمِنْتُ حَدَّهُ وَجَدَّهْ
«قَدْ قِيلَ لَيْسَ مِنْ بَرِيءٍ أَشْجَعُ ... فَمَا تُخِيفُهُ الْبَرَايَا أَجْمَعُ»
وَهْوَ إِنِ اسْتَخْبَرَ بَانَ صِدْقِي ... فَإِنَّهُ يَعْرِفُ وَجْهَ الْحَقِّ
فَشَكَّتِ الْوَالِدَةُ الْكَبِيرَهْ ... فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَهْ
قَالَتْ عَسَاهُ صَادِقٌ فِي مَا حَكَى ... وَأَنَّ مَنْ أَبْلَغَنِي قَدْ أَفَكَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَرِيئًا مَا نَطَقْ ... إِنَّ الْمُرِيبَ حَصِرٌ مِنَ الْفَرَقْ
لَا سِيَّمَا فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ ... إِنَّ الْبَرِيءَ ثَابِتُ الْجَنَانِ
فَأَمْسَكَتْ بَعْدُ عَنِ الْمُحَاوَرَهْ ... لَمَّا رَأَتْهُ حَسَنَ الْمُنَاظَرَهْ
وَحُبِسَ الشَّقِيُّ حَتَّى يَظْهَرَا ... مَا كَانَ مِنْ أَحْوَالِهِ مُسْتَتِرَا
فَبَلَغَتْ أَخْبَارُهُ كَلِيلَهْ ... وَهْوَ بَصِيرٌ بِوُجُوهِ الْحِيلَهْ
فَجَاءَ يَسْعَى نَحْوَهُ مُبَادِرَا ... وَكَفْكَفَ الدَّمْعَ الْغَزِيرَ الْهَامِرَا
« لَمَّا رَآهُ بِالْقُيُودِ مُوثَقَا ... قَدْ حَلَّ فِي السِّجْنِ مَحَلًّا ضَيِّقَا»
وَقَالَ هٰذَا كُنْتُ أَخْشَى وَلَقَدْ ... قُلْتُ فَلَمْ تَسْمَعْ لِخِلٍّ مُعْتَمَدْ

وَكُنْتَ خِبًّا مُعْجَبًا بِرَايِكَا ... وَوَاثِقًا بِاللُّطْفِ مِنْ دَهَائِكَا
حَتَّى رُمِيتَ بِالنَّآدِ الصَّيْلَمِ ... مَنْ يَثْنِ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكْلَمِ
رُبَّ لَطِيفٍ قَدْ سَعَى وَاحْتَالَا ... عَادَ عَلَيْهِ كَيْدُهُ وَبَالَا
بُعْدًا وَسُحْقًا لِلذَّكَاءِ وَالْأَدَبْ ... إِذَا دَعَا صَاحِبَهُ إِلَى الْعَطَبْ
لَا خَيْرَ فِي فَضْلٍ يَجُرُّ نَقْصَا ... أَرَدْتَ قُرْبًا فَغَدَوْتَ تُقْصَى
لَهْفِي عَلَى ذَاكَ الذَّكَاءِ وَالْحِكَمْ ... كَمْ أَبْرَمَا نَقْضًا وَكَمْ سَدًّا ثُلَمْ
لَا تَجْزَعَنْ فَكُلُّ شَيْءٍ يَهْلِكُ ... أَلْمَرْءُ يَبْكِي وَالْقَضَاءُ يَضْحَكُ
هَذَا وَرُبَّ حِكْمَةٍ لَا تَنْفَعُ ... إِنَّ الشَّقَاءَ بِالشَّقِيِّ مُولَعُ
مَا كُنْتَ إِلَّا دَاءَ نَفْسِ الْحَاسِدِ ... وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَوَاحِدِ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ نِعْمَ الصَّاحِبُ ... أَنْتَ وَنِعْمَ الْخِلُّ وَالْمُقَارِبُ
لَقَدْ نَصَحْتَ جَاهِدًا لَا تَأْتَلِي ... وَقُلْتَ لِي نَصِيحَةً لَا تَفْعَلِ
وَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ وَالْمَقَادِرُ ... تَعْمَى بِهَا الْأَبْصَارُ وَالْبَصَائِرُ
مَنِ اسْتَغَشَّ النَّاصِحَ الشَّفِيقَا ... كَانَ بِمَا يَكْرَهُهُ حَقِيقَا
مَنْ خَالَفَ الرَّأْيَ غَوَى وَمَنْ عَجِلْ ... زَلَّ وَإِنْ كَانَ لَبِيبًا وَخَجِلْ
مَنْ لَمْ يَخَفْ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ ... آلَ بِهِ الْأَمْنُ إِلَى الْمَحْذُورِ
مَنْ لَمْ يُطِعْ نَصِيحَةَ اللَّبِيبِ ... «بُلِي بِكُلِّ مُشْكِلٍ صَعُوبِ»

كمذنفٍ لم يُصغِ للطبيبِ «فساقه الداءُ إلى شعوبِ»
وليس بي إلاّ الحياءُ والخجلْ فإنّه لا موتَ إلاّ بأجلْ
ثمّ أخافُ بطشَهم عليكا وأن تدبّ شقوتي إليكا
وكيفَ لا أخشى وعدوى الشرِّ يخافها الناسُ كعدوى العرِّ
أخافُ أن تصدقَ إن عذبتا قال له واللهِ ما كذبتا
قد قال قومٌ قبلنا من عذبا لخبرٍ أظهرهُ وكذبا
زيادةً عليهِ خوفَ الضرِّ «فذاكَ دفعُ شرَّةٍ بشرِّ»[1]
وها أنا منصرفٌ فإنّني أخافُ بعضَ القومِ أن يسمعني
والرأيُ أن تقرَّ بالظلامهْ فالقتلُ في الدنيا ولا القيامهْ
وأنت يا دمنةُ شيخٌ فاني قال له ولجَّ في العصيانِ
ما دمتُ أستطيعُ مطالَ الأجلِ ودفعه عنّي بلطفِ حيلي
فلستُ بالمعترفِ المقرِّ لأدفعنَّ شرَّهم بمكري
فعادَ عنهُ خائفاً من الملكْ حيرانَ من بعدِ الذكاءِ مرتبكْ
«وكانَ في السجنِ قريباً منهما فهدٌ سجينٌ سامعٌ سرَّهما»
«فحفظَ الحديثَ كي يقولا قولاً أكيداً إن غدا مسؤولا»

---

(١) وفي الاصل: امر دفعت شره بشر

وَبَاكَرَتْهُ تَقْتَضِيهِ الْوَعْدَا ... قَالَتْ صُنِ الْمُلْكَ وَأَرْضِ الْجُنْدَا
وَخُذْ مِنَ الْخَائِنِ ثَارَ شَتْرَبَهْ ... "تُرْضِ الْإِلٰهَ فَيُزِيلُ غَضَبَهْ" (١)
فَقَالَ لِلْجَوَّاسِ وَالنَّمِرِ اذْهَبَا ... وَاسْتَخْبِرَا عَمَّا جَنَاهُ وَاكْتُبَا
لِكُلِّ مَا يَجْرِي فَإِنِّي نَاظِرُ ... فِيهِ كَمَا قَدْ تُكْتَبُ الْمَحَاضِرُ
فَوَقَفَا دِمْنَةَ بَيْنَ الْعَسْكَرِ ... فِي مَوْقِفِ الْمُقَرِّرِ الْمُسْتَخْبِرِ
حَتَّى إِذَا مَا حَضَرُوا قَالَ النَّمِرْ ... نَارُ أَبِي الْحَارِثِ أَضْحَتْ تَسْتَعِرْ
وَقَلْبُهُ قَدْ كَادَ غَيْظًا يَنْفَطِرْ ... وَعَيْشُهُ عَادَ بِغَمٍّ مُسْتَمِرْ
يَقُولُ مَا أَشُكُّ أَنَّ دِمْنَهْ ... أَضْرَمَ فِي قَلْبِيَ نَارَ الْإِحْنَهْ
كِذْبًا فَهَلْ عَلِمْتُمُ مِنْهُ خَبَرْ ... أَبْدُوا وَلَا تُخْفُوا فَمَا يَخْفَى الْقَمَرْ
وَشَيَّدَ الْجَوَّاسُ قَوْلَ النَّمِرِ ... يَا قَوْمُ هَلْ مِنْ أَثَرٍ أَوْ خَبَرِ
لَا تَكْتُمُوا فَكَاتِمُ الشَّهَادَهْ ... عَاصٍ وَفِي ادَائِهَا عِبَادَهْ
فَإِنَّ مَنْ يَكْتُمُ جُرْمَ الْمُجْرِمِ ... شَرِيكُهُ فِي ذَنْبِهِ الْمُذَمَّمِ
مُسْتَوْجِبٌ بِذَلِكَ الْعُقُوبَهْ ... وَإِنَّ فِي إِعْلَانِهِ مَثُوبَهْ
اَلصِّدْقُ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ فَاصْدُقُوا ... لَا تَلْطُفُوا بِخَائِنٍ وَتَرْفُقُوا
فَإِنَّ فِي تَأْدِيبِ أَهْلِ الرِّيبَهْ ... لِكُلِّكُمْ مَنْفَعَةً عَجِيبَهْ

(١) كان الاصل : وقط لا ترضى بقتال جندبه

قَتْلُ الشِّرارِ راحةُ الخِيارِ　　مِنْ سُوقَةٍ وَمَلِكٍ جَبَّارِ
فَأَطْرَقُوا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا　　شَيْئاً وَخَافُوا الإِثْمَ إِنْ تَكَلَّمُوا
قَالَ لَهُمْ دِمْنَةُ قُولُوا وَاصْدُقُوا　　فَإِنَّنِي مِنْ صِدْقِكُمْ لَا أَشْفَقُ
وَأَيْقِنُوا أَنَّ لَكُمْ مَعَادَا　　وَحَاكِماً يَجْزِي بِهِ الْعِبَادَا
وَقَوْلُكُمْ يُقْضَى بِهِ وَيُحْكَمُ　　وَيُسْتَحَلُّ فِيهِ نَفْسٌ وَدَمُ
وَإِنَّ مَنْ قَالَ بِمَا لَا يَعْلَمُ　　هُوَ الطَّبِيبُ الْجَاهِلُ الْمُذَمَّمُ
قَالَ لَهُ الْقَاضِي وَكَيْفَ كَانَا　　أُذْكُرْ فَأَنْتَ تُحْسِنُ الْبَيَانَا
قَالَ طَبِيبٌ فِي بِلَادِ السِّنْدِ　　قَدْ جَازَ فِي الْحِكْمَةِ كُلَّ حَدِّ
شَفَى بِهِ اللّٰهُ كَثِيراً وَبَرَا　　بِطِبِّهِ جَمَاعَةً مِمَّنْ بَرَا
فَمَاتَ وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْخَلْقِ　　لَمْ يَنْتَفِعْ بِطِبِّهِ وَالْحِذْقِ
ثُمَّ ادَّعَى بَعْضُ الرِّجَالِ فَضْلَهْ　　وَقَالَ قَدْ أَصْبَحْتُ فِيهِ مِثْلَهْ
فَمَرِضَتْ بِنْتُ أَمِيرِ الْبَلْدَهْ　　«وَعَظُمَتْ أَوْجَاعُهَا فِي الْمَعِدَهْ»
فَاسْتَوْصَفُوا لَهَا طَبِيباً فَهِمَا　　لَكِنَّهُ كَانَ كَفِيفاً هَرِمَا
فَقَالَ أَعْطُوهَا دَوَاءً وَصَفَهْ　　وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ طَبِيبٌ عَرَفَهْ
قَالُوا اطْلُبُوا لَنَا طَبِيباً يَعْرِفُهْ　　لَعَلَّهُ بِحِذْقِهِ يُؤَلِّفُهْ
فَجَاءَ هَذَا الْجَاهِلُ الطَّبِيبُ　　فَقَالَ إِنِّي عَارِفٌ لَبِيبُ

فَحُمِلَتْ أَسْقَاطُ ذَاكَ ٱلْمَيْتِ ... وَوُضِعَتْ لَدَيْهِ جَوْفَ بَيْتِ
فَمَدَّ فِي ٱلْحَالِ إِلَى تِلْكَ يَدَهْ ... مُسْتَخْرِجاً مِنْ بَعْضِهَا مَا وَجَدَهْ
فَكَانَ سُمّاً قَاتِلاً فَخَلَطَهْ ... فَشَرِبَتْ وَهْيَ بِهِ مُغْتَبِطَهْ
فَهَلَكَتْ بِغَلَطِ ٱلْغِرِّ ٱلشَّقِي ... قَالَ أَبُوهَا أَسْقُوهُ مِنْهَا فَسُقِي
فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ وَإِنَّمَا ... ضَرَبْتُ هٰذَا مَثَلاً لِيَعْلَمَا
مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ بِمَا فِي ٱلْكَذِبِ ... مِنَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلشَّقَاءِ ٱلْمُعْطِبِ
«فَقَالَ لِلْقَوْمِ ٱلْحُضُورِ ٱلْخِنْزِيرْ ... مَنْ تَبِعَ ٱلْأَشْرَارَ بَلَى ٱلتَّدْبِيرْ»
قَدْ جَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ عُقُولَا ... أَضْحَتْ لَكُمْ إِلَى ٱلْهُدَى سَبِيلَا
فَأَعْمِلُوا ٱلْفِطْنَةَ وَٱلْكِيَاسَهْ ... تَسْتَخْرِجُوا بِٱلزَّجْرِ وَٱلْفِرَاسَهْ
مَا غَابَ مِنْ ذَاكَ فَغَيْرُ خَافِ ... عَلَى ٱلْعُقُولِ خَائِنٌ وَوَافِ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ ٱلنَّاسِ سِمَهْ ... إِذَا رَآهَا ذُو ٱلذَّكَاءِ عَلِمَهْ
قَدْ ذَكَرَ ٱلْمَاضُونَ فِي ٱلْأَخْبَارِ ... دَلَائِلَ ٱلْخِيَارِ وَٱلشِّرَارِ
وَإِنَّ فِي دِمْنَةَ لَوْ عَرَفْتُمْ ... دَلَائِلَ ٱلشَّرِّ لَمَا وَقَفْتُمْ
فَقَالَ بَعْضُ ٱلْقَوْمِ مَا نَعْرِفُهَا ... فَهَلْ لَدَيْكَ خِبْرَةٌ تَكْشِفُهَا
فَأَخَذَ ٱلْخَبَّازُ كَفَّ دِمْنَهْ ... وَقَالَ لِلّٰهِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْمِنَّهْ
مِنْ قَوْلِهِمْ مَنْ صَغُرَتْ عَيْنَاهُ ... وَطَالَ مِنْهُ ٱلْأَنْفُ إِذْ تَرَاهُ

فَإِنَّهُ ذُو حِيلَةٍ وَمَكْرِ وَشَرُّهُ يَغْلِبُ كُلَّ شَرِّ
وَفِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ ذَكَرُوا هَذَا الْعِيَانُ فَانْظُرُوا لَا الْخَبَرُ
قَالَ لَهُ دِمْنَةُ أَنْتَ مُعْجِبُ تَظُنُّ ذَا الْعِلْمَ إِلَيْكَ يُنْسَبُ
لَقَدْ عَرَفْنَا مِنْهُ مَا عَرَفْتَا وَفِيكَ أَضْعَافُ الَّذِي وَصَفْتَا
وَإِنْ تَكُنْ فِي مَا ذَكَرْتَ صَادِقَا فَإِنَّنِي لَسْتُ لِنَفْسِي خَالِقَا
وَإِنَّمَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُهُ بِأَمْرِ مَوْلَايَ الَّذِي الْأَمْرُ لَهُ
لِأَنَّهُ خَلَقَنِي لِذَلِكَا لَسْتُ لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِي مَالِكَا
فَلِمْ تَلُومُونِي إِذَا لَمْ أَكُنِ أَسْطِيعُ تَغْيِيرًا لِمَا فِي بَدَنِي
قَالَ امْرُؤٌ لِعِرْسِهِ لَا تَجْرَحِي مَنْ كُنْتِ يَوْمًا مِثْلَهُ تَفْتَضِحِي
مَنْ يَعِبِ النَّاسَ بِمِثْلِ مَا فِيهْ فَنَفْسَهُ عَابَ بِغَيْرِ تَمْوِيهْ
لَا تَنْهَ عَنْ شَيْءٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ كَذَاكَ لَا شَكَّ يَكُونُ الْأَبْلَهُ
قَدْ ذَكَرُوا فِي مَا جَرَى مِنَ السِّيَرْ وَأَخْبَرُوا وَإِنَّمَا النَّاسُ خَبَرْ
أَنَّ جُيُوشًا هَجَمُوا عَلَى بَلَدْ فَأَكْثَرُوا الْأَسْرَ وَمَا أَبْقَوْا أَحَدْ
فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ امْرُؤٌ وَامْرَأَتَاهْ وَرَاحَةُ الْإِخْوَانِ فِي الْمُؤَاتَاهْ
فَلَبِثُوا فِي إِسْرٍ غَيْرِ رَاحِمِ فِي فَاقَةٍ لِعَدَمِ الْمَطَاعِمِ
وَإِنَّ إِحْدَى الزَّوْجَتَيْنِ أَبْصَرَتْ خُرَيْقَةً بَالِيَةً فَسَتَرَتْ

عَوْرَتَهَا فَقَالَتِ ٱلْمَكْشُوفَهْ وَهِيَ بِهَتْكِ سِتْرِهَا مَعْرُوفَهْ
أَمَا تَرَى عَوْرَتَهَا تَبِينُ لَمْ يَنْهَهَا حَيَاؤُهَا وَٱلدِّينُ
قَالَ لَهَا لِمْ تَتْرُكِينَ أَمْرَكِ "مَهْلًا دَعِي ٱلشُّغْلَ بِأَمْرِ غَيْرِكِ"
« فَلَوْ نَظَرْتِ أَوَّلًا لِذَاتِكِ مَا كُنْتِ عِبْتِ فِي ٱلسِّوَى صِفَاتِكِ »(١)
كَذَاكَ أَنْتَ قَدْ تَرَكْتَ مَا فِيكْ وَعِبْتَ بِٱلْأَوْصَافِ مَنْ يُدَانِيكْ
« فِيكَ عُيُوبٌ لَوْ رَآهَا رَاءِ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ لَيْلَاءِ »
« لَقَامَ مِنْ مَنَامِهِ مُكَدَّرَا مُعَجَّبًا مِمَّا رَأَى مُحَيَّرَا »
«فِيكَ عُيُوبٌ لَمْ أَكُنْ أُظْهِرُهَا قَبْلًا وَمِنْ مَوَدَّتِي أَسْتُرُهَا »
« أَمَا وَقَدْ قُمْتَ إِلَى عَدَاوَتِي مُجَاهِرًا وَنَاكِرًا صَدَاقَتِي »
« فَهَا أَنَا مُقْتَصِرٌ عَلَى ٱلَّذِي أَعْرِفُهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ بَذِي»
«وَإِنَّهُ فَرْضٌ عَلَى ٱلْعَارِفِ بِكْ أَنْ يُطْلِعَ ٱلْمَلْكَ عَلَى مَعَائِبِكْ»
فَإِنَّهَا إِذَا دَرَى بِهَا ٱلْأَسَدْ نَفَاكَ عَنْ أَمْرِ ٱلْخِوَانِ وَطَرَدْ
« فَقَالَ لَهُ إِذْ ذَلِكَ ٱلْخِنْزِيرُ بِغَضَبٍ يَا أَيُّهَا ٱلشِّرِّيرُ »
« أَلِي تَقُولُ هَذِهِ ٱلْمَقَالَهْ مَعْ مَا بِهَا مِنْ مُفْرِطِ ٱلْجَهَالَهْ»

---

(١) كان الاصل :
قالَ لها لم تتركينَ أمرك مهلاً فليس العار في سترك

« أجابه عندئذٍ دمنةٌ قد　　بدا عليه ما بدا من الحرد »
« إياك أعني أيها المكسور　　من بان في وركه الناسور »
« فأنت مشقوق الشفاه أفلج　　منتفخ البطن كريه أعرج »
« وأنت فظ الطبع جلف أقرع»　　آدر والأدر عيب مفظع
« وأنت غمر جاهل لن تصلحا　　لعمل وإن يكن مستقبحا »
« لذاك لست صالحاً بالأحرى　　لأن تكون تخدم الخنزيرا »
فأطرق الخباز لما سمعا　　ذلك من مقاله وخضعا
فكتب الكاتب كل ما جرى　　واستشهد القاضي ثم النمرا
ثم أعادوا دمنة لحبسه　　وانصرفوا ويومه كأمسه
وعرضوا مكتوبهم على الأسد　　فقال روحوا واحضروا بكرة غد
وصرف الخنزير عن طعامه　　لقبح ما بلغ من أسقامه
« وكان بين أصدقا كليله　　صديق صدق ماهر ذو حيله»
« له نفوذ في بلاط الأسد　　واسمه روزبة ذو الرشد »
« فجاء يوماً قاصداً زياره　　كليلة مستقصياً أخباره »
« وجده ملازماً فراشه　　والداء من شدته أطاشه »
«فقال ماذا قال دائي والوجل　　على شقيقي دمنة من الأجل»

« قَدْ جعلا حالي كما تَرَاهُ ... وَلَيس يشفيني إلا الله »
« ثُمَّ فاضت رُوحهُ وماتا ... وامتد قد فارق ذي الحياتا »
« فقام في الحال وجاء دِمنه ... وقال بالله استعذ في المحنه »
« كليلةٌ مات سلمتَ يا أخي ... ولا برحتَ الدهرَ في عيشٍ رخي »
« حينئذٍ دِمنةُ أبدى الشكوى ... مستعظماً حلول هذي البلوى »
« وقال من بعدِ أخي كليلهْ ... قد أصبحت عاقبتي وبيله »
لقد فقدتُ من نهاهُ عده ... تخذتها ذخراً لكل شده
لقد رجوتُ أن أموتَ قبله ... أو أن أموت في فراشي مثله
« لكنني لستُ لهُ بفاقدِ ... إذ قد بقيتَ لي نظيرَ ساعدي »
« فأنت بعدَ الله ركني والسند ... وأنت منذُ الآن عوني والعضد »
إمضِ إلى البيت فخذ ما تجدهُ ... فأنت أولى من عدوٍّ يقصدهُ
فلم يزل والدهرُ جمٌّ نكدهْ ... يأكل مال المرءِ من لا يحمدهْ
حقي عليك يا ابن عمي واجبُ ... وأنت في رعي الحقوق دائبُ
ففتشِ الأخبارَ واسأل عني ... وأنهها إليَّ واكن واعنِ
فقال سمعاً يا أخي وطاعه ... ثمَّ مضى من وقتهِ والساعه
لعلمِ ما يجري بباب الأسدِ ... فلم يزل نهارهُ في الرصدِ

وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ فَقَالَ الأَسَدُ عُودُوا عَسَى الْيَوْمَ نَرَى مَنْ يَشْهَدْ (١)

ثُمَّ أَتَتْهُ أُمُّهُ فَشَرَحَا لَهَا الَّذِي كَانَ لَهُ قَدْ أَوْضَحَا

فَغَضِبَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ دِمْنَهْ بِكَيْدِهِ أَلْقَاكَ فِي ذِي الْمِحْنَهْ

وَهُوَ يَرَاكَ عَاجِزًا ضَعِيفَا لاَ تَهْتَدِي لِمَذْهَبٍ سَخِيفَا

وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّا جَاسُوسُهُ يَشْرَحُ ذَاكَ الأَمْرَا

وَأَحْضَرُوهُ فَأَتَى الْجَمَاعَهْ فَقَالَ كَمْ مِنْ حِكْمَةٍ مُضَاعَهْ

قَالَ لَهُ عَظِيمُهُمْ قَدْ صَحَّ لِي مَا جِئْتَهُ مِنْ مُعْجِبَاتِ الْحِيَلِ

وَصَحَّ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمُطَاعِ أَنَّكَ ذُو مَكْرٍ وَذُو خِدَاعِ

وَلاَ يَشُكُّ فِي جَمِيعِ أَمْرِكَا وَلاَ بِمَا جَرَرْتَهُ بِمَكْرِكَا

لَكِنَّهُ قَدْ آثَرَ التَّثَبُّتَا كَيْ لاَ يَقُولَ قَائِلٌ قَدْ عَنَتَا

قَالَ لَهُ دِمْنَةُ إِنَّ مَنْطِقَكْ لَمُظْهِرٌ لِلْحَاضِرِينَ خُلُقَكْ

أَنَّكَ قَطُّ لَيْسَ فِيكَ رَافَهْ فَأَنْتَ حَقًّا مِحْنَةٌ وَآفَهْ

تُرِيدُ قَتْلِي لَعِبًا وَجَهْلاَ وَلاَ تُرِيدُ لِلصَّلاَحِ فِعْلاَ

وَأَنْتَ مَعْذُورٌ لِأَنَّ الْجَاهِلاَ يُبْغِضُ بِالطَّبْعِ الْكَرِيمَ الْعَاقِلاَ

---

(١) كان الاصل :

واصبح القوم فقال عودوا عسى بقوم عندكم شهود

فَقَطَعَ ٱلْقَاضِي ٱلْكَلَامَ قَائِلَا إِنَّ ٱلْوَسِيطَ لَا يَكُونُ مَائِلَا
وَإِنَّ دِينَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَلِيلِ أَنْ يَجْزِيَ ٱلْجَمِيلَ بِٱلْجَمِيلِ
وَأَخْذُهُ بِٱلْمُذْنِبِينَ عَدْلُ[1] سِيَاسَةً وَٱلْكُلُّ حَقٌّ فَضْلُ
لِيَرْغَبَ ٱلْمُحْسِنُ فِي إِحْسَانِهْ وَيَنْزَعَ ٱلظَّالِمُ عَنْ عُدْوَانِهْ
وَٱلرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تُقِرَّ بَاذِلَا نَفْسَكَ لِلْحَقِّ فَخَلِّ ٱلْبَاطِلَا
فَإِنَّ فِي هذَا العذَابِ العاجِلِ سلَامَةً منَ العقابِ ٱلْآجِلِ
« فقالَ إِنَّ صالِحِي الملوكِ لَا يَقطعونَ قطُّ بِٱلشُّكُوكْ »
« وَأَنْتُمْ يَا قَوْمُ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّيَ فِي مَا قَدْ فَعلْتُ مُجْرِمُ »
« فَظَنُّكُمْ شَكٌّ بِهِ لَا يُحكَمْ وَإِنَّنِي مِنكُمْ بِنَفْسِي أَعْلَمْ »
« وَإِنَّمَا مُسْتَقْبَحٌ لَدَيْكُمُ أَمرِي لِأَنِّي مُذْنِبٌ عِنْدَكُمُ »
« بِمَا نَقَلْتُ عَنْ سِوَايَ كَذِبَا أَسْلَمَهُ إِلَى ٱلرَّدَى فَعَطِبَا »
« وَأَنْتُمْ لَا تَقْبَلُونَ عُذْرِي وَلَا تُرِيدُونَ سَمَاعَ أَمْرِي »
« فَمَا ٱعْتِذَارِي عِنْدَكُمْ إِنْ أَقُلِ لَقَدْ فَعَلْتُ وَأَنَا لَمْ أَفْعَلِ »
« فَٱكْفُفْ إِذًا يَا أَيُّهَا ٱلْقَاضِي وَدَعْ إِمَّا ٱلَّذِي فُهْتَ بِهِ مِنَ ٱلْخُدَعْ »
« أَوْ إِنَّهُ نَصِيحَةٌ فَقُلْ لِي مَا هُوَ أُجِبْكَ بِمَقَالٍ فَصْلِ »

(١) كان الاصل : واخذه اهل الذنوب عدل

« فَإِنْ يَكُنْ خَدِيعَةً وَحِيلَهْ تُوقِعُنِي فِي وَرْطَةٍ وَبِيلَهْ »
«فَالْمَكْرُ لَيْسَ لِلْقُضَاةِ الصَّالِحِينْ وَلَا الْخِدَاعُ مِنْ صِفَاتِ الْعَادِلِينْ»
«وَإِنْ تَكُنْ نَصِيحَةً فَلَمْ تُصِبْ مَوْضِعَهَا وَتَرْكُهَا كَانَ يَجِبْ»
هَذَا عَدَا أَنِّي إِذَا أَقْرَرْتُ بِبَاطِلٍ لَمْ آتِهِ أَثِمْتُ
فَلَسْتُ عِنْدَ اللهِ بِالظَّنِينِ وَلَا عَلَى نَفْسِيَ بِالْمُعِينِ
كَبَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ وَفَاقِئٍ مُقْلَتَهُ بِكَفِّهِ
كَالْبَازْدَارِ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ خَانَ وَأَيُّ صَاحِبٍ لَمْ يَخُنِ
« أَغْضَبَ سَيِّدَتَهُ فَنَفَرَتْ وَطَرْدَهُ مِنْ بَيْتِهَا قَدْ قَرَّرَتْ»
« فَمَالَ عَنْهَا مُفَكِّرًا بِالشَّرِّ يَبْحَثُ كَيْ يُصِيبَهَا بِضُرِّ »
فَصَادَ فَرْخَيْ بَبَّغَا مِنْ شَجَرَهْ وَلَمْ يَزَلْ يَغْذُوهُمَا بِالثَّمَرَهْ
وَعَلَّمَ الْفَرْخَيْنِ قَوْلَ الزُّورِ وَقَذْفَهَا بِفَاحِشِ الْفُجُورِ
تَعَلَّمَا ذَلِكَ مِنْ لِسَانِهِ وَكَانَ بَلْخِيًّا لَدَى امْتِحَانِهِ
فَضَافَ مَوْلَاهُ رِجَالٌ فَشَوَوْا وَنَطَقَ الْفَرْخَانِ هُجْرًا فَوَعَوْا
قَوْلَهُمَا وَأَظْهَرُوا فِي السُّكْرِ لِصَاحِبِ الدَّارِ قَبِيحَ الْأَمْرِ
فَسَأَلَ الْغُلَامَ قَالَ قَدْ جَرَى ذَاكَ وَأَبْصَرْتُ عَلَيْهَا الْمُنْكَرَا
لَكِنْ سَتَرْتُ أَمْرَهَا إِشْفَاقَا عَلَيْكَ أَنْ تَجْزِيَهَا الطَّلَاقَا

فقال بل أقتلها فقالت ... واجتهدت حالفة وآلت
إني من قولهما بريه ... فاسألهما لتكشف البليه
هل يعرفان غير هذا قولا ... فعرف الصواب منها المولى
حتى إذا ما سئلا لم يفصحا ... وشرحت قصتها ففضحا
ثم أتى والباز فوق كفه ... يحجبها وقاحة بقذفه
فأخذ البازي عينيه معا ... وأمر المولى به فقطعا
هذا جزاء من يقول الزورا ... وليس عند ربه معذورا
وأمر القاضي به فحبسا ... إذ لم يصح من أمره ما التبسا
ورجع القوم فقال للأسد ... ما قد جرى من قوله وما جحد
ثم أتته بعد ذاك أمه ... قائلة قد صح عندي جرمه
فجازه بالقتل قال مهلا ... ترفقي ولا تكوني عجلى
حتى أحق جرمه فإني ... أخاف أن أقتله بالظن
ثم يقول قائل ما أجرما ... فمن تأنى في الأمور سلما
فحدثيني من أتاك بالخبر ... «قالت وهل يجوز ذكر من أسر»
وهو الذي لا شك في أمانته ... وقوله الصدق وفي ديانته
«إني إن كنت بسر بائحة ... طالحة أعد غير صالحة»

« دَعني إذَا أُقَابِلُ الْمَسَرَّا لَعلَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُقِرَّا »
« وَعَاجِلاً قَامَتْ لِتَلْقَى النَّمِرَا قَائِلَةً إكْشِفْ لَنَا مَا اسْتَتَرَا»
« أَبْدِ الَّذِي تَعرِفُهُ عَنْ دِمْنَهْ تَنجُ الْمَلِيكَ مِنْ شَدِيدِ الْمِحْنَهْ»
«لاَ تَخَفِ إنَّ كَاتِمَ الشَّهَادَهْ خَالٍ مِنَ الصَّلاَحِ وَالْعِبَادَهْ»
« وَوَاجِبٌ فَرْضٌ عَلَى الْعِبَادِ تَثْبِيتُ أَمْرِ الْحَقِّ فِي الْعِبَادِ»
« وَلَمْ تَزَلْ بِهِ إلَى أَنْ قَامَا مُعَجِّلاً لِيُطْلِعَ الْهُمَامَا »
«عَلَى الَّذِي يَعْرِفُ مِنْ إقْرَارِ دِمْنَةِ الْمُخَادِعِ الْغَدَّارِ »
« وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ مَا كَانَ دَرَى وَظَهَرَ الْحَقُّ لَدَى كُلِّ الْوَرَى»
«فَأَرْسَلَ الْفَهْدُ السَّجِينَ قَائِلاً كَتَمْتُ مَا أَعْرِفُهُ تَغَافُلاَ »
« فَأَخْرَجُوهُ قَائِلِينَ أَبْدِ جَمِيعَ مَا كَتَمْتَ عَنْ ذَا الْوَغْدِ»
« فَشَهِدَ الْفَهْدُ بِمَا كَانَ سَمِعْ مِنْ فَمِ دِمْنَةَ الْمُخَادِعِ الشَّنِعْ»
« مِنْ أَنَّهُ كَانَ سَعَى بِشَتْرَبَهْ مَكْرًا وَزُورًا لِيُلاَقِي عَطَبَهْ »
« حِينَئِذٍ قَالَ الْهُمَامُ وَلِمَا لَمْ تُبْدِيَا مِنْ قَبْلُ مَا عَلِمْتُمَا »
« فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْتَذِرُ شَهَادَةُ الْوَاحِدِ لَيْسَتْ تُصْدِرُ»
« حُكْمًا فَكُنَّا بَعْضُنَا نَسْتَنْظِرُ إنْ شَهِدَ الْوَاحِدُ قَامَ الآخَرُ»
وَأَقْبَلَتْ أُمُّ الْهِزَبْرِ قَائِلَهْ لِتُرْمِيَنْ مِنْ تَرْكِهِ بِغَائِلَهْ

فيُفسِدُ ٱلجُندَ بلُطفِ مكرِهِ عليكَ أو يُعدِيهم من شرِّهِ
وَيَطمعُ ٱلجُهّالُ وَٱلأَوغادُ فيظهرُ ٱلخَبالُ وَٱلفَسادُ
قالَ لها لأَجعلَنَّ دِمنهْ إذًا نكالًا للوَرى فإنَّهْ
مِنّي بما يُكرِهُهُ جديرُ فقد بدا لي جرمُهُ يُنيرُ
حينئذٍ قالَ ٱقتلوهُ جوعًا وَعذّبوهُ هكذا أسبوعًا
ثُمَّ ٱقتلوهُ قتلةً أليمَهْ بهذِهِ ٱلجريمةِ ٱلعظيمَهْ
كذاكَ عقبى ٱلبغيِ وَٱلفَسادِ وَٱلسَّعيِ في متالفِ ٱلعبادِ

باب

ٱلحمامةِ ٱلمطوَّقةِ

وَهُوَ بابُ

ٱبتداءِ تواصُلِ ٱلإخوانِ وَتعاوُنِهم وَٱستماعِ

بعضِهم من بعضِ

لمّا ٱنقضى ٱلكلامُ قالَ دَبشَلمْ لبيدَبا لقد أتيتَ بِٱلحِكَمْ

وَقَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ قَطَعَ الْخَائِنِ بَيْنَ الْمُحِبَّيْنِ بِقَوْلِ الْمَائِنِ
فَاذْكُرْ لَنَا أَخْلَاقَ إِخْوَانِ الصَّفَا وَمَا سَمِعْتَ عَنْهُمْ مِنَ الْوَفَا
وَكَيْفَ يَبْدَا حُبُّهُمْ وَوُدُّهُمْ ثُمَّ يَدُومُ عَهْدُهُمْ وَعَقْدُهُمْ
فَكَانَ قَوْلُ الْفَيْلَسُوفِ بَيْدَبَا خَيْرُ كُنُوزِ الْمَرْءِ إِخْوَانُ الصِّبَا
وَالْحُرُّ لَا يَرْضَى مِنِ اخْوَانِ الصَّفَا مَعُوضَةً وَإِنْ جَنَى وَخَلَفَا
لَوْ تُبْذَلُ الدُّنْيَا لَهُ مِنْهُمْ بَدَلْ أَوْ قِيلَ بِعْهُمْ بِالْخُلُودِ مَا فَعَلْ
لَا تَخْدَعَنْ فَإِنَّمَا الْإِخْوَانُ عَلَى الْأُمُورِ كُلِّهَا أَعْوَانُ
كَمَثَلِ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَهْ وَقَصْدِهَا فِي كَرْبِهَا الْأَخَ الثِّقَهْ
الْجُرَذَ النَّاصِحَ لِلْأَصْحَابِ السُّلَحْفَا وَالظَّبْيِ وَالْغُرَابِ
قَالَ فَحَدِّثْنِي بِذَاكَ أَسْمَعِ وَلَا تُحَدِّثْ جَاهِلاً لَيْسَ يَعِي
قَالَ نَعَمْ كَانَ بِأَرْضِ صَيْدُ مَرْتَعَهُ دَشْتٌ عَلَيْهِ رَيْدُ
بَيْنَا غُرَابٌ سَاقِطٌ فِي شَجَرَهْ إِذْ مَرَّ صَيَّادٌ بِهِ فَأَنْكَرَهْ
وَقَالَ مَا أَبْرَحُ مِنْ مَكَانِي حَتَّى أَرَى فِعَالَ ذَا الْإِنْسَانِ
فَبَسَطَ الصَّيَّادُ فِيهِ الشَّبَكَهْ وَنَثَرَ الْحَبَّ بِهَا وَتَرَكَهْ
فَاجْتَازَتِ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَهْ فَنَزَلَتْ وَلَمْ تَكُنْ مُوَفَّقَهْ
وَمَعَهَا مِنَ الْحَمَامِ عِدَّهْ فَوَقَعُوا إِذْ رَتَعُوا فِي شِدَّهْ

وَأَقبلَ الصيادُ وهوَ جذلُ ... قالتْ لهنَّ إذ أتى يهرولُ
إجهدنَ حتى تقتلعنَ الشبكَهْ ... لعلَّنا ننجو فهذي هلكَهْ
حتى إذا قلعنها وطرنَهْ ... وعاينَ الصيادُ تلكَ المحنَهْ
هرولَ عدواً تحتهنَّ طامعاً ... في أنْ يقعنَ واستمرَّ تابعاً
قالتْ وكانتْ ذاتَ فهمٍ صافي ... ونظرٍ في المشكلاتِ شافي
الرأيُ أنّا نقصدُ العمرانا ... فإننا نخفى ولا يرانا
فكانَ ما قالتْ وعادَ آيسا ... والبؤسُ لا يقصدُ إلا البائسا
وكلُّ هذا والغرابُ تابعُ ... لكلِّ ذاكَ ناظرٌ وسامعُ
قالتْ لهنَّ إنَّ بالريفِ جرذْ ... شهماً إذا ما أحجمَ السيلُ نفذْ
وبيننا مودَّةٌ وكيدَهْ ... ونحنُ في ملمةٍ شديدَهْ
والرأيُ أنْ نقصدَهُ لعلَّهْ ... يقطعهُ عنّا وأنْ يحلَّهْ
وجئنهُ فنادتِ المطوقَهْ ... يا زيركُ الحقني فإني مرهقَهْ
فقالَ ما هذا وأنتِ حازمَهْ ... قالتْ مقاديرُ الأمورِ اللازمَهْ
ماذا الذي يدفعُ عني حزمي ... كيفَ اتقايَ والقضاءُ يرمي
هلْ في الورى ممتنعٌ منَ القدرْ ... إذ كسفتْ شمسُ النهارِ والقمرْ
ألحوتُ في لجتِهِ يصادُ ... وبالطيورِ يفتكُ الصيادُ

وَإِنَّ مَنْ يُعْطِي الرَّكِيكَ الْجَاهِلَا … هُوَ الَّذِي يَحْمِي الْجَلِيدَ الْعَاقِلَا
فَرَامَ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهَا فَأَبَتْ … قَالَتْ أُصَيْحَابِي فَرَدَّ مَا رَأَتْ
وَقَالَ لِمْ لَا تَرْحَمِينَ نَفْسَكِ … لَوْ تَتْرُكِينِي لَهَدَمْتُ حَبْسَكِ
قَالَتْ أَنَا رَئِيسَةُ الْحَمَامِ … فَمَا أُخَلِّيهِنَّ لِلْحِمَامِ
حَقٌّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ وَاجِبُ … أَلدَّفْعُ حِينَ تَدْهَمُ النَّوَائِبُ
دُونَ الرَّعَايَا تُبْذَلُ الرُّؤُوسُ … وَلَا يَسُودُ قَوْمَهُ الْخَسِيسُ
وَفِي النَّفِيسِ يُبْذَلُ النَّفِيسُ … مَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ هُوَ الرَّئِيسُ
وَقَدْ قَضَيْنَ الْحَقَّ إِذْ أَطَعْنَنِي … وَقُمْنَ بِالْوَاجِبِ فَاتَّبَعْنَنِي
عَلَى الرَّعَايَا لِلرَّئِيسِ الطَّاعَهْ … كَمَا عَلَيْهِ الْحِفْظُ لِلْجَمَاعَهْ
قَالَ لَهَا هَذَا يَزِيدُ الصَّاحِبَا … وَالْأَخَ فِيكِ رَغْبَةً وَالرَّاغِبَا
فَحَلَّهُنَّ فَمَضَيْنَ فِي مَهَلْ … وَعَاوَدَ الْجُحْرَ سَرِيعًا فَدَخَلْ
فَعِنْدَ ذَاكَ رَغِبَ الْغُرَابُ … فِي وُدِّهِ وَرَأْيُهُ صَوَابُ
فَقَامَ عِنْدَ جُحْرِهِ يُنَادِي … زِيرَكُ حُرٌّ خَاطِبُ الْوِدَادِ
فَقَالَ مَنْ قَالَ أَنَا غُرَابُ … أَرْغَبُ فِي الْوُدِّ فَهَلْ أُثَابُ
لَمَّا رَأَيْتُ نَفْعَكَ الْحَمَامَا … رَغِبْتُ أَنْ تَعْقِدَ لِي ذِمَامَا
إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِخَاءِ … أَلْخِلُّ فِي الشِّدَّةِ لَا الرَّخَاءِ

قَالَ لَهُ مَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ سُؤَالُ مَا لَا يَنْبَغِي لِلسَّائِلِ
وَلَا يَكُونُ لِلْمُحَالِ طَالِبَا فَخَلِّنِي فَلَسْتَ لِي مُنَاسِبَا
بَلْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ شَدِيدَهْ بِالطَّبْعِ وَالْجِبِلَّةِ الْبَلِيدَهْ
وَإِنَّ مَنْ يَطْلُبُ مَا لَا يُلْتَمَسْ كَمَثَلِ مَنْ يُجْرِي السَّفِينَ فِي الْيَبَسْ
كَيْفَ يَكُونُ بَيْنَنَا تَوَاصُلُ وَأَنْتَ بِالطَّبْعِ عَدُوٌّ قَاتِلُ
«مَا أَنْتَ إِلَّا آكِلٌ وَمَا أَنَا إِلَّا طَعَامٌ تَبْتَغِيهِ بِأَعْتِنَا»
قَالَ لَهُ الْغُرَابُ أَعْمِلْ عَقْلَكَا إِنْ كَانَ فِي التَّرْكِيبِ طَبْعِي أَكْلَكَا
فَلَيْسَ فِي ذَاكَ كَثِيرُ نَفْعِ وَفِيكَ إِنْ عِشْتَ جَمِيلُ صُنْعِ
وَذَاكَ مِنْ أَكْلِكَ خَيْرٌ عِنْدِي وَاللُّؤْمُ أَنْ تَجْبَهَنِي بِالرَّدِّ
فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ جَمِيلِ صُنْعِكْ مَا دَلَّنِي عَلَى كَرِيمِ طَبْعِكْ
وَمَا تَكَلَّفْتَ الَّذِي فَعَلْتَهُ وَلَا لِأَجْلِي كَانَ مَا عَمِلْتَهُ
وَالْفَضْلُ فِي كِتْمَانِهِ يَلُوحُ كَالْمِسْكِ فِي إِخْفَائِهِ يَفُوحُ
قَالَ لَهُ الْعَدَاوَةُ الشَّدِيدَهْ عَدَاوَةُ الْجَوْهَرِ لَا الْعَقِيدَهْ
وَتِلْكَ قِسْمَانِ لَدَى التَّحْصِيلِ فَوَاحِدٌ كَأَسَدٍ وَفِيلِ
«وَهُوَ التَّجَازِي إِنَّمَا الْخَفِيفُ خَصْمٌ قَوِيٌّ خَصْمُهُ ضَعِيفُ»(١)

(١) كان الاصل :
وهو التجازي لا سواه انما ما جانب فردا صير لزما

مِثْلُ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْهِرِّ ... لِأَنَّـهُ يَقْصِدُنِي بِٱلشَّرِّ
صُلْحُ ٱلْعَدُوِّ فَٱعْرِفَنْهُ حَرْبُ ... فَلِلطِّبَاعِ قُوَّةٌ وَجَذْبُ
أَلْمَاءُ بِٱلطَّبْعِ عَدُوُّ ٱلنَّارِ ... يُطْفِئُهَا مِنْ غَيْرِ مَا إِنْظَارِ
إِنَّكَ لَوْ أَسْخَنْتَـهُ مُجْتَهِدَا ... يَرُدُّهَـا بِطَبْعِهِ وَأَخْمَدَا
«وَٱلرَّجُلُ ٱلْمُصَاحِبُ ٱلْمُسَالِمُ ... عَدُوَّهُ وَهْوَ عَلَيْهِ نَاقِمُ»
«كَحَامِلِ ٱلثُّعْبَانِ وَسْطَ كُمِّهِ ... يَخَافُ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ سُمِّهِ»(١)
لَا يَثِقُ ٱلْعَاقِلُ بِٱلْعَدُوِّ ... وَلَا يُرَى إِلَيْـهِ ذَا هُدُوِّ
قَالَ ٱلْغُرَابُ قَدْ فَهِمْتُ قَوْلَكَا ... لَكِنَّنِي فِي ذَاكَ أَرْجُو طَوْلَكَا
فَٱلْفَاضِلُ ٱلْعَاقِلُ ذُو ٱلْأَفْضَالِ ... بِطَبْعِهِ يَرْغَبُ فِي ٱلْوِصَالِ
وَٱلْحُرُّ مَطْبُوعٌ عَلَى ٱلْوِفَاقِ ... وَٱلْوُدُّ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ بَاقِي
كَأَنَّهُ كُوبٌ مِنَ ٱلنُّضَارِ ... وَغَيْرُهُ كُوزٌ مِنَ ٱلْفَخَّارِ
ذَاكَ بَطِيءُ ٱلْكَسْرِ حِينَ يُكْسَرُ ... وَيَسْهُلُ ٱلْجَبْرُ لَهُ إِذْ يُجْبَرُ
وَكَسْرُ ذَا سَهْلٌ وَلَا يَعُودُ ... يُجْبَرُ هٰذَا مِثْلَ ذَا شَدِيدُ
«إِنَّ ٱلْكَرِيمَ كَرَمًا يَوَدُّكَا ... مَقْصُودُهُ مِنَ ٱلزَّمَانِ وُدُّكَا»(٢)

(١) كان الاصل :
وصاحب العداوة المسالم ... كحامل الحية وهو سالم
(٢) كان الاصل :
... وذو النهى عن لقية يودّكا

وَالْوَعْدُ لَا يَرْغَبُ فِي الْمَحَبَّةْ | إِلَّا لِدَاعِي رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةْ
«إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَشَاءُ ضَرَّكَا | فَعَلْتُ إِذْ كُنْتُ تَبِتُّ الشَّرَكَا»
وَلَسْتُ فَاعْلَمْ مِنْ مَكَانِي بَارِحَا | وَلَا أَرَى لِلذِّئْبِ مُصَافِحَا
حَتَّى أَنَالَ السُّؤْلَ مِنْ وِدَادِكَا | قَالَ أَجَبْنَاكَ إِلَى مُرَادِكَا
فَإِنَّنِي مَا خَابَ مِنِّي طَالِبُ | غَيْرُ الَّذِي يَرْجُو سَمَاحِي خَائِبُ
لَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ يَبِينَ عُذْرِي | إِنْ أَنْتَ أَضْمَرْتَ ضَمِيرَ غَدْرِ
فَلَا تَقُلْ وَجَدْتُهُ ضَعِيفَا | وَلَا رَأَيْتَ رَأْيَهُ سَخِيفَا
ثُمَّ أَتَى الْبَابَ وَظَلَّ وَاقِفَا | قَالَ لَهُ أَرَاكَ مِنِّي خَائِفَا
قَالَ لَهُ إِنَّ وِدَادَ النَّاسِ | لِأَجْلِ أَمْرَيْنِ بِلَا الْتِبَاسِ
إِمَّا لِذَاتِ النَّفْسِ أَوْ ذَاتِ الْيَدِ | وَوُدُّ ذَاتِ النَّفْسِ خَيْرُ الْعُقَدِ
وَوُدُّ ذَاتِ الْيَدِ لِلْمُعَامَلَةْ | وَالْعَيْشِ بِالنِّفَاقِ وَالْمُجَامَلَةْ
وَالْوُدُّ لِلْجَزَاءِ فِعْلُ الصَّيَّادْ | إِذْ يَطْرَحُ الْحَبَّ لِكَيْمَا يَصْطَادْ
لَمْ يَعْتَمِدْ مَنْفَعَةَ الطُّيُورِ | وَرِفْقَهَا بِحَبِّهِ الْمَنْثُورِ
وَإِنَّمَا أَرَادَ نَفْعَ نَفْسِهِ | كَجَاهِدٍ فِي زَرْعِهِ وَغَرْسِهِ
وَقَدْ قَبِلْتُ وُدَّكَ الْمَبْذُولَا | وَقَدْ بَذَلْتُ وُدِّيَ الْمَسْؤُولَا

«لَمْ أَبْتَعِدْ عَنْكَ لِخَوْفٍ كَلَّا» (١) فَأَنْتَ أَوْفَى ذِمَّةً وَإِلَّا
لَكِنَّ مِنْ جِنْسِكَ لِي أَعْدَاءَ أَخَافُهُمْ وَلَسْتُمُ سَوَاءَ
قَالَ ٱلْغُرَابُ قَوْلَ ذِي تَحْقِيقِ لَيْسَ أَخِي أَقْرَبَ مِنْ صَدِيقِي
عَلَامَةُ ٱلْإِخْلَاصِ وَٱلْوَفَاءِ فِي مَذْهَبِي وَآلَةُ ٱلصَّفَاءِ
كَوْنِي عَدُوًّا لِعَدُوِّ صَاحِبِي أَرْمِيهِ بِٱلْمَصَائِبِ ٱلصَّوَائِبِ
أَقْطَعُ مِنْ أَجْلِكَ أَهْلِي وَٱلْوَلَدْ إِنْ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ كَمَا تَوَدْ
فَزَارِعُ ٱلرَّيْحَانِ فِي بُسْتَانِهِ يَقْلَعُ مَا يَخْشَى عَلَى رَيْحَانِهِ
ثُمَّ أَتَاهُ زِيرَكٌ فَٱعْتَنَقَا وَٱمْتَزَجَا مَوَدَّةً وَٱتَّفَقَا
حَتَّى إِذَا مَا مَرَّتِ ٱلْأَيَّامُ قَالَ ٱلْغُرَابُ ضَلَّتِ ٱلْأَحْلَامُ
جُحْرُكَ ذَا دَانٍ مِنَ ٱلطَّرِيقِ وَلَيْسَ ذَا بِٱلْمَوْضِعِ ٱلْوَثِيقِ
أَخَافُ أَنْ تُقْصَدَ فِيهِ بِأَذَى وَأَيُّ مَا عَيْشٍ صَفَا مِنَ ٱلْقَذَى
وَقَدْ عَرَفْتُ مَأْمَنًا لِلْخَائِفِ وَفِيهِ لِي خِلٌّ مِنَ ٱلسَّلَاحِفِ
وَفِيهِ لِي قُوتٌ وَعَيْشٌ رَغَدُ قَالَ لَهُ زِيرَكُ ذَاكَ أَقْصِدُ
فَإِنَّنِي قَالٍ لِذَا ٱلْمَكَانِ وَأَهْلِهِ وَٱلدَّارِ بِٱلْجِيرَانِ
قَالَ لَهُ وَمَا ٱجْتَوَيْتَ مِنْهُ حَتَّى أَرَدْتَ أَنْ تَزُولَ عَنْهُ

---

(١) كَانَ الأصل : ولم أقف منك بعيداً كلّا

قَالَ لَهُ لِي قِصَّةٌ تَطُولُ — وَسَوْفَ إِنْ أَمْكَنَنِي أَقُولُ
فَاشْتَالَهُ الْغُرَابُ فِي مِنْقَارِهِ — كَذَاكَ مَنْ فَرَّ مِنَ الْمَكَارِهْ
حَتَّى إِذَا مَا حَطَّهُ وَوَقَفَا — نَادَى فَلَبَّاهُ أَخُوهُ السُّلَحْفَا
وَجَاءَهُ مُبَادِرًا فَاسْتَخْبَرَهْ — مَا عَاقَهُ عَنْهُ فَقَصَّ خَبَرَهْ
وَمَا رَأَى مِنْ قِصَّةِ الْحَمَامِ — إِذْ نَشِبُوا فِي مِخْلَبِ الْحِمَامِ
فَأَفْلَتُوا مِنْهُ وَأَنَّ الْجُرَذَا — كَانَ لَهُمْ مِمَّا عَرَاهُمْ مُنْقِذَا
وَأَنَّهُ لَمَّا رَآهُ وَافِيَا — إِخْتَارَهُ مُصَاحِبًا مُصَافِيَا
فَرَحَّبَتْ بِهِ وَقَالَتْ حَبَّذَا — أَنْتَ رَعَاكَ اللهُ رَبِّي جُرَذَا
وَسَأَلَتْهُ مَا الَّذِي أَتَى بِهِ — قَالَ قَضَاءُ اللهِ مِنْ أَسْبَابِهِ
وَإِنَّنِي كُنْتُ بِبَيْتِ نَاسِكِ — مُنْبَسِطًا فِيهِ كَشَارٍ فَاتِكِ
أُفْسِدُ كُلَّ قُوتِهِ بِجُهْدِي — كَأَنَّمَا أَطْلُبُهُ بِحِقْدِ
لَوْ عَلَّقَ السُّفْرَةَ بِالسِّمَاكِ — لَجِئْتُهَا أَوْ سَابِعِ الْأَفْلَاكِ
آكُلُ مَا يَذْخَرُهُ وَأَبْذُلُهْ — لِفَارِ تِلْكَ الدَّارِ فَهْيَ تَأْكُلُهْ
فَاجْتَمَعَ الْفَارُ بِتِلْكَ الدَّارِ — وَإِنَّمَا الْأَوْطَانُ بِالْأَوْطَارِ
ثُمَّ أَتَاهُ نَاسِكٌ فَزَارَهْ — وَقَصَّ كُلٌّ مِنْهُمَا أَخْبَارَهْ
وَالشَّيْخُ كُلَّ سَاعَةٍ يُصَفِّقُ — قَالَ لَهُ الزَّائِرُ أَنْتَ أَحْمَقُ

حَقَرْتَ قَوْلِي أَوْ هَزِئْتَ مِنِّي ... فَقَالَ لَا مَا كَانَ هٰذَا ظَنِّي
ثُمَّ حَكَى لِضَيْفِهِ حِكَايَتِي ... وَعُظْمَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ نِكَايَتِي
قَالَ لَهُ يَصْنَعُ هٰذَا ٱلصُّنْعَا ... فَرْدًا أَمِ ٱلْفَارُ ٱجْتَمَعْنَ جَمْعَا
قَالَ لَهُ بَلْ وَاحِدٌ وَإِنَّهُ ... أَوْفَى ٱلْجَمِيعِ شِدَّةً وَمُنَّهْ
قَالَ لَهُ قُوَّتُهُ لِأَمْرِ ... أَذْكَرَنِي وَلَمْ أَكُنْ ذَا ذِكْرِ
مَقَالُهُمْ فِي مَنْ يَبِيعُ سِمْسِمَا ... مُقَشَّرًا بِذِي قُشُورٍ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَا لِعِلَّةٍ مَكْنُونَهْ ... لِأَنَّهَا لَمْ تَكُ بِٱلْمَجْنُونَهْ
قَالَ لَهُ مَنْ هٰذِهِ وَأَمْرُهَا ... قَالَ لَهُ لَقَدْ عَنَانِي ذِكْرُهَا
نَزَلْتُ ضَيْفًا لَيْلَةً عَلَى فَتَى ... كَانَ خَصِيبًا رَحْلُهُ إِذَا شَتَا
فَقَالَ عِنْدَ صُبْحِهِ لِعِرْسِهِ ... عِنْدَ ٱنْبِسَاطِ نَفْسِهِ لِأُنْسِهِ
أُرِيدُ أَنْ أُضِيفَ أَقْوَامًا غَدَا ... قَالَتْ وَمَا عِنْدَكَ حَتَّى تَحْشُدَا
قَالَ لَهَا لَا تَذْخَرِي طَعَامِي ... فَٱلِادِّخَارُ عَادَةُ ٱللِّئَامِ
فَتُصْبِحِي فِي ذَاكَ مِثْلَ ٱلذِّيبِ ... مَعْ كَثْرَةِ ٱلْمَلَامِ وَٱلتَّأْنِيبِ
حَدَّثَنِي ٱلرُّوَاةُ أَنَّ صَائِدَا ... رَمَى غَزَالًا ثُمَّ رَاحَ عَائِدَا
فَٱعْتَنَّهُ فِي طَرِيقِهِ خِنْزِيرُ ... هَوْلٌ عَظِيمٌ خَلْقُهُ كَبِيرُ
فَقَرْطَسَ ٱلرَّامِي بِسَهْمٍ صَفَنَهْ ... فَحَمَلَ ٱلْخِنْزِيرُ حَتَّى طَعَنَهْ

بنابهِ وَوَقعا كلاهما   وَإنْ ذِئباً عابراً رآهما
وَالظبيُ بِالقاعِ فطارَ فرحا   وَجرَّ أذيالَ السرورِ مرحا
وقالَ إنَّ الرأيَ أكلُ الوترِ   ثمَّ ادّخارُ اللحمِ قولُ المدبرِ
ثمَّ دنا منهُ فعندها رجعْ   من سِيةِ القوسِ عليهِ فوقعْ
فالادّخارُ فاعلميهِ لومُ   وفيـهِ عارٌ ظاهرٌ وشومُ
قالتْ لهُ إنَّ لنا أرزّا   وسمسماً بقشرهِ وعنزا
فقشرتهُ بكرةً وبسطتْ   في الشمسِ كي تجففهُ فغلطتْ
وإنَّ كلباً داسهُ وذاقهُ   فضجرتْ وآثرتْ إنفاقهُ
فأبدلتهُ بصحيحٍ ما قُشرْ   فقالَ شيخٌ واللبيبُ يعتبرْ
ما صنعتْ إلاَّ لأمرٍ ذلكا   فأعجبَ القولُ أخاهُ الناسكا
لكنْ لأمرٍ أفرطتْ قوتهُ   وعظمتْ دونهمُ نخوتهُ
وحفرا جحري وكانَ فيهِ   ألفٌ منَ العينِ بلا تمويهِ
فأخذاها كلَّها واقتسما   وعدتُ محزونَ الفؤادِ مغرما
وقالَ لا يرجعُ قطُّ يطفرُ   وكيفَ يستطيعُ الفقيرُ المعسرُ
إنَّ الدنانيرَ تشدُّ الأزرا   والفقرُ كالسيفِ يقدُّ الظهرا
فكانَ ما قالَ صحيحاً صادقا   ولمْ أعدْ بعدُ لذاكَ لاحقا

كَمْ وَثْبَةٍ وَثَبْتُهَا فَلَمْ أَصِلْ ... حَتَّى كَأَنَّ حَبْلَ ظَهْرِي قَدْ فُصِلْ
فَأَعْرَضَ ٱلْإِخْوَانُ عَنْ وِدَادِي ... وَرَجَعَ ٱلصَّدِيقُ كَٱلْمُعَادِي
لَمَّا رَأَوْا عَجْزِيَ قَالُوا جَمْعَا ... لَمْ تَتْرُكِ ٱلْأَيَّامُ فِيهِ نَفْعَا
وَٱنْقَلَبُوا عَنِّي إِلَى أَضْدَادِي ... لِلُؤْمِهِمْ وَأَنْكَرُوا وِدَادِي
وَأَظْهَرُوا عَيْبِي وَلَيْسَ عَيْبِي ... عِنْدَهُمُ إِلَّا فَرَاغُ ٱلْجَيْبِ
فَقُلْتُ مَا ٱلْإِخْوَانُ وَٱلْأَعْوَانُ ... إِلَّا لِمَنْ كَانَ لَهُ إِمْكَانُ
مَا لِلْفَقِيرِ صَاحِبٌ وَلَا أَخُ ... بَيْنَ ٱلْفَقِيرِ وَٱلْمَعَالِي بَرْزَخُ
كَأَنَّهُ مَاءُ غَدِيرٍ وَاقِفُ ... يَعُودُ بَعْدَ ٱلْجَرْيِ وَهُوَ نَاشِفُ
وَإِنَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِخْوَانُ ... لَيْسَ لَهُ أَهْلٌ وَلَا وِلْدَانُ
أَجَلْ وَلَا ذِكْرٌ وَلَا عَقْلٌ وَلَا ... دُنْيَا وَلَا أُخْرَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى
وَرُبَّمَا ٱضْطُرَّ إِلَى ٱلتَّغْرِيرِ ... بِنَفْسِهِ فِي ٱلْخَطَرِ ٱلْخَطِيرِ
لَدَوْحَةٌ ذَاوِيَةٌ مُحْتَرِقَةْ ... أَصْلَحُ مِمَّنْ يَبْتَغِي لِلصَّدَقَةْ
مَا لِلْفَقِيرِ مَنْ يُحَامِي دُونَهُ ... إِنِّي رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ يَمْقُتُونَهُ
وَإِنَّهُ عَارٌ مِنَ ٱلْحَيَاءِ ... كَاسٍ مِنَ ٱلنِّفَاقِ وَٱلرِّيَاءِ
وَفَقْرُهُ مُؤَثِّرٌ فِي عَقْلِهِ ... وَعِلْمِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ
وَإِنَّ مَنْ بَزَّ ٱلزَّمَانُ مَالَهُ ... كَانَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ لَا لَهُ

يعود في إخوانه متهما   يهينه من كان قبل مكرما
فكلما يطرى به الغني   يلحى عليه المقتر الشقي
إن كان شهما قيل غر أهوج   وحاله جميعه معوج
أو كان ذا جود وذا سماح   قيل سفيه ليس ذا صلاح
وحلمه عجز كما وقاره   بلادة يعظم منها عاره
لا خير في الدنيا مع الإضاقة   الموت خير من شديد الفاقة
إن الردى مسألة الحطام   لا سيما مسألة اللئام
دس يدي في فم أفعى أسهل   من بسطها إلى امرئ لا يبذل
ومن كلام الحكماء الأول   من غاب عن موطنه إذا ابتلي
بعلة في الجسم لا تفارقه   أو صاحب أهوج لا يوافقه
أو فاقة يبذل فيها وجهه   إلى بخيل لا يعيب جبهه
فموته راحته ومآله   خير من الوفاة لا محالة
وجئت ليلا أسرق الدنانير   فاستيقظوا وهرت السنانير
وعدت والضيف لأجلي لم ينم   فشجني بصلبة من السلم
فعدت كالميت لا أطيق   سعيا وفي جوانحي حريق
«وقد أصابني من الأوجاع ما   جعلني أستكره الدراهما»

ثُمَّ رَأَيْتُ كُلَّ حَالٍ مُنْكَرَهْ — تَلْقَى الرِّجَالَ أَصْلُهَا سُوءُ الشَّرَهْ
وَطَالِبُ الدُّنْيَا شَقِيٌّ أَبَدَا — فِي تَعَبٍ فَلَا يَزَالُ مُكْمَدَا
وَلَا يَزَالُ لِلْمَنَايَا غَرَضَا — وَبِالْأَمَانِي النَّازِحَاتِ عَرَضَا
مُنْقَلِبَ الْقَلْبِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا — وَلَيْسَ شَيْءٌ كَالرِّضَى عَنِ الْقَضَا
مِنْ قَوْلِهِمْ لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ — وَالْوَرَعُ الْكَفُّ عَنِ الْمَحْذُورِ
لَا حَسَنٌ لِلْمَرْءِ كَالْخُلْقِ الْحَسَنْ — وَلَا غِنَى مِثْلُ الرِّضَى عَنِ الزَّمَنْ
أَحَقُّ مَا لَاقَى اللَّبِيبُ حَدَّهُ — بِالصَّبْرِ أَمْرٌ لَا يُطِيقُ رَدَّهُ
وَأَفْضَلُ الْبِرِّ يُقَالُ الرَّحْمَهْ — إِنَّ مُنَى الطَّرَّارِ ضِيقُ الزَّحْمَهْ
وَإِنَّ أَصْلَ الْوُدِّ فِي الْإِسْتِرْسَالْ — وَإِنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ عِلْمٌ بِالْحَالْ
«وَيُحْمَدُ الْخَرَسُ فِي الْإِنْسَانِ — وَلَا يُحَبُّ كَاذِبُ اللِّسَانِ»
«وَالْفَقْرُ وَالضَّرَّاءُ خَيْرٌ مِنْ ثَرَا — يُكْسَبُ مِنْ فَضْلِ عَطِيَّاتِ الْوَرَى»
فَعِنْدَهَا رَضِيتُ وَانْتَقَلْتُ — مِنْ مَنْزِلِ النَّاسِكِ وَارْتَحَلْتُ
«وَكَانَ لِي أَخٌ مِنَ الْحَمَامِ — تَخِذْتُهُ خِلًّا مِنَ الْفِطَامِ»
«كَسَبْتُ وَالْإِنْسَانُ ذُو اكْتِسَابِ — بِوُدِّهِ صَدَاقَةَ الْغُرَابِ»
وَقَدْ حَكَى الْغُرَابُ عَنْكَ فَضْلَا — وَسِيرَةً عَادِلَةً وَعَقْلَا
ثُمَّ أَتَاكَ زَائِرًا فَقُلْتُ — لَا خَيْرَ فِي الْوَحْدَةِ وَانْتَقَلْتُ

فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ سُرُورِ الْعَاجِلَهْ ... كَصُحْبَةِ الْإِخْوَانِ وَالْمُوَاصَلَهْ
وَكُلُّ غَمٍّ دُونَ غَمِّ فَقْدِهِمْ ... لَسْتُ بِرَاضٍ بَدَلًا بِوُدِّهِمْ
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَقْنَعُ بِالْكَفَافِ ... مِنْ عَيْشِهِ فَلَيْسَ ذَا إِنْصَافِ
لَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا امْرُؤٌ لَمْ يَنْتَفِعْ ... إِلَّا بِقَدْرِ الْقُوتِ فَارْضَ وَاقْتَنِعْ
وَإِنَّنِي جِئْتُ بِوُدٍّ صَافِ ... فَكُنْ بِحُسْنِ الْوُدِّ ذَا إِسْعَافِ
قَالَ لَهُ سَمِعْتُ ذَاكَ فَاسْمَعِ ... أَرَاكَ مِثْلَ الْوَالِهِ الْمُفَجَّعِ
تَذْكُرُ مَنْ فَارَقْتَ مِنْ إِخْوَانِكَا ... وَمَا رَحَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَوْطَانِكَا
حُسْنُ الْكَلَامِ زَيْنُهُ حُسْنُ الْعَمَلْ ... وَالْقَوْلُ إِنْ لَمْ يَتْلُهُ الْفِعْلُ خَطَلْ
عِلْمُ الْمَرِيضِ بِدَوَاءِ دَائِهِ ... لَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْهُ فِي ابْتِلَائِهِ
لَا تَأْسَفَنْ لِلْفَقْرِ إِنَّ الْعَالِمَا ... يُرْعَى وَإِنْ كَانَ قَصِيرًا عَادِمَا
كَمَا يُهَابُ الْأَسَدُ الْهَصُورُ ... وَإِنَّهُ فِي غِيلِهِ مَحْصُورُ
وَإِنَّ قَدْرَ الْمُوسِرِ الْجَهُولِ ... كَالْكَلْبِ فِي الْأَطْوَاقِ وَالْحُجُولِ
وَلَا تَقُلْ إِنِّي غَرِيبُ الدَّارِ ... فَإِنَّمَا الدِّيَارُ بِالْجِوَارِ
«وَالرَّجُلُ الْعَاقِلُ لَا غُرْبَةَ لَهْ ... بِعَقْلِهِ يَقْطَعُ كُلَّ مُشْكِلَهْ»

«كالليث حيث كان فالبأس معه ... تلبس الكلاب أن تروعه»(١)

فعد على نفسك بالتفقد ... وخل عنك حيرة التلدد

فالفضل للحازم لا للكسلان ... الوكل الوغد القليل الإحسان

ولا تقل قد كنت أمس ذا مال ... فهكذا الدنيا تحيل الأحوال

والمال في تمثيله مثل الكره ... وكرها مقبلة ومدبره

وخمسة ليس لها دوام ... عشق النسا والمال والغمام

وخلة الأشرار والثناء ... إن كان فيه الكذب والرياء

لا يفرح العاقل بالأموال ... فإنها لحادث الليالي

وانما مال اللبيب عقله ... وزهده وعلمه وفضله

لا يمنع المرء ثواب ما عمل ... وليس مما ليس يأتي بوجل

فهو حقيق بادخار الزاد ... من صالح الأعمال للمعاد

فالموت لا يأتيه إلا بغتة ... خاف فما تعلم نفس وقته

لست إلى موعظتي فقيرا ... فلم تزل مجربا بصيرا

أعلم مني بصروف الأزمان ... لكن رأس الدين نصح الإخوان

---

(١) كان الاصل :

والرجل العاقل ليس يغترب ... إلا لما ينفعه ويضطرب

كالليث حيث كان من مكان ... مستظهر بقوة الجنان

فَفَرِحَ ٱلْغُرَابُ لَمَّا سَمِعَا مَقَالَهُ وَقَالَ حِينَ أَوْدَعَا
أَوْلَى ٱلرِّجَالِ بِٱلسُّرُورِ وَٱلْفَرَحْ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِمُطَّرَحْ
وَٱجْتَمَعَ ٱلْإِخْوَانُ فِي جَنَابِهِ وَٱعْتَكَفُوا جَمِيعُهُمْ بِبَابِهِ
فَقَامَ بِٱلْوَاجِبِ مِنْ حُقُوقِهِمْ مُلْتَزِمًا لِلْبِرِّ فِي طُرُوقِهِمْ
إِنَّ ٱلْكَرِيمَ يَسْتَقِيلُ إِنْ عَثَرْ بِكَرَمِ ٱلطَّبْعِ وَعُقْبَى ٱلشَّرِّ شَرْ
« وَإِنَّمَا يُقِيلُهُ مِنْ عَثْرَتِهْ ذُو كَرَمٍ نَظِيرُهُ وَسَقْطَتِهْ »
فَٱلْفِيلُ لَا يُخْرِجُهُ إِذَا وَحِلْ مِنْ ذَاكَ إِلَّا مِثْلُهُ كَمَا نُقِلْ
إِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَا يَرَى مَا صَنَعَهْ مِنْ صَالِحٍ شَيْئًا وَيُخْفِي مَوْقِعَهْ
مُحْتَقِرًا صَنِيعَهُ ٱلْجَلِيلَا وَمُسْتَفِزًّا بِرَّهُ ٱلْجَزِيلَا
وَأَغْبَطُ ٱلنَّاسِ ٱلْكَثِيرُ ٱلسَّائِلُ وَأَشْرَفُ ٱلنَّاسِ ٱلْعَزِيزُ ٱلنَّائِلُ
غَيْرُ غَنِيٍّ مَعْ ثَرَاءِ مَالِهِ مَنْ لَمْ يُشَارِكْ فِي جَمِيعِ حَالِهِ
لَيْسَ بِغُرْمٍ مَا أَفَادَ غُنْمَا وَلَا بِغُنْمٍ مَا يَجُرُّ غُرْمَا
فَبَيْنَمَا ٱلْغُرَابُ فِي مَقَالِهِ إِذْ جَاءَهُمْ ظَبْيٌ شَبِيهُ ٱلْوَالِهِ
فَفَزِعُوا مِنْهُ وَظَنُّوا خَلْفَهُ شَيْئًا يَكُونُ حَتْفَهُمْ وَحَتْفَهُ
فَمَرَّ كُلٌّ مِنْهُمُ حَتَّى ٱنْزَوَى وَعَادَ فِي مَكَانِهِ خَوْفَ ٱلنَّوَى
فَعَبَّ فِي ٱلْمَاءِ وَكَانَ صَادِيَا وَٱرْتَفَعَ ٱلْغُرَابُ قَدْرًا عَالِيَا

يَنظُرُ هل خلفَ الغزالِ طالِبُ ... فما رأى والظنُّ حيناً كاذِبُ
فاجتمعوا لشأنِهِم وعادوا ... وراجعوا القولَ الذي أرادوا
ورحَّبَ الجميعُ بالغزالِ ... وسألوهُ الطفَ السؤالِ
« قالوا لهُ من أينَ أقبلتَ وما ... بالُكَ أضحيتَ نفوراً هائماً »
« قالَ محلِّي هذهِ الصحارى ... بخصبِها في القوتِ لا تُبارى »
« نظرتُ أمسِ في الفلا إسوارا ... في طلَبي مجتهداً قد سارا »
« كأنَّهُ يبغي بقتلي ثارا ... فجئتُ في جريي لا أُجارى »
« إليكمُ قالوا لهُ كُن آمِنا ... فليسَ يأتي قانصٌ إلى هنا »
وبذلوا لهُ الودادَ الصافيا ... فكانَ بالشكرِ لهم مكافيا
ولم يزلْ بينهمُ مسرورا ... مُكرَّماً مُعظَّماً محبورا
وكُنَّ يجتمعنَ عندَ السلحفا ... على عريشٍ عملتهُ سعفا
واحتبسَ الغزالُ ذاتَ يومِ ... ففارقَ الكلُّ لذيذَ النومِ
وطارَ كي ينظرَهُ الغرابُ ... ثمَّ أسفَّ ولهُ انصبابُ
فقالَ قد علِقَ في حبالَهْ ... وإنَّهُ لا بدَّ أن نسعى لَهْ
فمرَّ يسعى الجرذُ الشفيقُ ... وللخطوبِ يُذخَرُ الصديقُ
قالَ لهُ كيفَ وقعتَ فيها ... ولم تزلْ مذ كنتَ تتقيها

وَأَنْتَ ذُو كَيْسٍ وَذُو دَهَاءِ ... قَالَ وَهَلْ كَيْسٌ مَعَ الْقَضَاءِ

ثُمَّ أَتَاهُ السُّلْحَفَا مُبَادِرَا ... قَالَا لَهُ قَدْ جِئْتَنَا مُخَاطِرَا

إِنْ جَاءَنَا الصَّيَّادُ لَمْ يَلْحَقْنَا ... وَأَنْتَ لَا تَعْدُو إِذَا طَرَقَنَا

قَالَ لَهُمْ لَا عَيْشَ لِلْمُفَارِقِ ... أَحْبَابَهُ الْأَدْنَيْنَ قَوْلَ صَادِقِ

وَإِنَّ فِي تَعَاوُنِ الْإِخْوَانِ ... رَوْحًا مِنَ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ

فَأَقْبَلَ الْقَانِصُ بَعْدَ قَطْعِهِ ... حِبَالَةَ الظَّبْيِ وَبَعْدَ نَزْعِهِ

وَقَدْ مَضَى الظَّبْيُ وَقَدْ مَرَّ الْجُرَذْ ... وَالسُّلْحَفَاةُ لِلشَّقَاءِ مَا نَفَذْ

فَشَدَّهُ فِي حَبْلِهِ وَأَوْثَقَا ... فَحَزِنُوا وَسَاءَهُمْ [1] مَا اتَّفَقَا

ثُمَّتَ قَالَ الْجُرَذُ الْحَزِينُ ... وَصِدْقُهُ فِي قَوْلِهِ مُبِينُ [2]

حَتَّى مَتَى إِذَا قَطَعْنَا عَقَبَهْ ... صِرْنَا إِلَى أُخْرَى كَؤُودٍ مُتْعِبَهْ

كَذَلِكَ الْمَرْءُ إِذَا مَا عَثَرَا ... لَاقَى مِنَ الْعِثَارِ أَمْرًا مُنْكَرَا

وَلَمْ يَكُنْ جَدِّي الَّذِي أَنَا نِي ... فَزُلْتُ عَنْ مَالِي وَعَنْ أَوْطَانِي

بِتَارِكِي مُسْتَمْتِعًا بِصَاحِبِ ... حَتَّامَ قَلْبِي هَدَفُ النَّوَائِبِ

---

(١) كان وشقهم عوض وساءهم وليس في القاموس شقه بمعنى شقّ عليه

(٢) وفي الاصل : وقوله في صدقه مبين

حَتَّى ٱبْتَلاَنِي بِفِرَاقِ ٱلسُّلْحفَا ... وَإِنَّهُ أَكْرَمُ إِخْوَانِ ٱلصَّفَا
وَيْحٌ لِهَذَا ٱلْجَسَدِ ٱلْمُرَكَّبِ ... ٱلنَّاقِصِ ٱلْمُمْتَحَنِ ٱلْمُعَذَّبِ
بِهِ ٱلرَّزَايَا أَبَدًا مُوَكَّلَهْ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ حَالُهُ مُنْتَقِلَهْ
وَهكَذَا فِي ٱلْفَلَكِ ٱلنُّجُومُ ... أَحْوَالُهَا فِي ٱلْعَيْنِ لاَ تَدُومُ
وَإِنَّ هَذَا ٱلْحَادِثَ ٱلْعَظِيمَا ... هَيَّجَ لِي ٱلْأَحْزَانَ وَٱلْهُمُومَا
أَذْكَرَنِي مِنْ مِحْنَتِي مَا سَلَفَا ... فَصَارَ كَٱلْجُرْحِ إِذَا مَا قُرِفَا
جُرْحٌ عَلَى جُرْحٍ شَدِيدٌ مُؤْلِمُ ... حَقَّرْتُ مَا كُنْتُ لَهُ أَسْتَعْظِمُ
قَالُوا لَهُ لاَ نَفْعَ فِي ٱلْمَقَالِ ... وَإِنَّمَا ٱلنَّفْعُ فِي ٱلْاحْتِيَالِ
فَإِنَّمَا يُخْتَبَرُ ٱلشُّجَاعُ ... بَأْسًا إِذَا مَا حَمِيَ ٱلْمِصَاعُ
وَهكَذَا ٱلْأَمِينُ عِنْدَ ٱلْمَالِ ... يُعْرَفُ وَٱلْإِخْوَانُ فِي ٱلْأَهْوَالِ
« وَيُعْرَفُ ٱلنَّاسُ لَدَى ٱلْبَلاَءِ ... وَٱلْأَهْلُ وَٱلْوُلْدُ لَدَى ٱلْبَأْسَاءِ »
فَقَالَ لِلْغَزَالِ قَعْ قَرِيبَا ... حَتَّى تَغُرَّ ٱلْقَانِصَ ٱللَّبِيبَا
« وَيَقَعُ ٱلْغُرَابُ فَوْقَ ظَهْرِكَا ... كَأَنَّهُ يَأْكُلُ لَحْمَ جُرْحِكَا »
عَسَاهُ يَغْدُو طَالِبًا وَيَرْفِضُ ... أَلسُّلْحفَا أَقْصِدُهُ وَأَقْرِضُ
حِبَالَهُ عَنْهُ وَأَنْتَ تَخْدَعُهْ ... فَإِنَّ ذَا أَنْفَعُ شَيْءٍ نَصْنَعُهْ
فَكَانَ مَا قَالَ وَعَادَ ٱلصَّائِدُ ... فَرَابَهُ وَقَالَ جِنٌّ مَارِدُ

وَمَرَّ قَدْ أَدْهَشَهُ وَهَالَهْ   وَقَالَ فِعْلُ ٱلْجِنِّ لَا مَحَالَهْ
وَعُدْنَ فِي خَفْضٍ وَفِي أَمَانِ   فَهٰكَذَا تَوَاصُلُ ٱلْإِخْوَانِ

بَابُ

ٱلْبُومِ وَٱلْغُرْبَانِ

وَهُوَ بَابُ

ٱلْمُغْتَرِّ بِٱلْعَدُوِّ وَتَضَرُّعِهِ وَتَمَلُّقِهِ لِلْمَكْرِ وَمَا يُصِيبُهُ مِنِ ٱغْتِرَارِهِ

قَالَ لَهُ صِفْ لِي ٱلْعَدُوَّ ٱلضَّارِعَا   إِذَا أَتَى مُمَاكِرًا مُخَادِعَا
« هَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَثِقَ ٱلْمَرْءُ بِهِ   وَلَيْسَ يَدْرِي مَا طَوَى فِي قَلْبِهِ»
« وَهَلْ يَصِيرُ ٱلْكَاشِحُ ٱلْلَّدُودُ   يَوْمًا وَدُودًا وِدُّهُ أَكِيدُ »
« وَمَا ٱلْعَدَاوَةُ وَمَا أَضْرَارُهَا   وَكَيْفَ تُطْفَا إِنْ عَلَا شِرَارُهَا»
«وَمَا عَلَى ٱلْمَلِيكِ أَنْ يَصْنَعَ إِنْ   رَامَ ٱلْعَدُوُّ صُلْحَهُ قُلْ يَا فَطِنْ»
قَالَ لَهُ مَنْ غَرَّهُ ذَاكَ وَقَعْ   كَٱلْبُومِ فِي كَيْدِ ٱلْغُرَابِ إِذْ خَدَعْ

قَالَ وَكَيْفَ كَانَ حَالُ ٱلْبُومِ ... قَالَ رَوَى ٱلْخَبِيرُ بِٱلْعُلُومِ

كَانَتْ عَلَى بَعْضِ ٱلْجِبَالِ شَجَرَهْ ... عَظِيمَةٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ مُنْكَرَهْ

فِي رَأْسِهَا أَلْفُ غُرَابٍ وَلَهُمْ ... مُقَدَّمٌ يَحْمِلُ عَنْهُمْ كَلَّهُمْ

كَمَلِكٍ وَكَانَ فِي ذَاكَ ٱلْجَبَلْ ... أَلْفٌ مِنَ ٱلْبُومِ فَجَاؤُوا فِي عَجَلْ

وَهَجَمُوا لَيْلًا عَلَى ٱلْغِرْبَانِ ... فَأَثْخَنُوهُمْ غَايَةَ ٱلْإِثْخَانِ

فَٱجْتَمَعُوا مِنْ بُكْرَةٍ عِنْدَ ٱلْمَلِكْ ... فَقَالَ وَهُوَ قَلِقٌ وَمُرْتَبِكْ

لَقَدْ رَأَيْتُمْ قَبِيحَ مَا جَرَى ... عَلَيْكُمُ وَلَيْسَ ذَاكَ مُنْكَرَا

فَهَكَذَا ٱلْأَعْدَاءُ يَفْعَلُونَا ... فَمَا تَرَوْنَ وَٱعْلَمُوا يَقِينَا

أَنَّهُمُ سَوْفَ يَعُودُونَ لَكُمْ ... فَإِنْ أَطَاقُوا قَتَلُوكُمْ كُلَّكُمْ

قُولُوا فَإِنَّ ٱلرَّأْيَ حَقًّا مُشْتَرَكْ ... وَمَنْ عَصَى ٱلرَّأْيَ وَلَمْ يَحْتَلْ هَلَكْ

وَكَانَ فِيهِمْ خَمْسَةٌ كِبَارُ ... إِلَيْهِمِ ٱلْإِيرَادُ وَٱلْإِصْدَارُ

فَقَالَ لِلْأَكْبَرِ مِنْهُمْ مَا تَرَى ... فَقَالَ قَدْ قَالَ فَتًى وَمَا ٱفْتَرَى

أُهْرُبْ وَخَلِّ ٱلدَّارَ إِنْ لَمْ تُطِقِ ... وَتَسْتَطِعْ دَفْعَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْحَنِقِ

فَقَالَ لِلْآخَرِ مَا تَقُولُ ... « قَالَ ٱلْجَلَاءُ نَفْعُهُ جَزِيلُ »

« فَقَالَ لَا أَرَى ٱلْجَلَاءَ مُنْكَمَا ... رَأْيًا سَدِيدًا مُظْهِرًا فَهْمَكُمَا »

« فَلَيْسَ بِٱلْحَسَنِ أَنْ نُخْلِي ٱلْوَطَنْ ... لِخَصْمِنَا بِمِحْنَةٍ مِنَ ٱلْمِحَنْ »

لكننا من العدو نحترس — وإن أتانا لم نخم ولم نخس
وقال للثالث قل وحقق — فقال قول المستكين المشفق
الرأي أن نبذل ما يريدون — من الخراج ثم لا يحيدون
حينئذ نأمنهم ونمكث — في دارنا بعهدهم لا ننكث
فالأحسن الأجمل بالرجال — أن يفتدوا النفوس بالأموال
« قال له الرابع ليس حسنا — خضوعنا وذلنا لخصمنا »
« رحيلنا وكوننا في غربة — وصبرنا على شديد النكبة »
« وجودنا في الضر والبأساء — خير من الخضوع للأعداء »
« الموت خير من حياة ذل — في ظل خصم قاهر مذل »
لعله يعنتنا ويطلب — من الخراج بذل ما لا يقرب
« والبوم لا يرضون بالقليل — بل بكثير الثمن الجليل »
قال الحكيم قارب الأعداء — فربما يسل الحقد والبغضاء
فصلحك الأعداء والمقاربة — أجدى من القراع والمحاربة
أبذل له من المنى ما يقنع — ولا تبالغ مسرفا فيطمع
يلفيك إذ ذاك ذليلا واهنا — فيضعف المسعف والمعاونا
كالعود ان أملته قليلا — في الشمس زدت ظله الظليلا

وَإِنْ عَبَرْتَ الْقَصْدَ فِي الإِمَالَهْ ... نَقَصْتَ قَدْرَ الظِّلِّ لاَ مَحَالَهْ
فَإِنَّمَا لِكُلِّ شَيْءٍ حَدٌّ ... وَالْجِدُّ لاَ يَنْفَعُ فِيهِ الْجِدُ
وَلَيْسَ يَرْضَى الْقَوْمُ بِالْمُقَارَبَهْ ... فَالرَّأْيُ أَنَّا نَصْدُقُ الْمُحَارَبَهْ
فَقَالَ لِلْخَامِسِ مَا تَسْتَصْوِبُ ... فَقَالَ قَالَ الْمُجَرِّبُ الْمُجَرَّبُ
حَرْبُ الْفَتَى مَنْ لاَ يُطِيقُ حَرْبَهُ ... حُزْنٌ يَضُرُّ جِسْمَهُ وَقَلْبَهُ
لَيْسَ مِنَ الْحَزْمِ وَلاَ الرَّشَادِ ... لِلْمَرْءِ أَنْ يَسْتَضْعِفَ الأَعَادِي
لأَنَّهُ يَغْتَرُّ عِنْدَ ذَاكَا ... بِهِ فَيَلْقَى الْحَيْنَ وَالْهَلاَكَا
وَإِنَّنِي لَهَائِبٌ لاَ أَكْذِبُ ... قَلْبِي مِنْ خَوْفِهِمِ مُلْتَهِبُ
كَذَلِكَ الْحَازِمُ لَيْسَ يَأْمَنُ ... عَدُوَّهُ إِنَّ الْغَبِيَّ الآمِنُ
لأَنَّهُ إِنْ كَانَ مِنْهُ نَازِحَا ... أَعَادَ مِثْلَ فِعْلِهِ مُشَايِحَا
أَوْ كَانَ مِنْهُ دَانِيًا أَوْ حَاضِرَا ... وَاثَبَهُ مُبَادِرًا مُسَاوِرَا
وَإِنْ رَأَى فِي السِّلْمِ مِنْهُ غِرَّهْ ... بَادَرَهُ بِكَيْدِهِ فَغَرَّهْ
وَالْكَيْسُ لاَ يَطْلُبُ الْقِرَاعَا ... بَلْ يَدْفَعُ الأَيَّامَ مَا اسْتَطَاعَا
« فَإِنَّ مَا دُونَ الْقِتَالِ يُنْفَقُ ... فِيهِ مِنَ الأَمْوَالِ وَهْيَ تُرْزَقُ »
« وَإِنَّمَا نَفَقَةُ الْقِتَالِ ... مِنَ النُّفُوسِ لاَ مِنَ الأَمْوَالِ »
« وَرُبَّمَا اسْتُغْنِيَ عَنِ الصِّدَامِ ... بِخُطْبَةٍ لَيِّنَةِ الْكَلاَمِ »

« فَلاَ يَكُونَنَّ قِتَالُ ٱلْبُومِ ... مِنْ رَأْيِكَ ٱلسَّدِيدِ يَا عَظِيمِي »
فَإِنَّ مَنْ وَاكَلَ فِيلاً هَائِلاَ ... فَلِلْبَلاَءِ وَٱلشَّقَاءِ وَاكَلاَ
وَلَيْسَ يَخْفَى فِي قِيَاسِ ٱلْحَازِمِ ... فِي ٱلْحَرْبِ قَدْرُ ضِدِّهِ ٱلْمُخَاصِمِ
بَلْ يَسْبُرُ ٱلْأُمُورَ أَمْرًا أَمْرَا ... فَيَفْعَلُ ٱلْأَوْلَى بِهِ وَٱلْأَحْرَى
وَإِنَّمَا يَظْفَرُ قَوْمٌ بِٱلظَّفَرْ ... بِٱلْحَزْمِ وَٱلْعَزْمِ وَتَكْرَارِ ٱلنَّظَرْ
وَأَنْ يَكُونَ سِرُّهُمْ مَكْتُومَا ... لاَ ظَاهِرًا لِضِدِّهِمْ مَعْلُومَا
وَٱلسِّرُّ يَبْدُو مِنْ شِعَابٍ خَمْسَةْ ... يَتَّهِمُ ٱلْعَاقِلُ فِيهَا نَفْسَهْ
مِنْ قِبَلِ ٱلنَّاظِرِ وَٱلْمُشَاوِرِ ... وَٱلْبُرْدِ وَٱلرُّسْلِ وَوَشْيِ ٱلْحَاضِرِ (١)
وَٱلسِّرُّ فِي كِتْمَانِهِ أَمْرَانِ ... كِلاَهُمَا يَلْقَاهُ ذُو ٱلْكِتْمَانِ
سَلاَمَةٌ مِنَ ٱلْعُيُونِ وَظَفَرْ ... وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تَكْتُمِ ٱلسِّرَّ ٱنْتَشَرْ
لاَ بُدَّ مِنْ مُشَاوِرٍ مَأْمُونِ ... لَيْسَ بِذِي غِشٍّ وَلاَ مَأْفُونِ
وَإِنْ يَكُنْ أَعْلَمَ بِٱلدُّهُورِ ... وَٱلْفِكْرِ فِي عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ
فَرَأْيُهُ زِيَادَةٌ فِي رَايِكَا ... لاَ سِيَّمَا إِذَا غَدَا مُشَارِكَا
فَٱلرَّأْيُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ ٱلْجُنْدِ ... وَٱلرَّأْيُ أَمْضَى مِنْ سُيُوفِ ٱلْهِنْدِ

---

(١) لم أرَ « بُرْد » جمعاً لبريد وكأني بالناظم قد جمعه كذا تشبيهاً له برُسل جمع رسول

بِهِ تَزِيدُ قُوَّةُ الْجَبَّارِ　　زِيَادَةَ الْبَحْرِ مِنَ الْأَنْهَارِ
كَالدُّهْنِ إِذْ يُظْهِرُ فِي السِّرَاجِ　　زِيَادَةً فِي نُورِهِ الْوَهَّاجِ
عَلَيْكَ أَنْ تُوَافِقَ الْمُشِيرَا　　وَأَنْ تُطِيعَ النَّاصِحَ الْوَزِيرَا
فَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ قَدْ غَلِطَا　　بَصَّرْتَهُ بِالرِّفْقِ مَا قَدْ فَرَّطَا
وَإِنْ هُوَ ارْتَابَ بِأَمْرٍ نَازِلِ　　فَقَلِّبِ الرَّأْيَ فِعَالَ الْعَاقِلِ
حَتَّى إِذَا تَوَافَقَ الرَّأْيَانِ　　وَاعْتَدَلَا كَكِفَّتَيْ مِيزَانِ
وَزَالَتِ الشُّبْهَةُ فَاعْمَلْ حِينَئِذْ　　وَخُذْ بِحَزْمٍ فَهْوَ خَيْرُ مَا أُخِذْ
إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْمُشِيرُ　　فَإِنَّهُ لِخَصْمِهِ ظَهِيرُ
كَجَاهِدٍ فِي رُقْيَةِ الشَّيْطَانِ　　لَعَلَّهُ يُغْرِيهِ بِالْإِنْسَانِ
مَنْ لَيْسَ ذَا رَأْيٍ وَذَا وَزِيرِ　　يَنْصَحُهُ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ
فَأَمْرُهُ لَا بُدَّ أَنْ يَضِيعَا　　وَيَنْقَضِي سُلْطَانُهُ سَرِيعَا
وَإِنَّمَا الْمُوَفَّقُ السَّعِيدُ　　مَنْ يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ إِذْ يَكِيدُ
وَيَصْطَفِي لِنَفْسِهِ وَزِيرَا　　ذَا فِطْنَةٍ يَصْدُقُهُ التَّدْبِيرَا
وَمَنْ يَكُونُ فِي الْوَرَى مَهِيبَا　　لَا وَلَدًا يَرْعَى وَلَا حَبِيبَا
لَا يَعْلَمُ الرِّجَالُ مَا فِي نَفْسِهِ　　مِنْهُ وَلَا مِنْ وُلْدِهِ وَعِرْسِهِ
سِيَاسَةً فَالْمُلْكُ بِالسِّيَاسَةْ　　دَامَتْ لَهُ الدَّوْلَةُ وَالرِّئَاسَةْ

قد استشرت أيها السلطان بي ... وليس مثل العاقل المجرب
إن لم أكن أشير بالصدام ... فما أرى الخضوع للأخصام
فإن في ذلك ذل الدهر ... وليس ترضى الذل نفس الحر
ألموت للحر الكريم أصلح ... من ذلة ظاهرة وأروح
والرأي أن تعجل التدبيرا ... بهمة لا تهمل الأمورا
فإن تأخير الأمور عجز ... وفيه عن بعض الصواب حجز
وإن عندي لجوابا يحضر ... أذكر منه علنا وأستر
للسر عند أهله منازل ... كذاك قال الألمعي العاقل
«فمنه ما يدعى له الأقارب ... ومنه ما يدعى له الأجانب»
ومنه ما يدعى له جماعه ... وللصواب أمرة مطاعه
ومنه ما يحضره اثنان ... وإن ذا منه بلا كتمان
فخرج القوم فقال الملك ... إن الأمور بالتواني تهلك
قل لي ما أوقع ذي العداوه ... ما بيننا فلست ذا غباوه
فقال والأمر لديه معلوم ... إجتمع الطير لتمليك البوم
وشاوروا في أمرهم غرابا ... فقال ليس رأيكم صوابا
لو فقد الطاووس والكراكي ... ما جاز كون البوم في الأملاك

لِأَنَّهُ يَحْسُنُ قُبْحُ مَنْظَرِهْ ... عِنْدَ أُولِي الْعَقْلِ لِقُبْحِ مَخْبَرِهْ
مَعْ مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الزَّمَانَهْ ... وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ وَالْأَمَانَهْ
«إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ مُشِيرُونْ ... بِحُسْنِ آرَائِهِمْ يَسِيرُونْ»
«لَهُ اسْمُ مَلْكٍ وَسِوَاهُ يَفْعَلُ ... مَا شَاءَهُ يَعْدِلُ أَوْ لَا يَعْدِلُ»
«كَأَرْنَبٍ قَدْ زَعَمَتْ أَنَّ الْقَمَرْ ... هُوَ مَلِيكُ أَرْضِهَا الْعَالِي النَّظَرْ»
«وَعَمِلَتْ بِرَأْيِهَا تَبْغِي الظَّفَرْ ... بِمَا دَهَى بِلَادَهَا مِنَ الْخَطَرْ»
«فَهَتَفَ الْجَمْعُ هُتَافَ الْمُعْجَبِ ... بِاللهِ حَدِّثْنَا حَدِيثَ الْأَرْنَبِ» (١)
فَقَالَ لَمْ تُمْطَرْ بِلَادُ الْفِيلَهْ ... فَأَعْظَمَ الْعَظِيمُ مِنْهَا حِيلَهْ
وَبَعَثَ الرُّوَّادَ فِي الْأَقْطَارِ ... لِطَلَبِ الْعُيُونِ وَالْأَنْهَارِ
فَجَاءَهُ مَنْ قَالَ إِنَّ بِيرَا ... رَأَيْتُ فِيهَا شَبِمًا نَمِيرَا
وَإِنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقَمَرْ ... فَقَامَ لَمَّا جَاءَهُ ذَاكَ الْخَبَرْ
فِي جَيْشِهِ فَوَطِئُوا أَرَانِبَا ... قَطَنَّ تِلْكَ الْبِيدَ وَالسَّبَاسِبَا
فَجِئْنَ جَمْعًا مَلِكَ الْأَرَانِبِ ... وَالرَّأْسَ مَنْ يُقْصَدُ فِي النَّوَائِبِ
وَقُلْنَ دَبِّرْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَنَّهْ ... عَنْهَا فَيَصْنَعْنَ كَمَا صَنَعْنَهْ

---

(١) كان الأصل :

فاقضوا الامور دونه كالارنب ... قالوا فحدّثنا بذاك نعجب

فَقَالَ إيتُونِيَ بِالْكُفَاةِ ... وَالْعُقَلَاءِ الْقَادَةِ الدُّهَاةِ
فَقَامَ مِنْهَا وَاحِدٌ مَعْرُوفُ ... أَرْوَعُ نَدْبٌ رَأْيُهُ مَوْصُوفُ
وَقَالَ أَرْسِلْنِي إِلَيْهَا قَالَ سِرْ ... فَأَنْتَ يَا فَيْرُوزُ خَيْرُ مُعْتَبَرْ
عَقْلُ الرَّسُولِ بَعْضُ عَقْلِ الْمُرْسِلِ ... مَهْمَا يُرِدْ مِنَ الْأُمُورِ يَفْعَلِ
إِنْ شَاءَ رَتْقَ الْفَتْقِ بِاللُّطْفِ رَتَقْ ... أَوْ شَاءَ فَتْقَ الرَّتْقِ بِالْخُرْقِ فَتَقْ
فَسَارَ فَيْرُوزُ إِلَيْهَا وَانْطَلَقْ ... وَهُوَ لَطِيفُ الرَّأْيِ يَفْرِي مَا خَلَقْ
وَقَامَ يَدْعُو فَوْقَ تَلٍّ عَالِي ... يَا مَلِكَ الْوَحْشِ اسْتَمِعْ مَقَالِي
إِنِّي رَسُولُ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ ... أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ كَالنَّذِيرِ
وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْإِبْلَاغْ ... إِنْ لَمْ يَسُغْ كَلَامُهُ وَإِنْ سَاغْ
فَقَالَ أَدِّ مَا بِهِ أَرْسَلَكَا ... إِيَّاكَ أَنْ تَكْتُمَ مَا حَمَّلَكَا
فَقَالَ مَنْ جَهِلَ الْقَوِيِّ أَنَّهُ ... إِذَا رَأَى فَضْلَ قُوَاهُ ظَنَّهُ
يُقَاوِمُ الْقَوِيَّ كَالضَّعِيفِ ... رَأْيُ جَهُولٍ لَيْسَ بِالْحَصِيفِ
حِينَئِذٍ يَكُونُ فَضْلُ قُوَّتِهْ ... حَيْنًا لَهُ وَسَبَبًا لِشِقْوَتِهْ
وَأَنْتَ بِالْقُوَّةِ ذُو اغْتِرَارِ ... لِضُعْفِ مَا تَلْقَى مِنَ الْأَغْمَارِ
وَقَدْ قَصَدْتَ يَا شَقِيُّ عَيْنِي ... وَذَاكَ فَاحْذَرْ مِنْهُ دَاعِي الْحَيْنِ
« جِئْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى ... بِاسْمِي فَكَانَ ذَاكَ مِنْكَ إِثْمَا »

« وَنَقِّهَا لَمَّا شَرِبْتَ مِنْهَا فَعُدْ إِلَى أَرْضِكَ وَالْهُ عَنْهَا »
فَإِنْ رَجَعْتَ نَادِمًا عَنْ فِعْلِكَا غَفَرْتُ مَا أَتَيْتَهُ بِجَهْلِكَا
وَإِنْ لَزِمْتَ هَذِهِ الْجَرِيمَهْ لَمْ تَأْمَنِ الْعُقُوبَةَ الْأَلِيمَهْ
وَإِنْ تُكَذِّبْ هَذِهِ الرِّسَالَهْ فَعُدْ إِلَى الْعَيْنِ تَرَ الدَّلَالَهْ
فَكَرَّ نَحْوَ الْعَيْنِ قَصْدًا وَرَجَعْ وَالْقَمَرُ الْمُشْرِقُ فِيهَا قَدْ طَلَعْ
بِصُورَةٍ فَقَالَ يَا فَيْرُوزْ لَا يَسْتَوِي الذَّلِيلُ وَالْعَزِيزْ
فَقَالَ خُذْ مِنْ مَائِهَا قَلِيلَا وَدَلِّ خُرْطُومَكَ ذَا الطَّوِيلَا
فَارْتَعَدَ الْمَاءُ بِضَوْءِ الْقَمَرِ فَقَالَ يَا فَيْرُوزْ زَادَ حَذَرِي
قَالَ لَهُ اسْجُدْ وَدَعِ التَّمَرُّدَا وَتُبْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَيْهَا أَبَدَا
فَتَابَ إِذْ ذَاكَ وَخَرَّ سَاجِدَا وَكَرَّ بِالْعَسْكَرِ عَنْهَا عَائِدَا
وَإِنَّ فِي الْبُومِ مِنَ الْخَدِيعَهْ وَالْمَكْرِ وَالْخِسَّةِ وَالْوَقِيعَهْ
شَرُّ الْمُلُوكِ الزَّائِغُ الْمُخَادِعُ تَضِيعُ فِي هِمَّتِهِ الصَّنَائِعُ
مَنِ ابْتُلِي بِمَلِكٍ خَدَّاعِ أَصَابَهُ مِنْ حُكْمِهِ الْمُطَاعِ
مَا حَلَّ بِالصِّفْرِدِ حِينَ حَاكَمَا الْأَرْنَبَ الْخَبَّ وَكَانَ ظَالِمَا
جَهْلًا إِلَى السِّنَّوْرِ وَهْوَ صَائِمُ قَالُوا وَمَا أَصَابَهُ يَا عَالِمُ
فَقَالَ لِي جَارٌ مِنَ الصَّفَارِدِ حُلْوُ اللِّقَاءِ حَسَنُ التَّعَاهُدِ

وَكَانَ يَلْقَانِي لِقَآءً دَائِمًا ... فَغَابَ عَنِّي فَبَقِيتُ وَاجِمَا
فَجَآءَ يَوْمًا أَرْنَبٌ لِيَسْكُنَا ... فِي جُحْرِهِ لَمَّا ٱرْتَضَاهُ مَسْكَنَا
فَظَلَّ فِيهِ مُدَّةً مُقِيمَا ... وَلَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ مُلِيمَا
وَرَجَعَ ٱلصِّفْرِدُ يَبْغِي ٱلْجُحْرَا ... فَوَجَدَ ٱلْأَرْنَبَ مُسْتَقِرَّا
وَٱرْتَفَعَ ٱلنِّزَاعُ وَٱلْخِصَامُ ... وَطَالَ مَا بَيْنَهُمَا ٱلْكَلَامُ
« فَصَرَخَ ٱلصِّفْرِدُ إِنَّ ٱلْقَاضِيَا ... مِنَّا قَرِيبٌ لَا تَكُنْ مُجَافِيَا »
« أَجَابَهُ ٱلْأَرْنَبُ مَنْ ذَا ٱلْقَاضِي ... قُلْ لِي إِنِّي بِقَضَاهُ رَاضِي »
« فَقَالَ سِنَّوْرٌ بِشَطِّ ٱلْبَحْرِ ... يَحْكُمُ بِٱلْقِسْطِ بِكُلِّ أَمْرِ »
« إِحْتَقَرَ ٱلدُّنْيَا وَفِيهَا قَدْ زَهَدْ ... وَطَلَبَ ٱلْعُلْيَا وَلِلّٰهِ عَبَدْ »
« نَهَارُهُ تَقَشُّفٌ وَصَوْمُ ... وَلَيْلُهُ عِبَادَةٌ لَا نَوْمُ »
« وَلَيْسَ يُؤْذِي دَابَّةً وَلَا يُرِيقْ ... دَمًا فَهُوَ بِكُلِّ إِكْرَامٍ حَقِيقْ »
« قَالَ بِهِ رَضِيتُ إِنْ كَانَ كَمَا ... قُلْتَ فَسَارَا وَأَنَا خَلْفَهُمَا »
« فَدَنَوَا مِنْهُ مُعَظِّمِينِ ... وَسَلَّمَا عَلَيْهِ هَائِبِينِ »
« وَسَأَلَاهُ أَنْ يَكُونَ حَكَمَا ... عَدْلًا وَأَنْ يَقْضِي مَا بَيْنَهُمَا »
« فَقَالَ قُصَّا ٱلْأَمْرَ لِي مُفَصَّلَا ... إِيَّاكُمَا أَنْ تَكْتُمَا فَفَعَلَا »[1]

(١) كان الاصل :
فاحتكما فيه إلى سنور ... فطلبا العدل من أهل الجور

قَالَ ادْنُوَا مِنِّي فَإِنِّي أَطْرُوشْ ... قَوْلاً جَمِيلاً بِالْخِدَاعِ مَغْشُوشْ
حَتَّى إِذَا صَارَا قَرِيبًا مِنْهُ ... قَالَ وَمَا لِلْقَوْلِ فِيهِ كُنْهُ
إِنْ تَقْبَلاَ يَا صَاحِبَيَّ نُصْحِي ... فَاصْطَلِحَا إِنَّ الْهُدَى فِي الصُّلْحِ
لاَ تَطْلُبَا بِاللهِ إِلاَّ الْحَقَّا ... وَلاَ تَقُولاَ الْيَوْمَ إِلاَّ الصِّدْقَا
فَطَالِبُ الْحَقِّ هُوَ السَّعِيدُ ... وَإِنْ أَتَاهُ ضِدُّ مَا يُرِيدُ
وَطَالِبُ الْبَاطِلِ لَيْسَ يُفْلِحُ ... لِأَنَّهُ فِي غَيْرِ مَرْخٍ يَقْدَحُ
وَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ مِنْ دُنْيَاهُ ... إِلاَّ جَمِيلُ عَمَلٍ أَتَاهُ
لاَ يَجْهَدُ الإِنْسَانُ فِي مَا يَفْنَى ... فَمَا يُسَاوِي ذَاكَ مَا تَعَنَّى
وَالْمَالُ عِنْدَ صَاحِبِ التَّحْقِيقِ ... كَمَدَرٍ مُلْقًى عَلَى الطَّرِيقِ
وَهَكَذَا النَّسَّاءُ كَالأَفَاعِي ... وَالصَّبْرُ مِنْ مَكَارِمِ الطِّبَاعِ
«يُعَامِلُ الْعَاقِلُ أَبْنَا جِنْسِهِ ... فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ نَظِيرَ نَفْسِهِ»
«وَلَمْ يَزَلْ يَقُصُّ مِنْ هَذَا الْكَلاَمْ ... وَشِبْهِهِ عَلَيْهِمَا بِالاِهْتِمَامْ»
«فَأَنِسَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَرُبَا ... مِنْهُ وَلَمْ يَخْتَشِيَا أَنْ يَغْضَبَا»[1]
حَتَّى إِذَا مَا أَمْكَنَاهُ وَثَبَا ... مُمَكِّنًا فِي كُلِّ جِيدٍ مِخْلَبَا

(١) كان الاصل :

فلم يزل يدنيهما ويجتهد ... فانسا وقربا وقد اسد

«ثمت قال إن في البوم سوى   ماقد وصفت الشؤم ايضا والغوى»
«فلا يكونن إذا من رأيكم   أن يملك البوم على جميعكم»
فرجع الطير لذا المقال   وانقلب البوم بسوء حال
يقول للغراب كالمعاتب   أتيت في أمري غير الواجب
هل كنت أسلفت إليك ذنبا   أم كنت أضمرت علي عتبا
وإنه قد تقطع الفؤوس الشجر   ثم تعود بعدها ذات ثمر
والسيف يبري اللحم والعظاما   وربما يلتحم التحاما
وينزع النصل من العظام   ويذهب الكلام بالكلام
قد تدمل الأيام جرح الموسى   والجرح باللسان ليس يوسى
لكل نار فاعلمنه مطفي   يخمدها بشدة أو ضعف
فالماء للنار وللسم دوا   والصبر للحزن وللعشق النوى
وإن نار الحقد ليست تخبو   والسلم من غير صفاء حرب
وقد غرست بيننا من الإحن   غروس سوء تجتني منها المحن
ثم مضى وندم الغراب   ورب رأي فاته الصواب
وقال لم قلت لقد خرفت   هل نافعي الساعة أن أسفت
لقد غرست الشر والعداوه   يا ويلتي من هذه الشقاوه

قَدْ كَانَ فِي ٱلطَّيْرِ كَبِيرٌ يَعْلَمُ مِثْلَ ٱلَّذِي عَلِمْتُهُ وَيَفْهَمُ
فَسَكَتُوا عَنْ ذِكْرِهِ إِشْفَاقَا لِنَظَرٍ فِي ٱلْحَقِّ أَوْ نِفَاقَا
وَنَظَرُوا جَمِيعُهُمْ فِي ٱلْعَاقِبَهْ فَإِنَّ حَيَّاتِ ٱللَّيَالِي وَاقِبَهْ
وَأَيُّ عُذْرٍ بَعْدَ مَا وَاجَهْتُهُ وَبِٱلَّذِي يَكْرَهُهُ جَبَهْتُهُ
وَكُلُّ قَوْلٍ لَمْ يَكُنْ مُوَاجَهَهْ قَوْلٌ فَأَمَّا إِنْ أَتَى مُشَافَهَهْ
فَإِنَّهُ سُمٌّ يُسَمَّى قَوْلَا قَدْ كَانَ بِي تَرْكُ ٱلْفُضُولِ أَوْلَى
وَلَيْسَ مَنْ كَانَ لَهُ لِسَانُ وَشَأْنُهُ ٱلْإِفْصَاحُ وَٱلْبَيَانُ
يَقُولُ مَا لَا يَنْبَغِي مَقَالَهْ فَقَوْلُهُ ٱلْهُجْرُ عَلَيْهِ لَا لَهْ
هَلْ يَشْرَبُ ٱلسُّمَّ لِمُلْكِ ٱلتِّرْيَاقْ وَاخَجَلِي إِنَّ ٱلْعُقُولَ أَرْزَاقْ
وَٱلْفَضْلُ لِلْفَاضِلِ فِي حُسْنِ ٱلْعَمَلْ فَاعْرِفْهُ لَا حُسْنِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُقْتَبَلْ
أَلَيْسَ يَكْفِينِي مِنَ ٱلضَّلَالَهْ أَنِّي قُلْتُ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَهْ
فِي مِثْلِ ذِي ٱلْحَادِثَةِ ٱلْكَبِيرَهْ مِنْ غَيْرِ مَا فِكْرٍ وَلَا بَصِيرَهْ
بَدِيهَةً مِنِّي بِلَا تَرَوِّي إِنَّ ٱللِّسَانَ لَقَرِينُ سُوِّ
كَسَبْتُ شَرَّ إِحْنَةٍ وَحَرْبِ مَا كَانَ أَغْنَانِي عَنْ ذَا ٱلْكَسْبِ
قَالَ لَهُ فَهِمْتُ أَصْلَ حَرْبِهِمْ بِذَنْبِنَا نُؤْخَذُ لَا بِذَنْبِهِمْ
فَمَا ٱلَّذِي يُجْدِي عَلَيْنَا ٱلْآنَا أَشِرْ بِأَمْرٍ يَنْفَعُ ٱلْإِخْوَانَا

قد قلتَ فيما استصوبَ القومُ الذي … سمعتهُ فاحذُ الصوابَ واحتذِ

قالَ لهُ الحيلةُ لا سواها … في أمرهم هيَ التي أرضاها

فقد ينالُ بدقيقِ الحيلهْ … ما لم ينلْ بالقوةِ الجليلهْ

أما سمعتَ بخداعِ النفرِ … ومكرهم بالناسكِ المغررِ

قالَ أفدني قالَ إنَّ ناسكا … كانَ من المعزى عريضاً مالكا

« يريدُ أن يجعلَهُ قربانا … يستمطرُ الرحماتِ والغفرانا »

قدِ اشتراهُ حسناً سمينا … ولم يكنْ بائعهُ ظنينا

فجاءهُ من جانبِ الناسِ نفرْ … اصطلحوا على أذاهُ فنفرْ

فقالَ منهمْ واحدٌ خداعا … يا شيخُ ذا الكلبُ بكمْ فارتاعا

ثمَّ أتاهُ آخرٌ فسبّا … وقالَ لِمْ تقودُ هذا الكلبا

فشكَّ بعدَ علمهِ في أمرهِ … وقالَ قد خيِّلَ لي بسحرهِ

وحلَّهُ من وقتهِ وأرسلهْ … فاقتسموهُ إنَّ هذا لبلهْ

الرأيُ أن تضربني علانيهْ … ضرباً يشيعُ في البلادِ النائيهْ

وترحلوا وتتركوني ملقى … في موضعٍ سماهُ حقاً حقا

فرحلوا وتركوهُ مفردا … مزملاً بدمهِ مقيدا

وأقبلَ البومُ الى المكانِ … فافتقدوا جماعةَ الغربانِ

فَأَنَّ كَيْمَا يُبْصِرُوهُ أَنَّهْ … فَجِئْنَ إِذْ سَمِعْنَهُ وَأَنَّهْ
قَالَ لَهُ كَبِيرُهُمْ مَنْ أَنْتَا … قَالَ أَنَا فُلَانُ إِنْ عَرَفْتَا
قَالَ وَزِيرُ مَلِكِ الْغِرْبَانِ … قَالَ نَعَمْ لَقَدْ عَرَفْتَ شَانِي
قَالَ وَمَا ذِي الْحَالُ قَالَ إِنَّهْ … أَسَاءَ إِذْ صَدَقْتُ فِي ظَنِّهْ
قُلْتُ لَهُ صَالِحْ وَلَا تُقَاتِلِ … وَوَادِعِ الْقَوْمَ وَلَا تُخَاتِلِ
«فَإِنَّمَا عَدُوُّنَا شَدِيدُ … وَبَأْسُهُ لَانَ لَهُ الْحَدِيدُ»
«وَنَحْنُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ جُبَنَا … عَاقِبَةُ الْحَرْبِ تَزِيدُ كَرْبَنَا»
«وَلَا يَرُدُّ بَأْسَ خَصْمٍ قَادِرِ … مِثْلُ الْخُضُوعِ فَالْخِلَافَ حَاذِرِ»
«وَانْظُرْ إِلَى الْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ … مِنْ عَاصِفِ الرِّيحِ الَّذِي يُحَطِّمُ»
«لِلِينِهِ وَالشَّجَرُ الْمُرْتَفِعُ … يُصَادِمُ الرِّيحَ لِذَاكَ يُقْلَعُ»
فَسَاءَهُ رَأْيِي وَقَالَ الْحَرْبُ … أَشْفَى لِقَلْبِي فَالْحَكِيمُ يَصْبُو
فَضَرَبُونِي ضَرْبَ مَوْتُورٍ حَنِقْ … وَطَرَحُونِي بِالْهُمُومِ مُحْتَرِقْ
فَقَالَ لِلْوَزِيرِ مَا تَسْتَصْوِبُ … فِي أَمْرِهِ قَالَ الْخَبِيثُ يَكْذِبُ
فَاقْتُلْهُ فَالْقَتْلُ لَهُ جَزَاءْ … لِكُلِّ دَاءٍ مُعْضِلٍ دَوَاءْ
وَإِنَّ فِي قَتْلِ الْعَدُوِّ رَاحَهْ … وَلَيْسَ فِي الْفَتْكِ بِهِ قَبَاحَهْ
وَهٰذِهِ مَكِيدَةٌ عَظِيمَهْ … وَبَعْدَهَا الْمَقْعَدَةُ الْمُقِيمَهْ

مَنْ رَحِمَ ٱلْعَدُوَّ أَمْسَى نَادِمَا ... لَيْسَ لَنَا لَوِ ٱسْتَطَاعَ رَاحِمَا
فَقَالَ مَا عِنْدَ ٱلْوَزِيرِ ٱلْمُصْلِحِ ... قَالَ لَهُ مَلَكْتَهُ فَأَسْجِحِ
لَيْسَ ٱلتَّشَفِّي مِنْ ضَعِيفٍ بِحَسَنْ ... يَكْفِيهِ مَا يَلْقَاهُ مِنْ صَرْفِ ٱلزَّمَنْ
قَدْ تَعْطِفُ ٱلْإِنْسَانَ أَدْنَى خَلَّهْ ... وَيَقْطَعُ ٱلْحُبُّ لِأَدْنَى زَلَّهْ
لِمِثْلِ هٰذَا كَانَ عَطْفُ ٱلتَّاجِرِ ... عَنْ سَارِقِ ٱلْبَيْتِ ٱلْخَبِيثِ ٱلْفَاجِرِ
« قَدْ كَانَ ذُو مَالٍ لَهُ مَتَاجِرُ ... تَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهَا ٱلدَّفَاتِرُ »
« زَوْجَتُهُ وَاجِدَةٌ عَلَيْهِ ... تَنْظُرُ شَزْرًا دَائِمًا إِلَيْهِ »
« أَوْهَمَهَا إِغْضَابُهُ وَهَمُّهُ ... إِرْضَاؤُهَا لِذَاكَ طَالَ غَمُّهُ »
« فَدَخَلَ ٱللُّصُوصُ يَوْمًا غُرْفَتَهْ ... لِيَنْهَبُوا وَيَسْرِقُوا أَمْتِعَتَهْ »
فَأَبْصَرَتْ لِصًّا فَوَلَّتْ مُشْفِقَهْ ... إِلَى سَرِيرِ زَوْجِهَا لَاعَنْ مِقَهْ
وَٱلْتَزَمَتْهُ خِيفَةً لَا حُبًّا ... وَأَظْهَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ قُرْبَا
فَٱنْتَبَهَ ٱلشَّيْخُ وَقَدْ كَلَّمَهَا ... وَقَالَ مَا رَدَّ إِلَيَّ هَمَّهَا
ثُمَّ رَأَى ٱللِّصَّ فَقَالَ لَا تَرُعْ ... فَأَنْتَ فِي حِلٍّ وَنِعْمَ مَا صَنَعْ
فَقَالَ لِلثَّالِثِ مَاذَا عِنْدَكَا ... فَقَالَ أَنْ تَغْمُرَهُ بِرِفْدِكَا
فَٱلْحُرُّ يُسْتَعْطَفُ بِٱلْإِحْسَانِ ... مَا أَحْسَنَ ٱلْجَمِيلَ بِٱلْإِنْسَانِ
قَرِّبْهُ وَٱخْصُصْهُ بِبِرٍّ يَرْجِعِ ... إِلَيْكَ عَنْ إِخْوَانِهِ وَيَنْزِعِ

عَنْ طَبْعِهِ فَبِالْجَمِيلِ تُنْزَعُ   عَدَاوَةُ الرِّجَالِ حِينَ تُقْلَعُ
فَإِنَّ مَنْ يَصْطَنِعُ الْأَحْرَارَا   يَأْمَنُ فِي حَلْبَتِهِ الْعِثَارَا
أَلْحُرُّ لَا يُصْلَحُ بِالْهَوَانِ   وَإِنَّمَا يُمْلَكُ بِالْإِحْسَانِ
وَرُبَّمَا كَانَتْ نَجَاةُ وَاحِدِ   فِي عَدْوِ خَصْمَيْهِ كَحَالِ الزَّاهِدِ
أَعْطَاهُ إِنْسَانٌ لِبِرٍّ بَقَرَهْ   حَلُوبَةً فَاقْتَصَّ لِصٌّ أَثَرَهْ
وَجَاءَ شَيْطَانٌ فَقَالَ اللِّصُّ   مَالِي أَرَاكَ إِثْرَهُ تَقْتَصُّ
قَالَ أُرِيدُ أَخْذَهُ إِنْ هَجَدَا   «وَأَنْتَ لِمْ تَتْبَعُهُ مُجْتَهِدَا»
«قَالَ ابْتِغَاءَ خَطْفِ هٰذِهِ الْبَقَرَهْ   فَإِنَّهَا غَنِيمَةٌ مُعْتَبَرَهْ»
حَتَّى إِذَا جَنَّ الدُّجَى وَرَقَدَا   «قَامَا لِأَغْرَاضِهِمَا فَعَرْبَدَا»
وَاخْتَلَفَا كُلٌّ يَقُولُ ابْتَدِي   فَزَعَقَ اللِّصُّ عَلَى تَعَمُّدِ
«قُمْ أَيُّهَا الزَّاهِدُ هَا الشَّيْطَانُ   أَخْذَكَ يَبْغِي فَاصْحُ يَا غَفْلَانُ»
«وَهَتَفَ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْبَقَرَهْ   فَازَ بِهَا بَعْضُ اللُّصُوصِ الْمَكَرَهْ»
فَانْتَبَهَ الْقَوْمُ وَوَلَّى الشَّيْطَانْ   فَسَلِمُوا وَأَخْفَقَ الْخَبِيثَانْ
فَعِنْدَهَا قَالَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ   تَرْكُ الْعَدُوِّ خُطَّةٌ لَا تَجْمُلُ
وَقَتْلُهُ أَوْلَى فَعَجِّلْ قَتْلَهُ   فَلَيْسَ يَعْفُو عَنْهُ إِلَّا أَبْلَهُ
قَدْ غَرَّكُنَّ بِالْخِدَاعِ وَالْمَلَقْ   وَزُخْرُفٍ مِنَ الْحَدِيثِ مُخْتَلَقْ

فلا تكنْ مثلَ الذي يكذبُ عيانَهُ لخبرٍ فيعطبُ
« قالَ وكيفَ ذاكَ قالَ قالوا إنَّ امرءًا في بيتهِ أحمالُ »
« قصدهُ اللصوصُ يومًا انتدبوا ودخلوا منزلهُ لينهبوا »
« فجمعوا ما فيهِ من متاعِ لم يتركوا شيئًا للانتفاعِ »
« ثمتَ جاؤا حيثُ كانَ الرجلُ فانتبهَ المرءُ وخافَ يقتلُ »
« وكانَ في حجرتهِ بابانِ إلى الطريقِ العامِّ يوصلانِ »
« فقالَ من رأيي أنْ لا يشعروا أني قدِ استيقظتُ كي لا يذعروا »
« قبلَ نهبِ سائرِ الأموالِ والأوفقُ الأحسنُ في ذي الحالِ »
« تركهم ينتهبونَ ما ارتضوا حتى إذا ما احتملوهُ ومضوا »
« خرجتُ من ذا البابِ أدعو جيرتي مستنصرًا أسمعُ أهلَ الغيرةِ »
« ألا انجدوني يا ذوي الحميةِ... على الذينَ انتهبوا أمتعتي »
« حينئذٍ يسعفني بحاجتي كلُّ فتى شهمٍ وذي حماسةِ »
« فظلَّ في فراشهِ لا يحركُ وفرغَ اللصوصُ مما يملكُ »
« وعندَ ما قاموا لنقلِ النهبِ قامَ يرى والذعرُ ملءُ القلبِ »
« وحينَ همَّ بالقيامِ شعروا فهمسَ الرئيسُ أنْ لا تذعروا »
« قفوا ولا تخشوا وهيوا نخدعهْ بكلمٍ ينكرهُ من يسمعهْ »

« فَمَا أَنَا أَرْفَعُ صَوْتِي خَاطِبَا   فِيكُمْ بِرَأْيٍ فَٱجْعَلُوهُ صَائِبَا »
« وَرَفَعَ ٱلصَّوْتَ وَنَادَى مُعْلِنَا   فِي ٱلْقَوْمِ كُفُّوا وَٱرْجِعُوا عَنْ ذَا ٱلْعَنَا »
« لَسْتُ أَرَى قِيمَةً فِي ٱلْأَحْمَالِ   كَافِيَةً لِأُجْرَةِ ٱلْحَمَّالِ »
« وَقَدْ بَدَا لِي أَنَّ هٰذَا ٱلْإِنْسَانْ   فَقِيرُ حَالٍ يَسْتَحِقُّ ٱلْإِحْسَانْ »
« فَأَخَذَتْنِي رَحْمَةٌ وَشَفَقَهْ   وَرَأْفَةٌ بِحَالِهِ بِلَا مَقَهْ »
« لِذَاكَ إِذْ رَاجَعْتُ رَأْيِي فِيهِ   بَدَا لِيَ ٱلْحَقُّ بِلَا تَمْوِيهِ »
« فَوَاجِبٌ أَنْ نَدَعَ ٱلْأَحْمَالَا   إِذْ لَيْسَ تَسْتَحِقُّ أَنْ تُحْتَالَا »
« بِضَاعَةٌ عَتِيقَةٌ وَكَاسِدَهْ   فَمَا لَنَا مِنْهَا كَبِيرُ فَائِدَهْ »
« وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ مَشَاهِيرِ ٱللُّصُوصْ   نَصًّا عَظِيمَ ٱلِٱعْتِبَارِ فِي ٱلنُّصُوصْ »
« مَنْ عَفَّ عَنْ مَتَاعِ ذِي فَقْرٍ فَلَمْ   يَسْرِقْهُ وَهْوَ قَادِرٌ نَالَ ٱلنِّعَمْ »
« وَغَفَرَ ٱللّٰهُ لَهُ فِي ٱلْحَالِ   سَرِقَانَ أَلْفِ رَجُلٍ ذِي مَالِ »
« إِنَّ أَحَلَّ ٱلسَّرِقَاتِ سَرِقَهْ   مُقَتِّرٍ لَيْسَ يُجِيزُ ٱلنَّفَقَهْ »
« ذَاكَ ٱلَّذِي ٱلْبُيُوتُ وَٱلْخَزَائِنُ   لِكُلِّ مَا يَجْمَعُهُ مَدَافِنُ »
« يَحْتَبِسُ ٱلْمَالَ فَلَيْسَ نَفْعُهُ   لَهُ وَلَا لِغَيْرِهِ يَدَعُهُ »
« أَلَا ٱتْرُكُوا هٰذَا ٱلْحُطَامَ وَدَعُوا   ثُمَّ إِلَى نَهْبِ بَخِيلٍ أَسْرِعُوا »
« قَالُوا لَهُ كُلُّهُمُ صَدَقْتَا   وَفِي جَمِيعِ ٱلْقَوْلِ قَدْ أَحْسَنْتَا »

« وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَفُكُّونْ ... مَا رَبَطُوا بِالْقَوْلِ لَا يَشْكُونْ »
« وَكَمَنُوا يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَنَامْ ... مِنْ بَعْدِ أَنْ سَمِعَ ذَاكَ الْكَلَامْ »
« وَكَانَ أَنَّ الرَّجُلَ الْمِسْكِينَا ... ظَنَّ الَّذِي سَمِعَهُ يَقِينَا »
« فَنَامَ وَاللُّصُوصُ يَنْظُرُونَا ... إِلَيْهِ وَالْغَفْلَةَ يَرْقُبُونَا »
« حَتَّى إِذَا مَا أَيْقَنُوا أَنَّهُ قَدْ ... أَزَالَ عَنْهُ الِارْتِيَاعَ وَرَقَدْ »
« ثَارُوا إِلَى مَا جَمَعُوا وَاحْتَمَلُوهْ ... إِلَى مَبِيتٍ لَهُمُ وَنَقَلُوهْ »
وَهٰكَذَا أَنْتُمْ إِذَا تَرَكْتُمْ ... عِيَانَكُمْ لِلُطْفِ مَا سَمِعْتُمْ
يَا قَوْمُ لَا تُصَدِّقُوا الْغُرَابَا ... وَوَافِقُونِي وَاقْتُلُوا الْكَذَّابَا
فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ عَدُوُّ ... لَكُمْ فَمَاذَا الرِّفْقُ وَالْحُنُوُّ
مَا خِفْتُمُ قَطُّ الْخَوْفِي السَّاعَهْ ... لَمَّا رَأَيْتُ بَيْنَكُمْ خِدَاعَهْ
فَخَالَفُوهُ وَالشَّقَاءُ الْخُلْفُ ... وَفِيهِ لِلْقَوْمِ رَدًى وَحَتْفُ
قَالَ أَمِيرُ الْقَوْمِ أَكْرِمُوهْ ... قَالَ لَهُ الْوَزِيرُ فَاحْبِسُوهْ
فَالرَّأْيُ أَنْ يَحْتَرِسَ الْإِنْسَانُ ... مِنَ الْعَدُوِّ إِنَّهُ يَقْظَانُ
وَإِنَّمَا جَاءَ لِكَيْدٍ خَافِي ... يَسْعَى إِلَيْهِ لَا لِوُدٍّ صَافِي
حَتَّى إِذَا لَمْ يَقْبَلِ الْأَمِيرُ ... لِلْحَيْنِ مَا دَبَّرَهُ الْوَزِيرُ
ظَلَّ الْغُرَابُ عِنْدَهُ مُكَرَّمَا ... مُصَدَّرًا مُوَقَّرًا مُعَظَّمَا

وَهوَ لَطِيفٌ سَاحِرُ ٱلْبَيَانِ يَخْدَعهمْ بِرِقَّةِ ٱللِّسَانِ
وَكُلَّ يومٍ عِنْدَهُ يُزَادُ قُرْبًا وَيَصفُو ٱلإِنسُ وَٱلوِدَادُ
فَقَالَ يوْمًا وَٱلْوَزِيرُ حَاضِرُ مكِيْدَةً وَإِنَّهُ لَمَاكِرُ
قُولُوا جَمِيعًا لِلأَمِيرِ عَنِّي جَمَاعَةُ ٱلْغرْبَانِ نَالُوا مِنِّي
مَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ وَبَلَغُوا فِيَّ مِنَ ٱلشَّرِّ ٱلَّذِي لاَ يُبْلَغُ
وَإِنَّ فِي قَلْبِي عَلَيْهِمْ حِقْدَا يَزِيدُهُ مَرُّ ٱلزَّمَانِ وَقْدَا
وَلَسْتُ مُسْتَطِيعًا لَهُمْ عِقَابَا مَا دُمْتُ مِثْلَ خَلْقِهِمْ غُرَابَا
وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ حَكِيمٍ عَالِمِ حِكَايَةً لَسْتُ لَهَا بِكَاتِمِ
إِنَّ ٱلَّذِي يَسْعَى لِهَدْمِ حِبْسِهِ حَتَّى تَطِيبُ نَفْسُهُ عَنْ نَفْسِهِ
فَيُحْرِقُ ٱلْجِسْمَ ٱلَّذِي قَدْ صَانَا كَمَنْ غَدَا مُقَرِّبًا قُرْبَانَا
«إِنْ يَدْعُ إِذْ ذَاكَ ٱلإِلٰهَ يَسْتَجِبْ سُبْحَانَهُ دُعَاءَهُ فَلَمْ يَخِبْ»
وَلِلْعَبِيدِ دَعْوَةٌ مُجَابَهْ لاَ سِيَّمَا ذِي ٱلْمُهْجَةِ ٱلْمُصَابَهْ
وَإِنَّنِي أَرْغَبُ أَنْ يَأْذَنَ لِي فَأُحْرِقَ ٱلْجِسْمَ بِلاَ تَعَلُّلِ
وَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلْقَدِيرَ إِنِّي أَعُودُ يوْمًا إِنَّهُ ذُو مَنِّ
حِينَئِذٍ أَرْجُو ٱنْتِقَامًا مِنْهُمُ فَلَسْتُ أَسْلُو مَا حَيِيتُ عَنْهُمُ
قَالَ ٱلَّذِي بِقَتْلِهِ أَشَارَا إِنَّكَ قَدْ خَادَعْتَنَا مِرَارَا

وَأَنْتَ فِي حَلَاوَةِ الْكَلَامِ   وَقُبْحِ مَا تُضْمِرُ كَالْمُدَامِ
صَافِيَةٌ طَيِّبَةُ الْأَنْفَاسِ   لَكِنَّهَا مَسْمُومَةٌ لِلْحَاسِي
إِنَّكَ إِنْ أُحْرِقْتَ فَالطَّبْعُ مَعَكْ   يَدُورُ حَيْثُ دُرْتَهُ لَنْ يَدَعَكْ
جِسْمُكَ جِسْمُ بُومَةٍ كَرِيمَهْ   لَكِنَّ فِيهِ نَفْسَكَ اللَّئِيمَهْ
كَالْفَارَةِ الَّتِي سَمِعْتُ ذِكْرَهَا   قَالُوا لَهُ اشْرَحْ ذَاكَ نَعْرِفْ أَمْرَهَا
فَقَالَ وَهْوَ لِلصَّوَابِ قَائِلُ   وَلِلْأُمُورِ كُلِّهَا مُخَائِلُ
رَأَى وَلِيٌّ حِدَأَةً طَيَّارَهْ   قَدْ وَقَعَتْ مِنْ مِنْسَرَيْهَا فَارَهْ
فَأَدْرَكَتْهُ رَحْمَةٌ وَرَافَهْ   لَهَا وَقَدْ لَجَّتْ بِهَا الْمَخَافَهْ
فَقَالَ إِنْ حَمَلْتُهَا إِلَى الْوَطَنْ   شَقَّتْ عَلَى أَهْلِي وَصَارَتْ لِي شَجَنْ
ثُمَّ دَعَا اللهَ فَصَارَتْ جَارِيَهْ   مَلِيحَةً مِثْلَ الْمَهَاةِ الْجَارِيَهْ
وَقَالَ يَا أَهْلِيَ هٰذِي ابْنَتِي   فَأَحْسِنُوا فِي أَمْرِهَا مِنْ جِهَتِي
فَأَحْسَنُوا حَتَّى إِذَا مَا كَبِرَتْ   وَبَلَغَتْ مَبْلَغَهَا وَأَدْرَكَتْ
قَالَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ زَوْجٍ لَكِ   فَالْتَمِسِي مَا تَشْتَهِينَ تَمْلِكِي
قَالَتْ أُرِيدُ رَجُلًا قَوِيَّا   «جَلْدًا يَكُونُ قَلْبُهُ صَخْرِيَّا»
قَالَ لَهَا فَذَلِكَ الشَّمْسُ إِذَنْ   وَأَخْبَرَ الشَّمْسَ بِهَا فِيمَا عَلَنْ
قَالَتْ لَهُ السَّحَابُ أَقْوَى مِنِّي   لِأَنَّهُ يَسْتُرُنِي بِالدَّجْنِ

فجاء في ذاك إلى السحاب قالت له الشمال لا أحابي
أقوى فإن مرها يمزقني حتى أعود كنديف القطن
فقال للشمال ذاك القولا فقالت الجبال مني أولى
لأنها ثابتة لا تنزعج وإن عصفت زعزعا لا تختلج
فقصد الجبال قالت أقوى مني الذي ينقبني فأخوى
فعندها اختار زوجا جرذا فقال إذ أخبره يا حبذا
لكنها كبيرة جسيمة وكوتي صغيرة ذميمة
فكيف في جحري هذي تدخل فهات خبرني بها ما أفعل
قال لها الناسك يا طراره ترضين مني أن تعودي فاره
قالت نعم فسأل الله لها فتبعت من بعد حين أصلها
فما أقر القوم بالتصديق وكذبوا لعدم التوفيق
ولم يزد إلا علوا عندهم قد محضوه برهم وودهم
فعند ما حقق ما أرادا وبلغ المقصود والمرادا
وعرف الأخبار والأسرارا وعلم العادات والديارا
انسل يوما منهم على حذر ثم أتى الغربان يسعى بالخبر
قال لهم إنهم سكارى في سرب فأضرموه نارا

فَحَمَلُوا مَا وَجَدُوا مِنَ ٱلْحَطَبْ　　وَجَاءَ بِٱلنَّفْطِ إِلَى بَابِ ٱلسَّرَبْ

وَأَضْرَمَ ٱلنَّارَ بِهِ فَمَنْ مَرَقْ

«أُرْدِيَ وَمَنْ رَابَطَ فِي ٱلْكَهْفِ ٱخْتَنَقْ» (١)

وَعُدْنَ يَسْحَبْنَ ٱلذُّيُولَ بَطَرَا　　وَقَدْ سَكِرْنَ إِذْ رُزِقْنَ ٱلظَّفَرَا

ثُمَّتَ قَالَ مَلِكُ ٱلْغِرْبَانِ　　أَحْسَنْتَ عَمْرِي غَايَةَ ٱلْإِحْسَانِ

كَيْفَ ٱحْتَمَلْتَ سُوءَ أَخْلَاقِ ٱلْبُومْ　　وَهُمْ كَمَا تَعْرِفُهُمْ مِنَ ٱللُّومْ

وَلَيْسَ مِثْلُ صُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ　　بَلِيَّةً قَطُّ عَلَى ٱلْخِيَارِ

« فَإِنَّهُ يُقَالُ لَذْعُ ٱلنَّارِ　　أَهْنَا مِنَ ٱلْجِوَارِ لِلْأَشْرَارِ »

قَالَ لَهُ إِنَّ ٱلْحَكِيمَ ٱلْعَاقِلَا　　مَنْ يَغْتَدِي لِمِثْلِ فِعْلِي فَاعِلَا

فَيَحْمِلُ ٱلْعِبْءَ ٱلثَّقِيلَ صَابِرَا　　عَسَاهُ أَنْ يُصْبِحَ يَوْمًا ظَافِرَا

يَحْمِلُ ثِقْلَ ٱلْمِحَنِ ٱلشَّدِيدَهْ　　لِحُسْنِ مَا يَرْجُو مِنَ ٱلْمَكِيدَهْ

لَا يَكْرَهُ ٱلْخُضُوعَ وَٱلتَّذَلُّلَا　　إِذْ يَحْمِلُ ٱلْخَطْبَ ٱلْمُهِمَّ ٱلْمُعْضِلَا

«حَتَّى يَنَالَ ٱلسُّؤْلَ مِنْ حَاجَتِهِ　　مُغْتَبِطًا بِحُسْنِ خَاتِمَتِهِ »

قَالَ لَهُ كَيْفَ عُقُولُ ٱلْقَوْمِ　　قَالَ جَدِيرٌ كُلُّهُمْ بِٱللَّوْمِ

---

(١) كان الاصل :

. . . فمن صبر　　مات ومن فرّ الى الباب نحر

لَمْ أَرَ فِيهِمْ عَاقِلاً رَشِيدَا   إِلاَّ ٱلَّذِي أَلْفَيْتُهُ شَدِيدَا
لَوْ عَقَلُوا لَفَكَّرُوا فِي أَمْرِي   فَإِنَّنِي عِنْدَكَ عَالِي ٱلْقَدْرِ
ذُو رُتْبَةٍ مَحْسُودَةٍ مَغْبُوطَهْ   لَدَيْكَ وَٱلْأُمُورُ بِي مَنُوطَهْ
فَلاَ عَقَلْنَ كَٱللَّبِيبِ ٱلْعَاقِلِ   وَلاَ سَمِعْنَ كَٱلرَّقِيعِ ٱلْجَاهِلِ
وَلاَ كَتَمْنَ قَطُّ عَنِّي سِرَّا   كَأَنَّهُنَّ قَدْ أَمِنَّ ٱلْمَكْرَا
«جَهِلْنَ قَوْلَ ٱلْعُلَمَا ٱلْأَفَاضِلِ   ٱلْحُكَمَاءِ ٱلْأَتْقِيَا ٱلْأَمَاثِلِ»
«عَلَى ٱلْمَلِيكِ أَنْ يَصُونَ أَمْرَهُ   بِكَتْمِهِ عَنِ ٱلْجَمِيعِ سِرَّهُ»
وَقَوْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّبِيبَ مَنْ كَتَمْ   أَسْرَارَهُ عَنِ ٱلْحَكِيمِ ٱلْمُتَّهَمْ
وَصَانَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا   يَسْتَعْمِلُ ٱلْإِنْسَانُ حَتْمًا جَزْمَا
فَعَادَ فِي مَجْلِسِهِ بَعِيدَا   مُنْفَرِدًا بِشَانِهِ وَحِيدَا
قَالَ لَهُ ٱلْأَمِيرُ إِنَّ مَنْ ظَفِرْ   بَغَى وَلَمْ يَخْشَ ٱلزَّمَانَ وَبَطِرْ
«عِنْدِي أَنَّ ٱلْبُومَ لَمَّا ٱنْتَصَرُوا   بَغَوْا لِذَاكَ هَلَكُوا وَٱنْدَثَرُوا»
«قَالَ نَعَمْ فَقَلَّ مَنْ نَالَ ٱلظَّفَرْ   وَمَا رَأَى فِي ٱلظُّلْمِ إِدْرَاكَ ٱلْوَطَرْ»
كَذَاكَ مَنْ يَحْرِصْ عَلَى ٱلنِّسَاءِ   «تُكْشَفُ مَسَاوِيهِ بِلاَ مِرَاءِ»
وَقَلَّ مَنْ أَسْرَفَ فِي ٱلطَّعَامِ   وَمَا ٱعْتَرَاهُ طَارِقُ ٱلْأَسْقَامِ
وَقَلَّ مَنْ لاَ يَرْتَضِي وَزِيرَهُ   إِلاَّ وَسَاءَ عَاجِلاً تَدْبِيرُهُ

لا يطمعن ذو الكبر في الثناء　　كلا ولا الخوان في الإخاء
ولا الشحيح في الهدايا والتحف　　ولا الجهول في المعالي والشرف
ولا الحريص المشتهي في النسك　　ولا الركيك في ثبات الملك
قال له لقد حملت ثقلا　　منهن إذ أظهرت ذاك الذلا
قال له من حمل الثقيلا　　لحاجة كان بها كفيلا
« وأبعد النخوة والحمية　　عن نفسه ليدرك الأمنية »
« يكون غب رأيه محمودا　　وإن غدا قرينه بعيدا »
« حمل العدو فوق أعلى الراس　　عندي أمر هين المراس »
« إن كنت أرجو راحة في ذاكا　　أو أن يلاقي خصمي الهلاكا »
وذاك كالأسود لما احتملا　　في ظهره الضفدع يبغي الأكلا
قال وكيف ذاك قال أسود　　شاخ إلى أن عاد ضعفا يرعد
وترك الصيد ولم يقدر على　　قوت فمر طالبا تجملا
فجاء يوما ما إلى غدير　　ضفدعه ذو عدد كثير
قد كان يأتيه قديما صائدا　　فقام بالقرب حزينا مائدا
قال له من الغدير ضفدع　　لم قد جزعت والفتى لا يجزع
قال لأني كنت جلدا رائعا　　وكان صيدي كله الضفادعا

ثُمَّ ٱبْتُلِيتُ وَٱلْكَرِيمُ يُبْتَلَى   بِمِحْنَةٍ قَدْ صِرْتُ فِيهَا مَثَلَا

حُرِمْتُ أَكْلَ ٱلضِّفْدِعِ ٱلشَّهِيِّ   عُقُوبَةً مِنْ رَبِّيَ ٱلْقَوِيِّ

فَٱنْصَرَفَتْ إِلَيْهِمِ مُبَشِّرَهْ   بِقَوْلِهِ وَأَخْبَرَتْهُمْ خَبَرَهْ

فَجَآءَهُ كَبِيرُهُمْ فَقَالَ لَهْ   وَأَظْهَرَ ٱلْإِلْحَاحَ فِي ٱلْمَسْأَلَهْ

مَا كَانَ مِنْ أَمْرِكَ قَالَ ٱلْأَسْوَدُ   إِنِّي فِي أَكْلِهِمِ لَا أَجْهَدُ

وَلَا أُطِيقُ صَيْدَهُمْ بِحِذْقِي   وَلَا يَسُوغُ لَحْمُهُمْ فِي حَلْقِي

إِلَّا ٱلَّذِي بِهِ يَجُودُ ٱلْمَلِكُ   عَلَيَّ فَهْوَ لِحَيَاتِي مُمْسِكُ

قَالَ وَلِمْ قَالَ تَبِعْتُ ضِفْدِعَا   فَجَآءَ بَيْتَ نَاسِكٍ لِيَمْنَعَا

وَجِئْتُ أَسْعَى خَلْفَهُ فَلَاحَ لِي   طِفْلٌ فَجِئْتُ نَحْوَهُ لَا آتَلِي

حَتَّى عَضَضْتُ كَفَّهُ فَمَاتَا   فَٱجْتَمَعُوا وَرَفَعُوا ٱلْأَصْوَاتَا

فَقَامَ يَدْعُو ٱللّٰهَ أَنْ يُذِلَّنِي   وَأَنْ يُطِيلَ فَاقَتِي وَحَزَنِي

وَأَنْ أَكُونَ كَٱلذَّلِيلِ ٱلْخَاضِعِ   وَمَرْكَبًا لِمَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ

لَا أَسْتَطِيعُ أَكْلَهَا مَا لَمْ تَكُنْ   بِأَمْرِهِ مِنْ بَيْنِ ٱلنَّاسِ بَيْنْ

فَجِئْتُ كَيْ تَرْكَبَنِي كَمَا دَعَا   فَمَا تَرَانِي أَبَدًا مُمْتَنِعَا

فَظَنَّ فِي رُكُوبِهِ فَخْرًا لَهْ   وَيْحٌ لَهُ ٱلْجَاهِلُ مَا أَغْفَلَهْ

وَصَارَ تَحْتَ سَرْجِهِ وَجُلِّهِ   يَرْكَبُهُ فِي ظَعْنِهِ وَحَلِّهِ

قَالَ لَهُ لاَ بُدَّ لِي مِنْ قُوتِ   وَقَدْ سَكَتُّ لَوْ كَفَى سُكُوتِي
مَنْ حَبَسَ ٱلْعَبْدَ بِلاَ قُوتٍ ظَلَمْ   لاَ يَقْتَضِي ذَاكَ ٱلنُّهَى وَلاَ ٱلْكَرَمْ
كَيْفَ يَعِيشُ أَحَدٌ بِلاَ قُوتْ   أَلرِّزْقَ أَبْغِي مِنْكَ لَيْسَ يَاقُوتْ
إِمَّا تُقَرِّرْ لِي مَا يَكْفِينِي   أَوْ خَلِّنِي إِنْ كُنْتَ تَجْتَوِينِي
فَكُلَّ يَوْمٍ أَشْتَكِي وَتَضْجَرُ   وَحَالُنَا بِغَيْرِ هٰذَا أَجْدَرُ
قَالَ لَهُ قُلْتَ ٱلصَّوَابَ جِدَّا   مَنْ طَلَبَ ٱلْقُوتَ فَمَا تَعَدَّى
أَبَعْدَ مَا خَدَمْتَنَا أَعْوَامَا   مُتَّخِذًا جَنَابَنَا مَقَامَا
وَشَاعَ بَيْنَ ٱلْحَيَوَانِ أَنَّكَا   مِنَّا وَأَنَّا قَدْ حَمَلْنَا ثِقْلَكَا
تَرْجِعُ عَنَّا فَيُقَالُ مَا وَجَدْ   خَيْرًا فَعَادَ صَادِرًا كَمَا وَرَدْ
فَمَا ٱلَّذِي يَكْفِيكَ فَٱلْكِفَايَهْ   أَدْنَى ٱلَّذِي عِنْدِي مِنَ ٱلرِّعَايَهْ
فَقَرَّرَا ٱلأَمْرَ بِضِفْدِعَيْنِ   فِي ٱلْيَوْمِ يُؤْتَى بِهِمَا كَٱلدَّيْنِ
وَعَاشَ فِي خِصْبٍ وَمَا أَخْزَاهُ   خُضُوعُهُ إِذْ جَرَّ مَا أَجْزَاهُ
كَذَاكَ صَبْرِي كَانَ بَيْنَ ٱلْبُومِ   لِمَا رَجَوْتُ لَيْسَ بِٱلْمَذْمُومِ
"وَقَدْ وَجَدْتُ صَرْعَةَ ٱلْمُمَاكَرَهْ   أَقْتَلَ لِلضِّدِّ مِنَ ٱلْمُكَابَرَهْ"
كَٱلنَّارِ لاَ تُحْرِقُ أَصْلَ ٱلشَّجَرَهْ   كَلاَّ وَلاَ عُرُوقَهَا ٱلْمُسْتَتِرَهْ
وَٱلْمَاءُ بِٱللِّينِ وَبَرْدِ ٱلطَّبْعِ   مُسْتَأْصِلٌ عُرُوقَهَا بِٱلْقَلْعِ

أَرْبَعَةٌ قَلِيلُهَا كَثِيرُ   لَيْسَ لِمَا أَقُولُهُ نَكِيرُ
أَلنَّارُ وَالْعَدُوُّ وَالدَّيْنُ إِذَا   جَآءَ الْغَرِيمُ يَقْتَضِيهِ وَالْأَذَى
قَالَ لَهُ لَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلاَ   عُدْتَ بِهِ أَوْفَى الْأَنَامِ فَضْلاَ
قَالَ لَهُ ذَاكَ لِسَعْدِ جَدِّكَا   مَتَّعَنَا اللهُ بِعَالِي مَجْدِكَا
قَدْ قِيلَ إِنْ يَسْعَ لِأَمْرٍ إِثْنَانْ   يَظْفَرْ بِهِ أَوْلَاهُمَا بِالْإِحْسَانْ
وَإِنْ هُمَا تَسَاوَيَا فِي الْجِدِّ   يَظْفَرْ بِهِ النَّدْبُ السَّعِيدُ الْجَدِّ
وَقِيلَ مَنْ عَادَى الْهُمَامَ الْحَازِمَا   الْفَاضِلَ الْبَرَّ التَّقِيَّ الْعَازِمَا
الْمُقْبِلَ الْمُؤَيَّدَ السَّعِيدَا   فَقَدْ غَدَا هَلَاكُهُ أَكِيدَا
لَا سِيَّمَا مِثْلُكَ فِي الْعَلَآءِ   وَالْفَضْلِ وَالتَّدْبِيرِ وَالدَّهَآءِ
قَالَ لَهُ لَا بَلْ بِحُسْنِ رَأْيِكَا   وَعَقْلِكَ الْمُخْبِرِ عَنْ دَهَائِكَا
فَالرَّجُلُ اللَّبِيبُ فِي الْأَعْدَآءِ   أَبْلَغُ مِنْ أَلْفِ ذَوِي عَنَآءِ
وَأَعْجَبُ الْأَشْيَآءِ أَنْ لَمْ تَغْلَطِ   بِلَفْظَةٍ لَدَيْهِمِ وَتَفْرُطِ
قَالَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ تَأْدِيبِكَا   يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى وَمِنْ تَهْذِيبِكَا
«أَصْحَبُ كُلَّ النَّاسِ بِالْمُلَايَنَهْ   وَالرِّفْقِ وَالْوِفَاقِ وَالْمُهَادَنَهْ»
قَالَ لَهُ أَنْتَ وَزِيرُ الْعَمَلِ   وَكُلُّهُمْ لِلْقَوْلِ ذُو تَعَمُّلِ
قَالَ الْغُرَابُ لَيْسَ لِلسَّقِيمِ   رَوْحٌ بِمَشْرُوبٍ وَلَا مَطْعُومِ

وَلاَ ٱلَّذِي أَطْمَعَهُ ٱلسُّلْطَانُ … وَهوَ أَكُولٌ شَرِهٌ خَوَّانُ
يَقْنَعُ حَتَّى يُنْجِزَ ٱلْمَوْعُودَا … وَلاَ عَدُوٌّ يَرْهَبُ ٱلْحَسُودَا
" يَرْتَاحُ قَبْلَ أَنْ يُبِيدَ خَصْمَهُ … إِنْ مَاتَ أَضْحَى فِي رَخَاءٍ وَنِعْمَهْ "
مَنْ أَقْلَعَتْ حُمَّاهُ زَالَ كَرْبُهُ … مَنْ وَضَعَ ٱلثِّقْلَ ٱسْتَرَاحَ صُلْبُهُ
مَنْ أَمِنَ ٱلْعَدُوَّ طَابَ قَلْبُهُ … مَنْ حَارَبَ ٱلرِّجَالَ طَالَ خَطْبُهُ
فَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي أَهْلَكَهُ … أَنْ يُمْتِعَ ٱلْمَوْلَى بِمَا مَلَّكَهُ
وَأَنْ يُقِرَّ عَيْنَهُ بِذَلِكَا … فَيَمْلِكُ ٱلرِّجَالَ وَٱلْمَمَالِكَا
" فَإِنَّمَا ٱلْمَلْكُ إِذَا لَمْ يَكُنِ … قُرَّةَ عَيْنِ شَعْبِهِ وَٱلْوَطَنِ "
" مَثَلُهُ زَنَمَةُ ٱلْعَنْزِ ٱلَّتِي … يَمَصُّهَا ٱلْجَدْيُ بِلاَ مَنْفَعَةِ "(1)
قَالَ فَقُلْ لِي كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهْ … قَالَ كَمَا سَارَتْ بِهِ عَشِيرَتُهْ
عَسْفٌ وَخُرْقٌ وَٱغْتِرَارٌ وَبَطَرْ … مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ فِي ٱلْأُمُورِ وَنَظَرْ
مَا كَانَ فِيهِمْ عَاقِلٌ نِحْرِيرُ … إِلاَّ ٱلَّذِي بِهُلْكِي يُشِيرُ
قَالَ فَصِفْ لِي خُلُقَ ٱلْوَزِيرِ … ذَاكَ ٱلْمُشِيرِ ٱلْحَسَنِ ٱلتَّدْبِيرِ

---

(1) كان الأصل:

فانما الملك الذي لا يؤمن … بـلاوه فهو ضعيف هين
كذنب العنز الذي يمصه … الجدي قد طال عليه حرصه

قَالَ رَأَيْتُ فِيهِ مَعْ دَهَائِهِ ... لِيْنًا وَرِفْقًا مَعْ صَوَابِ رَأْيِهِ
مِنْ غَيْرِ مَا خُرْقٍ وَلاَ مُكَابَرَهْ ... بَلْ حُجَّةً تَظْهَرُ فِي الْمُشَاوَرَهْ
وَلَمْ يَكُنْ يَعْصِيهِ فِي مَقَالِهِ ... بَلْ يُحْسِنُ السَّمْعَ إِلَى مِثَالِهِ
إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعِيبَ فِعْلَهُ ... عَابَ سِوَاهُ وَاسْتَزَلَّ عَقْلَهُ
فَعِنْدَهَا يَعْلَمُ أَنْ قَدْ قَصَدَهْ ... فَيَنْتَهِي طَوْعًا إِلَى مَا أَوْرَدَهْ
وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمِ ... "مَقَالَةً فِي نُصْحِ رَأْسِ الْقَوْمِ"
"حَاوِيَةً كُلَّ صُنُوفِ الْحِكْمَهْ ... مُظْهِرَةً لِلْعَاقِلِينَ فَهْمَهْ"
قَالَ لَهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ ... طُولَ الْمَدَى إِغْفَالُ أَمْرِ الْمُلْكِ
"فَإِنَّمَا الْمُلْكُ عَظِيمُ الْخَطَرِ ... يُدْرَكُ بِالْحَزْمِ وَحُسْنِ النَّظَرِ"
"مَنْ نَالَهُ فَلْيُحْسِنِ التَّحْصِينَا ... لَهُ يَكُنْ بِمُلْكِهِ مَكِينَا"
"فَإِنَّهُ فِي سُرْعَةِ الْإِدْبَارِ ... كَالظِّلِّ لَيْسَ دَائِمَ الْقَرَارِ"
"وَإِنَّهُ فِي قِلَّةِ الثَّبَاتِ ... كَصُحْبَةِ الْخَؤُونِ لِلثِّقَاتِ"
"وَإِنَّهُ فِي سُرْعَةِ الزَّوَالِ ... يَكُونُ كَالْحَبَابِ فِي الْمِثَالِ" (١)

---

(١) كان في الأصل :

لقد سمعت منه ذات يوم ... مقالة تمنع طيب النوم
لا تغفلن حاله وامره ... فما أمنت كيده وشره

بَابُ

اَلْقِرْدِ وَالْغَيْلَمِ

وَهُوَ بَابُ

اَلرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ حَتَّى إِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

قَالَ لَهُ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَا ... فَاضْرِبْ سِوَاهُ وَاضِحًا مُفَصَّلَا
فِي رَجُلٍ لَجَّ لِكَسْبِ أَمْرِ ... بِكَثْرَةِ الْجِدِّ وَحُسْنِ الصَّبْرِ
حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ مَا أَرَادَهُ ... أَضَاعَهُ وَأَبْطَلَ اجْتِهَادَهُ
فَكَانَ قَوْلُ الْفَيْلَسُوفِ بَيْدَبَا ... وَهُوَ إِذَا مَا قَالَ قَوْلًا أَسْهَبَا
إِنَّ اكْتِسَابَ الْحَاجَةِ الْمَطْلُوبَهْ ... أَيْسَرُ مِنْ إِحْرَازِهَا مَكْسُوبَهْ
وَإِنَّ مَنْ أَضَاعَ مَا قَدْ وَجَدَهْ ... كَغَيْلَمٍ رَامَ قُلُوبَ الْقِرَدَهْ

فان ما جاء به جسيم ... لا يهتدي لمثله حكيم
وهو خفيف ليس ذا قرار ... كالقرد في الاقبال والادبار
والريح او كصحبة البغيض ... والخوف مثل الحية المهيض
يسرع في الأمر كصل الماء ... يرهب وقع مطر السماء

حَتَّى إِذَا فَازَ بِهَا أَضَاعَهَا ... وَلَيْسَ يَرْجُو دَهْرَهُ ارْتِجَاعَهَا
قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ قَالَ زَعَمُوا ... أَنَّ قُرُودًا لَهُمُ مُقَدَّمُ
شَابَ وَعَادَ هَرِمًا ضَعِيفَا ... فَاسْتَبْدَلُوا مِنْهُ فَتًى غِطْرِيفَا
وَأَخْرَجُوا الشَّيْخَ فَجَاءَ السَّاحِلَا ... يَرْعَى بِهِ هُنَاكَ تِينًا مَاثِلَا
فَسَقَطَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ يَدِهِ ... فِي الْمَاءِ لَمَّا لَجَّ فِي مَصْعَدِهِ
فَفَرِحَ الْقِرْدُ لِصَوْتِ وَقْعِهَا ... فَلَجَّ فِي إِلْقَائِهَا وَقَطْعِهَا
وَكَانَ فِي الْمَاءِ قَرِيبًا غَيْلَمُ ... يَأْكُلُهُ وَهْوَ بِهِ لَا يَعْلَمُ
فَظَنَّهُ يَطْرَحُهُ مُعْتَمِدَا ... لِأَجْلِهِ مُرُوَّةً فَحَمِدَا
وَجَاءَهُ فَالْتَزَمَا وَاعْتَنَقَا ... وَاتَّحَدَا مَوَدَّةً وَاتَّفَقَا
فَلَمْ يَعُدْ إِلَى بَنِيهِ الْغَيْلَمُ ... وَعِرْسُهُ حَزِينَةٌ لَا تَعْلَمُ
ثُمَّ شَكَتْ إِلَى فَتَاةٍ عَاقِلَهْ ... قَائِلَةً أَخْشَى الْمَنَايَا الْعَاقِلَهْ
قَالَتْ لَهَا سَمِعْتُ أَنْ قَدْ أَلِفَا ... قِرْدًا فَظَلَّ عِنْدَهُ مُعْتَكِفَا
فَاجْزِيهِ هَجْرًا وَصُدُودًا إِذْ هَجَرْ ... وَاسْتَبْدِلِي ثُمَّ اغْدِرِي كَمَا غَدَرْ
وَإِنْ عَمِلْتِ فِي هَلَاكِ الْقِرْدِ ... «أَصَبْتِ إِنْ وُفِّقْتِ عَيْنَ الرُّشْدِ»
وَإِنَّهَا تَمَارَضَتْ أَيَّامَا ... «مَعْ أَنَّهَا لَا تَشْتَكِي سَقَامَا»
وَقَدِمَ الْغَيْلَمُ وَهْيَ شَاحِبَهْ ... نَحِيلَةُ الْجِسْمِ تَظُنُّ عَاطِبَهْ

فقالَ ما عراكِ وهيَ مطرقهْ ... ثمَّ أعادَ مظهراً فرطَ المقهْ

قالتْ لهُ جارتُها أصابها ... داءٌ أطالَ مكثهُ عذابها

داءٌ دويٌّ ما لهُ دواءُ ... ولا لمنْ خامرهُ شفاءُ

قالَ وما دواؤهُ فأطلبهْ ... «عليَّ لوْ كانَ عسيراً جلبهْ» (١)

قالتْ لهُ الدواءُ قلبُ قردِ ... فإنَّهُ يشفي عظيمَ الجهدِ

فافتكرَ الغيلمُ ثمَّ قالا ... ما كنتُ قطُّ غادراً محتالا

إمّا أخي أقتلهُ أو عرسي ... وما تطيبُ بالجميعِ نفسي

وقالَ منْ بعدُ إذا الحرُّ ابتلي ... بمعضلٍ منَ الأمورِ مشكلِ

إحتملَ الصغارَ للكبارِ ... وليسَ أخذي قلبهُ بعارِ

وحقُّ قردٍ دونَ حقِّ الأهلِ ... فالرأيُ أنْ أخصَّهُ بالقتلِ

ثمَّ أتى الساحلَ وهوَ قائلُ ... غدرٌ قبيحٌ وسفاهٌ عاجلُ

أبعدَ ما أصفيتهُ ودادي ... وصارَ مثلَ الأخِ والأولادِ

وشاعَ أنّي خدنهُ وخلُّهُ ... يجوزُ في حقِّ صغيرٍ قتلُهُ

وإنّني أخافُ سوءَ العاقبهْ ... ومحنةً منَ السماءِ نائبهْ

حتّى إذا ما جاءهُ وساءلهْ ... لمَ احتبستَ أظهرَ المعاتلهْ

---

(١) كان الاصل : علي ان ادركته لاجلبه

إِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ مِنْ تَقْصِيرِي — فِي شُكْرِ حُسْنِ بِرِّكَ الْكَثِيرِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تَبْغِي جَزَاءَ الْبِرِّ — فَالْحُرُّ لَا يَجْهَلُ قَدْرَ الْحُرِّ
وَإِنَّنِي أَعْرِفُ مَا يَلْزَمُنِي — بِغَيْرِ شَكٍّ مِنْ جَزَاءِ الْمُحْسِنِ
وَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ السَّخَاءِ — تَفْعَلُ لَا لِطَلَبِ الْجَزَاءِ
إِنَّ الْكِرَامَ يَبْذُلُونَ الْكَرَمَا — طَبْعًا وَلَا يَبْغُونَ مِنْهُ مَغْنَمَا
«إِنْ شِئْتَ أَنْ تَزُورَنِي فِي مَنْزِلِي — تَكُونُ قَدْ بَالَغْتَ فِي التَّفَضُّلِ»
قَالَ لَهُ الْقِرْدُ لَكَ التَّفَضُّلُ — وَمِنْكَ قَدْ كَانَ الصَّفَاءُ الْأَوَّلُ
فَإِنَّنِي جِئْتُكَ كَالطَّرِيدِ — الْهَارِبِ الْمُحَيَّرِ الشَّرِيدِ
فَكُنْتَ لِي دُونَ الْأَنَامِ سَكَنَا — وَصَارَ لِي هٰذَا الْمَكَانُ وَطَنَا
«وَمَا يُرِيدُ الْحُبُّ مِنْ مُحِبِّهِ — جَزَاءَهُ إِلَّا ازْدِيَادَ حُبِّهِ»
«وَأَنْ يَكُونَ وُدُّهُ مَبْذُولَا — وَمَا سِوَاهُ يَغْتَدِي فُضُولَا»
قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ وُدُّ الْإِخْوَانْ — مُذْ كَانَ يَزْدَادُ بِمَرِّ الْأَزْمَانْ
«وَإِنَّمَا اجْتِمَاعُنَا عَلَى الطَّعَامْ — وَشُرْبُنَا سَوِيَّةً كُؤُسَ الْمُدَامْ»
«يُؤَكِّدُ الْوِدَادَ وَالْمَحَبَّةْ — وَمُثْبِتٌ لِلدَّهْرِ عَقْدَ الصُّحْبَةْ» (١)

(١) كان هنا بعض ابيات وقد حذفتها لعدم مطابقتها النثر ولتشتت معانيها

«ألا ترى أن الدواب الهامله … إذا اغتدت لبعضها مؤاكله»
«تآلفت مع بعضها ولا نسب … يضمها اجتماعها كان السبب» (١)
ومن كلام الفاضل الصدوق … لا تكثر الحمل على الصديق
فيوجب الملال والتبرما … من بعد ما كان محبا مكرما
فالعجل إن أكثر مص أمه … تبرمت وبالغت في صرمه
ولم أقل ذاك سوى لأنني … أحب أن تزورني فزرني
فإنما بيتي في جزيره … معشبة أشجارها كثيره
فامنن علي واتخذني مركبا … تجد من الخيرات أمرا عجبا
فطمع القرد وما زال الطمع … يقتل إلا ذا العفاف والورع
«أركبه الغيلم فوق ظهره … وسار والسرور ملء صدره»
وعبر البحر فلما لججا … فكر في الأمر فظل محرجا
يقول ما أقبح ما فعلته … إذا أنا بعد الولا قتلته
من أجل أنثى في الإناث كثره … إن النساء أصل كل عثره
«قال حكيم نادر النظير … يختبر الذهب وسط الكور»

---

(١) كان الاصل :

ان البغال والحمير الهامله … مدى الزمان بينهـا مؤاكله

« وَالنَّاسُ بِالأَخذِ وَبِالعَطاءِ تَبِينُ أَقدارُهُمُ لِلرَّائي »
« وَتَظهَرُ الدَّوابُّ لِلخَبيرِ أَقدارُها بِالحَملِ وَالمَسيرِ »
« وَلَيسَ يَسطيعُ امرُؤٌ يُجَرِّبُ مَكرَ النِّسا بِكَيدِهِنَّ يَغلِبُ »
فَإِذ رَأى القِردُ احتِباسَ الغَيلَمِ « قالَ لِمَ احتَبَستَ يا ذا الكَرَمِ »
« أَراكَ مُهتَمّاً شَديدَ الغَمِّ تُقَلِّبُ الفِكرَ فَقالَ هَمّي »
« لِأَنَّني ذَكَرتُ أَنَّ زَوجَتي مَريضَةٌ واقِعَةٌ في عِلَّةِ »
« تَمنَعُها مِن فِعلِ كُلِّ ما يَجِبْ مِن مَأكَلٍ وَمَشرَبٍ لِمَن أُحِبّ »
« فَقالَ لا تَهتَمَّ لي فَإِنَّما أَدري وَيَدري كُلُّ مَن تَحتَ السَّما »
« أَنَّكَ سَمحٌ تَبذُلُ الآلافا لِتُكرِمَ الزُّوّارَ وَالأَضيافا »
« فَإِن يَعُقكَ عائِقٌ لَم تَكُنِ أَنتَ المَلومُ بَل صُروفُ الزَّمَنِ »
« فَسَبَحَ الغَيلَمُ ثُمَّ وَقَفا ثانِيَةً مُحَيَّراً مُرتَجِفا »
« فَساءَ ظَنُّ القِردِ في ذا الأَمرِ وَقالَ قَد هَمَّ بِأَمرٍ نُكرِ »
لَعَلَّهُ قَد حالَ عَن وِدادِهِ وَارتَدَّ في الصِّدقِ عَنِ اعتِقادِهِ
فَالقَلبُ كُلَّ ساعَةٍ يَنقَلِبُ كَيفَ يَصِحُّ النّاسُ وَالدَّهرُ الأَبُ
لا بُدَّ لِلعاقِلِ مِن تَأَمُّلِ ما في قُلوبِ قَومِهِ لِيَبتَلي
فَإِنَّهُ يَحدُثُ كُلَّ ساعَةْ أَشياءُ ما بَينَهُم قَطّاعَةْ

وَقَالَ لِلْغَيْلَمِ لِمْ لَا تَسْبَحُ قَالَ لَهُمْ فِي فُؤَادِي يَجْرَحُ
إِنَّ أُمُورِي كُلَّهَا مُخْتَلَّهْ إِذْ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ مُعْتَلَّهْ
وَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ أَمْرَ بَيْتِي فَهَا أَنَا مِنْ خَجَلِي كَالْمَيْتِ
قَالَ وَمَا عِلَّتُهَا وَدَاؤُهَا وَأَيُّ شَيْءٍ ذَكَرُوا دَوَاؤُهَا
فَمِنْ كَلَامِ الْفَاضِلِ الْحَكِيمِ الْمُرْتَضَى مَقَالُهُ الْعَلِيمِ
ثَلَثَةٌ يُبْذَلُ فِيهَا الْمَالُ وَلَا يَجُوزُ الْبُخْلُ وَالْمَطَالُ
«فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ كَذَا فِي الصَّدَقَهْ ثُمَّ عَلَى الْأَهْلِ تَكُونُ النَّفَقَهْ»
قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ قَلْبُ قِرْدِ دَوَاؤُهَا وَلَيْسَ ذَاكَ عِنْدِي
« فَفَكَّرَ الْقِرْدُ وَقَالَ وَيْلِي فَقَدْتُ حَزْمِي وَشَدِيدَ حَيْلِي »
«مَعْ كِبَرِي فِي السِّنِّ قَدْ طَمِعْتُ لِذَا بِشَرِّ وَرْطَةٍ وَقَعْتُ »
« قَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ لَمَّا قَالَا يَحْيَى الْقَنُوعُ مُطْمَئِنًّا بَالَا »
« أَمَّا الْحَرِيصُ فَيَعِيشُ تَعِبَا وَكَيْفَ مَا مَالَ يُلَاقِي نَصَبَا »
«وَالْآنَ أَحْتَاجُ لِفِكْرِيَ الصَّائِبْ فِي الْوَرْطَةِ الْجَالِبَةِ الْمَصَائِبْ»
ثُمَّتَ قَالَ الْقِرْدُ لِمْ لَمْ تَذْكُرِ هٰذَا وَلَمْ تُخْبِرْنِي قَبْلَ الْمَعْبَرِ
قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ أَيْنَ قَلْبُكَا فَقَالَ فِي التِّينَةِ ظَلَّ لُبُّكَا
قَالَ وَلِمْ تَرَكْتَهُ هُنَاكَا قَالَ كَذَا الْعَادَةُ إِنْ زُرْنَاكَا

إنّا إذا زرنا أخاً لا نحملُ ‏ ‏ قلوبنا من خوفِ ما لا يجملُ
فعُدْ لكي نأخذهُ لأنّهْ ‏ ‏ فريضةٌ علاجها وسنّهْ
ففرحَ الغيلمُ لمّا قالا ‏ ‏ وما درى أنّ اللبيبَ احتالا
إذ سمعَ المكرَ ومن يسمعْ يخلْ ‏ ‏ وقالَ قد رزقتهُ بلا عذلْ
إنّي قد كُفيتُ عارَ الغدرِ ‏ ‏ وزالَ عنّي الآنَ ضيقُ الصدرِ
لأنّهُ يبذلهُ مختارا ‏ ‏ فقد كفاني العارَ والشنارا
فاحفظْ الزوجةَ والصديقا ‏ ‏ واجمعْ الحقّينِ قولاً موثقا
فردّهُ مجتهداً من ساعتهْ ‏ ‏ وبذلَ المجهودَ في سباحتهْ
وصعدَ القردُ فطالَ مكثهُ ‏ ‏ والغيلمُ الأحمقُ يستحثّهُ
انزلْ لكي نرجعَ يا خليلي ‏ ‏ واعجلْ فإنّ الخيرَ في التعجيلِ
قالَ لهُ القردُ تظنُّ أنّي ‏ ‏ مثلُ الحمارِ فالهُ عن ذا الظنِّ
قالَ لهُ الغيلمُ كيفَ كانا ‏ ‏ قالَ سمعتُ شيخنا فلانا
يقولُ كانَ في مكانٍ أسدُ ‏ ‏ لهُ ابنُ آوى تابعٌ مجتهدُ
يأكلُ فضلَ صيدهِ فجربا ‏ ‏ وعادَ نضواً قلبهُ قد نخبا
قالَ لهُ خادمهُ ابنُ آوى ‏ ‏ قد كنتَ في القوّةِ لا تُساوى
فلمْ غدوتَ ناحلاً ضعيفا ‏ ‏ قالَ جربتُ جرباً عنيفا

وَمَا لَهُ بِأَرْضِنَا دَوَاءُ ‏ لِذَاكَ قَدْ أَعْضَلَ هٰذَا الدَّاءُ

دَوَاؤُهُ فِي زَعْمِهِمْ وَطِبُّهُ ‏ أُذْنَا حِمَارٍ ذَكَرٍ وَقَلْبُهُ

قَالَ ٱبْنُ آوَى قَدْ رَأَيْتُ الْوَقْتَا ‏ حِمَارَ قَصَّارٍ يَجُوزُ الْخَبْتَا

وَهَا أَنَا أَمْضِي وَآتِيكَ بِهِ ‏ وَأَنْتَ أَدْرَى بَعْدَ ذَا بِقَلْبِهِ

قَالَ لَهُ أَسْرِعْ وَلَا تُؤَخِّرِ ‏ وَٱحْرِصْ عَلَى ذَاكَ وَلَا تُقَصِّرِ

فَسَارَ مِنْ سَاعَتِهِ مُهَرْوِلَا ‏ حَتَّى رَآهُ فَدَنَا مُعَجِّلَا

« فَقَالَ لِلْحِمَارِ مَا هٰذَا الضَّعْفْ ‏ هُزَالُكَ الشَّدِيدُ قَدْ فَاقَ الْوَصْفْ »

قَالَ لِفَرْطِ الْجُوعِ يَا مُعَنِّفِي ‏ يَحْبِسُنِي هٰذَا بِغَيْرِ عَلَفِ

قَالَ وَلِمْ تَرْضَى بِهٰذِي الْحَالِ ‏ قَالَ لَهُ الْحِمَارُ مَا احْتِيَالِي

قَالَ ٱبْنُ آوَى هٰهُنَا مَكَانُ ‏ مُعْتَزَلٌ مَا دَاسَهُ إِنْسَانُ

وَهُوَ كَثِيرُ الْعُشْبِ عَذْبُ الْمَاءِ ‏ « وَجَوُّهُ مُعْتَدِلُ الْهَوَاءِ »

« فِيهِ مِنَ الْحُمْرِ أَلْفُ وَاحِدِ ‏ تَرْعَى وَتَرْوَى مِنْ زُلَالٍ بَارِدِ »

فَفَرِحَ الْحِمَارُ ثُمَّ قَالَا ‏ فَاذْهَبْ بِنَا السَّاعَةَ وَٱسْتَمَالَا

قَلْبَ ابْنِ آوَى بِكَلَامٍ طَيِّبِ ‏ قَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي لَمْ أَرْغَبِ

مِنْ ذَاكَ إِلَّا فِي إِخَائِكَ الْحَسَنْ ‏ لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكْ مَعَ الْجُوعِ الْوَطَنْ

فَانْطَلَقَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدْ ‏ وَجَاءَهُ مُبَشِّرًا بِمَا وَجَدْ

فَطَفَرَ ٱللَّيْثُ عَلَيْهِ وَوَثَبْ … وَلَمْ يُطِقْ ضَبْطَ ٱلْحِمَارِ فَهَرَبْ
قَالَ ٱبْنُ آوَى عَاذِلاً مُعَنِّفَا … تَبًّا لِهٰذَا مَلِكًا مَا أَسْخَفَا
إِنْ كُنْتَ قَدْ أَثَرْتَهُ بِهَرَبِهْ … عَمْدًا فَلِمْ عَنَّيْتَنِي فِي طَلَبِهْ
وَإِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فَٱلْوَيْلُ لَنَا … إِذْ كُنْتَ لَا تَضْبُطُ عَيْرًا زَمِنَا
فَقَالَ إِنْ قُلْتُ لَهُ تَرَكْتُهُ … تَعَمُّدًا سَفَّهَ مَا فَعَلْتُهُ
أَوْ قُلْتُ مَا ضَبَطْتُهُ لِعَجْزِي … هُنْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَاكَ ٱلْعِزِّ
فَقَالَ إِنْ رَدَدْتُهُ أَخْبَرْتُكَا … بِخَبَرِي فِيهِ فَقَدْ أَرَبْتُكَا
فَقَالَ قَدْ جَرَّبَ مِنَّا ٱلْكَذِبَا … شَرُّ ٱلْوَرَى مَنْ جَرَّبَ ٱلْمُجَرَّبَا
لٰكِنَّنِي أَلْطُفُ حَتَّى أَخْدَعَهْ … فَرُبَّمَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُرْجِعَهْ
فَقَالَ لَمَّا جَاءَهُ ٱلْحِمَارُ … إِنَّكَ يَا صَاحِبَنَا غَدَّارُ
« فَقَالَ إِنَّ أَحَدَ ٱلْحُمْرِ قَدْ … رَآكَ إِبْنَ غُرْبَةٍ لَا ٱبْنَ ٱلْبَلَدْ»
« فَجَاءَ فِي ٱلْحَالِ لِكَيْ يُرَحِّبَا … بِكَ فَكَانَ فِعْلُهُ مُسْتَصْوَبَا»
«وَلَوْ تَرَبَّصْتَ لَكَانَ لَاطَفَكْ … وَكَانَ كُلُّ صَحْبِهِ قَدْ أَلِفَكْ»
« فَصَدَّقَ ٱلْحِمَارُ مَا قَدْ سَمِعَا … لِجَهْلِهِ لَمْ يَدْرِ أَنْ قَدْ خُدِعَا»
وَعَادَ لِلشُّؤْمِ ٱلَّذِي قَدْ حَبَسَهْ … ثَانِيَةً فَدَقَّهُ وَٱفْتَرَسَهْ
وَقَالَ لَا أَسْتَعْمِلُ ٱلدَّوَاءَ … إِلَّا إِذَا ٱسْتَعْمَلْتُ قَبْلُ ٱلْمَاءَ

إحفظه لي يا صاح حتى أغتسل ثم أعود بالدواء أشتغل
فآكل الجنان والأذنين وتأكل الباقي دون مين
ومن يبغي الماء قصداً فأكل أذنيه والقلب ابن آوى واعتزل
فقال لما عاد أين قلبه وأذناه واستمر عتبه
قال أما شعرت أن لا قلب له ولا له أذنان وهي مشكله
لو كان ذا قلب وأذنين لما عاد وقد جربنا وعلما
« ثمت قال قردنا المحتال للغيلم البليد يا محتال »
لئن تكن بالدهر ذا اعتبار علمت أني لست كالحمار
خدعتني غدراً فقد خدعتك لا تجهل القول فقد أسمعتك
« وقعت إذ خدعتني وكدت أهلك لولا أنني استدركت »
« فإن ما يفسده الحلم لقد يصلحه العلم وهذا لا يرد »
قال له الغيلم قد فهمت أني حصلت وما تممت
« وإنما العاقل من إن أذنبا في الحال لم يستحي أن يؤدبا »
« وإن هوى في ورطة تخلصا بحذقه منها وما تربصا »
« مثل الذي يعثر فوق الأرض يلقي عليها يده في النهض »
وإنما العاقل من لم يقبل وإن يرد بالناس شيئاً يفعل

ثُمَّ يُقِرُّ طَائِعاً وَيَعْتَرِفْ مُعْتَذِراً مِنْ سُوءِ فِعْلٍ اقْتَرَفْ
ثُمَّ يَقِيسُ الأَمْرَ قَبْلَ المَقْدَمِ وَيَسْتَقْبِلُ عَثْرَةَ المُذَمَّمِ

باب

النَّاسِكِ وَابْنِ عِرْسٍ

وَهُوَ بَابُ

مَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا تَثَبُّتٍ إِلَى مَ تَصِيرُ عَاقِبَتُهُ

قَالَ لَهُ مَا مَثَلُ العَجُولِ عِنْدَ ذَوِي الأَفْهَامِ وَالعُقُولِ
قَالَ الحَكِيمُ بَيْدَبَا إِذْ سَأَلَهْ لَأَضْرِبَنَّ إِذْ أَمَرْتَ مَثَلَهْ
مَنْ كَانَ فِي أُمُورِهِ مُسْتَعْجِلَا لَمْ يَرَهُ النَّاظِرُ إِلَّا خَجِلَا
لِأَنَّ فِي التَّثَبُّتِ السَّلَامَهْ حَقّاً وَفِي التَّهَوُّرِ النَّدَامَهْ
كَمَثَلِ النَّاسِكِ وَابْنِ عِرْسِ فَقَالَ بَيِّنْهُ فَدَتْكَ نَفْسِي
فَقَالَ كَانَ نَاسِكٌ بِجُرْجَانْ فِي بَيْتِهِ كَالنَّاسِ إِحْدَى النِّسْوَانْ
مَا حَمَلَتْ وَقَدْ أَقَامَتْ مُدَّهْ وَحَمَلَتْ فَجَلَّ ذَاكَ عِنْدَهْ
وَقَالَ إِذْ حَقَّقَ ذَاكَ أَبْشِرِي آمَلُ أَنْ تُطَرِّقِي بِذَكَرِ

يَكُونُ فِيهِ لِلعُيُونِ قُرَّهْ   وَلِلنُّفُوسِ كُلِّهَا مَسَرَّهْ
وَسَوْفَ أَخْتَارُ لَهُ أَسْماً حَسَنَا   وَفَاضِلاً مِنَ ٱلأَطِبَّا مُتْقِنَا
«يُلْقِي عَلَيْهِ مِنْ دُرُوسِ ٱلأَدَبِ   مَا يَرْتَقِي بِهِ لِأَعْلَى ٱلرُّتَبِ»
قَالَتْ لَهُ قَوْلُكَ فِي مَا يُجْهَلُ   عَارٌ إِذَا حَقَّقْتَهُ لَوْ تَعْقِلُ
مِنْ أَيْنَ تَدْرِي مَا يَكُونُ مِنِّي   يَمُوتُ مَنْ يَعِيشُ بِٱلتَّمَنِّي
وَإِنَّ مَنْ قَالَ بِغَيْرِ عِلْمِ   لَجَاهِلٌ بَلْ ظَالِمٌ فِي ٱلْحُكْمِ
كَٱلنَّاسِكِ ٱلْمُهْرِيقِ فَوْقَ رَاسِهِ   ٱلسَّمْنَ إِذْ أَسْرَفَ فِي ٱلتِمَاسِهِ
فَقَالَ كَيْفَ ذَاكَ قَالَتْ ذَكَرُوا   وَكُلُّ شَيْءٍ فِي ٱلزَّمَانِ يُؤْثَرُ
أَنَّ فَقِيرًا نَاسِكاً أَجْرَى لَهُ   بَعْضُ ٱلتُّجَارِ مَا أَرَاحَ بَالَهُ
فِي ٱلْيَوْمِ سَمْناً وَدَقِيقاً وَعَسَلْ   يَأْتِيهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ فَفَضَلْ
عَنْ قُوتِهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ فَخَبَا   ذٰلِكَ فِي بَرْنِيَّةٍ ضِمْنَ ٱلْخِبَا
حَتَّى إِذَا مَا ٱلسِّعْرُ زَادَ وَغَلَا   بَاتَ مِنَ ٱلْجَهْلِ يُنَاجِي ٱلْأَمَلَا
قَالَ بِدِينَارٍ غَدًا أَبِيعُهُ   أَحْفَظُهُ جُهْدِي وَلَا أُضِيعُهُ
وَأَشْتَرِي بِهِ نِعَاجاً عَشَرَهْ   تُنْتِجُ لِي أَضْعَافَهَا مُبَشِّرَهْ
وَحِينَ يَكْثُرْنَ أَبِيعُهُنَّهْ   جَمْعاً وَأَشْرِي ٱلْبَقَرَ ٱلْمُسِنَّهْ
أَلْحَرْثُ مِنْ ذُكُورِهَا وَٱلزَّرْعُ   وَٱلنَّسْلُ مِنْ إِنَاثِهَا وَٱلضَّرْعُ

إِذَا فَعَلْتُ هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالَا ... خَمْسَ سِنِينَ عَادَ ذَاكَ مَالَا
«فَأَبْتَنِي لِي مَسْكَنًا كَبِيرَا ... أَفْرُشُ فِيهِ ٱلْخَزَّ وَٱلْحَرِيرَا»
وَأَشْتَرِي ٱلْعَبِيدَ وَٱلْإِمَاءَ ... وَأَبْتَغِي قَرِينَةً عَذْرَاءَ
عَاقِلَةً ذَاتَ جَمَالٍ وَشَرَفْ ... حَتَّى إِذَا مَا وَضَعَتْ تَمَّ ٱلْخَلَفْ
رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا كَبِرَا ... عَلَّمْتُهُ فَإِنْ أَبَى وَضَجِرَا
ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْقَوِيَّهْ ... وَٱشْتَالَهَا فَكَسَرَ ٱلْبَرْنِيَّهْ
وَٱنْدَفَقَ ٱلسَّمْنُ ٱلْكَثِيرُ وَٱلْعَسَلْ ... وَمَرَّ مَا فَكَّرَ فِيهِ وَبَطَلْ
ضَرَبْتُ هٰذَا مَثَلًا لِتَنْتَهِي ... عَنْ قَوْلِ مَا تَجْهَلُ فِي مَا تَشْتَهِي
فَٱتَّعَظَ ٱلنَّاسِكُ لَمَّا سَمِعَا ... وَكَفَّ عَنْ آمَالِهِ وَٱرْتَدَعَا
وَوَضَعَتْ كَمَا رَجَا غُلَامَا ... حَتَّى إِذَا مَا مَكَثَتْ أَيَّامَا
قَالَتْ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ ٱلْغُسْلَا ... فَٱحْفَظْ بُنَيَّ ثُمَّ وَلَّتْ عَجْلَى
ثُمَّ دَعَاهُ صَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ ... فَمَرَّ فِي ٱلْحَالِ إِلَى ٱلدِّيوَانِ
وَكَانَ فِي مَنْزِلِهِ ٱبْنُ عِرْسِ ... قَدْ عَادَ ذَا إِلْفٍ بِهِمْ وَأُنْسِ
فَجَاءَ صِلٌّ تَحْتَهُ لِيَلْسَعَهْ ... عَضَّ ٱبْنُ عِرْسٍ ظَهْرَهُ فَقَطَعَهْ
وَرَجَعَ ٱلنَّاسِكُ فَٱسْتَقْبَلَهُ ... فِي بَابِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْخُلَهُ
لَمَّا رَآهُ بِٱلدِّمَا مُلَطَّخَا ... دَقَّ بِشَيْءٍ رَأْسَهُ فَشَدَخَا

إِذْ ظَنَّهُ دَمَ ٱبْنِهِ وَلَطَمَا خَدَّيْهِ خَوْفًا وَسَعَى لِيَعْلَمَا
فَأَبْصَرَ ٱلصَّبِيَّ حَيًّا سَالِمَا وَٱلْأَسْوَدَ ٱلْمُلْقَى فَظَلَّ نَادِمَا
يَقُولُ لَوْ لَمْ يُولَدِ ٱلْغُلَامُ لَكَانَ خَيْرًا لِي فَذَا آثَامُ
وَجَاءَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلتَّأَمُّلِ «وَصَرَخَتْ هٰذَا عِقَابُ ٱلْمُعْجِلِ»(١)

بَاب

هِيلَارَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ وَوَزِيرِهِ بِيلَارَ

وَهُوَ بَابُ

ٱلْحِلْمِ وَٱلْكَرَمِ

قَالَ فَبَيِّنْ سِيرَةً مَهْدِيَهْ بِهَا يُحِبُّ ٱلْمَلِكُ ٱلرَّعِيَّهْ
فَيَحْفَظُ ٱلْأَرْضَ وَيَحْمِي ٱلْمُلْكَا وَلَا يَخَافُ مِنْ عَدُوٍّ فَتْكَا
«قُلْ لِي بِمَا يَلْزَمُ أَنْ يَتَّصِفَا ٱلْمَلِكُ حَتَّى يَغْتَدِي مُشَرَّفَا»
بِٱلْحِلْمِ وَٱلْعَقْلِ أَمِ ٱلْمُرُوَّهْ أَمْ شِدَّةِ ٱلْبَطْشِ أَمِ ٱلْفُتُوَّهْ
قَالَ لَهُ يُدْرِكُ مَا يُرِيدُ بِٱلْحِلْمِ وَٱلْعَقْلِ وَهَلْ مَزِيدُ

(١) كان الاصل : فقال لي عقوبة المستعجل

إِنَّهَا رَأْسُ الأُمُورِ كُلِّهَا ... وَعُدَّةٌ فِي دِقِّهَا وَجِلِّهَا
لَكِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُشِيرِ ... طَبٍّ خَبِيرٍ حَسَنِ التَّدْبِيرِ
وَالْحِلْمُ مِنْ كُلِّ الأُمُورِ أَنْفَعُ ... وَفِيهِ مِنْ كُلِّ الْوَرَى مُسْتَمْتَعُ
لَا عَوْنَ كَالْحِلْمِ الْكَثِيرِ الْفَائِدَهْ ... يَسُلُّ أَحْقَادَ الْقُلُوبِ الْفَاسِدَهْ
مَنْ شَاوَرَ الْجَهُولَ فَهْوَ أَجْهَلُ ... مِنْهُ وَلَا يُفْلِحُ فِيمَا يَفْعَلُ
وَإِنْ أَصَابَ ظَفَرًا مِنَ الْقَدَرْ ... آلَ إِلَى نَدَامَةٍ لَمْ تُنْتَظَرْ
وَإِنَّهُ إِنْ شَاوَرَ اللَّبِيبَا ... رَأَى النَّجَاحَ حَاضِرًا قَرِيبَا
كَمِثْلِ هِيلَارَ كَبِيرِ الْهِنْدِ ... وَعِرْسِهِ وَهْوَ بِهَا ذُو وَجْدِ
وَصَاحِبِ السِّرِّ الأَمِينِ يِلَاذْ ... لَا يَكْتُمُ الأَسْرَارَ إِلَّا الأَحْرَارْ
فَقَالَ فَاشْرَحْ لِي جَمِيعَ أَمْرِهِ ... فَقَدْ شَغَلْتَ خَاطِرِي بِذِكْرِهِ
فَقَالَ هِيلَارُ عَلَى مَا وَرَدَا ... كَانَ عَفِيفًا نَاصِحًا مُجْتَهِدَا
فِيهِ خِصَالُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ... لَيْسَ بِذِي لَهْوٍ وَلَا مُزَاحِ
« فَنَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَامَا ... مُبَلْبَلًا إِذْ قَدْ رَأَى أَحْلَامَا »(١)
أَبْصَرَهَا وَعَدُّهَا ثَمَانِيَهْ ... لَمْ تَرَ مِثْلَهَا الْعُيُونُ الرَّائِيَهْ

---

(١) وفي الأصل:

فأبصر الهيلار في منامه ... فيما يرى النائم في أحلامه

عقيب كل واحد ينتبه   فلم يكد في فهمه يشتبه

وبالغداة جمع البراهمة   وقص رؤياه فكانت قاتمة

قالوا رأيت منكرا عجيبا   يحير المعلم اللبيبا

فإن رأيت أننا نفكر   ستة أيام فذاك أجدر

ثم نوافي في غداة السابع   بعلم تلك الطرف الروائع

قال يجوز فمضوا واجتمعوا   ليخدعوه والكريم يخدع

قالوا أضحى وهو بالأمس قتل   منا ألوفا مثل هذا لا يطل

والآن هذي فرصة قد أمكنت   بمثلها أيامنا ما أحسنت

إذ قد علمنا حاله وأمره   أخطأ من آتى عدوا سره

وإنه يخاف مما نظرا   خوفا عظيما قد نفى عنه الكرى

والرأي أن نقتص منه بالفرص   إن لم نبادر ذهبت وفي غصص

نملأه مما رآه رعبا   وإنما للصابرين العقبى

نقول لا يدفع هذا الشرا   إلا أمور إن ملكت صبرا

«من قتل إيرخت ونجلها جوير   والشهم بيلار ونجيب كل خير»(١)

---

(١) كان الاصل :

من قتل ايرخت العروس وابنها   منك وبيلار وان لم يجنها

وَكَالَ وَالْفِيلِ الْعَظِيمِ الْأَبْيَضِ وَالْآخَرِينَ وَالنَّجِيبِ الْمُعْرِضِ
وَالسَّيْفِ وَالْبُخْتِيِّ وَالسَّرِيِّ كِبَارًا فَاعْجَلْ بِالرَّدَى الْوَحِيِّ
اجْمَعْ لَنَا دِمَاءَهُمْ فِي أَبْزَنِ فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ عَيْنَ الْمُحْسِنِ
تَجْلِسُ فِي تِلْكَ الدِّمَاءِ سَاعَهْ طَوِيلَةً بِرُقْيَةِ الْجَمَاعَهْ
وَتَجْمَعُ الْأَخْبَارَ لِاتِّفَاقِ جَمْعًا مِنَ الْأَرْبَعَةِ الْآفَاقِ
فَيَمْسَحُونَ الدَّمَ عَنْكَ مَسْحًا فَلَسْتَ مِنْ مُلْكِكَ هَذَا تَطْحَى
وَالدُّهْنُ وَالطِّيبُ مِنَ الْبَرَاهِمَةْ وَلَا تَخَافُ إِنْ فَعَلْتَ لَائِمَهْ
«فَإِنْ فَعَلْتَ ذَاكَ عِشْتَ دَائِمًا فِي رَغَدٍ مِنْ كُلِّ سُوءٍ سَالِمًا»
وَإِنْ أَبَيْتَ فَارْتَقِبْ أَهْوَالَا «شَدِيدَةً تُلْقِي بِكَ الْبَلْبَالَا»
«حِينَئِذٍ نَسْقِيهِ كَاسَاتِ الْمُنَى وَنَنْثَنِي نِلْنَا الْمُنَى بِلَا عَنَا»
«ثُمَّ أَتَوْهُ قَالَ مَا عَلِمْتُمُ وَأَيُّ شَيْءٍ نَافِعٍ عَمِلْتُمُ»
فَخَبِّرُونِي قَالُوا ذَاكَ قَالَ كَلَّا لَسْتُ لِمَا تَبْغُونَ مُسْتَحِلَّا
فَلَسْتُ بِالْخَالِدِ فِي سُلْطَانِي فَكَيْفَ أَبْغِي كُلَّ شَيْءٍ فَانِي
لَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ يُزِيلُ مُلْكِي فَلِمْ أُخِيفُ إِخْوَتِي بِالْفَتْكِ
أَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنْ فِرَاقِهِمْ فَلَسْتُ بِالْمُنْحِي عَلَى أَعْنَاقِهِمْ
صَبَّرْتُ نَفْسِي حَامِلًا أَهْوَالَهَا فَلْتَصْنَعِ الْأَيَّامُ مَا بَدَا لَهَا

قَالُوا لَهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْتَمِلِ مَكْرُوهَ هذَا ٱلْأَمْرِ لَمْ تُمْهَلِ
وَتَنْقَضِي أَيَّامُكَ ٱلنَّضِيرَهْ وَلَيْسَ فِي ٱلْمَوْتِ لِخَلْقٍ خِيرَهْ
نَفْسُكَ خَلِّصْهَا فَمَا مِنْهَا خَلَفْ وَلَيْسَ فِي ذَاكَ مِنَ ٱلْحُكْمِ جَنَفْ
أَلنَّفْسُ خَيْرُ مَا فَدَاهُ ٱلْعَاقِلُ إِذْ لَيْسَ مِنْهَا بَدَلٌ يُعَادِلُ
فَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَزِينَا وَظَلَّ فِي فِكْرَتِهِ رَهِينَا
مُفَكِّرًا فِي أَمْرِهِمْ هَلْ نَفْعَلُ أَوْ نَبْذُلُ ٱلنَّفْسَ وَذَاكَ أَجْمَلُ
فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا أَيَّامَا وَهَجَرَ ٱلشَّرَابَ وَٱلطَّعَامَا
وَشَاعَ أَنْ أَمْرَهُ قَدِ ٱنْتَقَضْ وَأَنَّهُ حِلْفُ ٱلْفِرَاشِ ذُو مَرَضْ
فَهَمَّ يِلَارَ ٱلَّذِي رَآهُ مِنْهُ وَقَالَ مَا ٱلَّذِي دَهَاهُ
«لِأَنَّهُ عَلَى ٱلرُّؤَى لَمْ يَطَّلِعْ وَكُلُّ مَا كَانَ جَرَى لَمْ يَسْتَمِعْ» (١)
فَقَالَ يِلَارُ وَكَانَ عَاقِلَا لَسْتُ لَهُ عَنْ حَالِهِ مُسَائِلَا
لَكِنَّنِي أَسْأَلُ عَنْهُ ٱلْحُرَّهْ فَرُبَّمَا كَانَتْ لَدَيْهَا خِبْرَهْ
فَقَالَ إِنِّي مُذْ خَدَمْتُ ٱلْمَلِكَا كَانَ عَلَيَّ مُقْبِلًا مُنْهَمِكَا
يُطْلِعُنِي عَلَى ٱلْأُمُورِ كُلِّهَا مُسْتَنْصِحًا فِي عَقْدِهَا وَحَلِّهَا

(١) كان الاصل :

لانه لما جرى لم يستمع ولم على رؤيا الهمام يطلع

ثُمَّ إِذَا أَلَمَّهُ مُلِمُّ   سَكَّنْتُهُ عَنْهُ فَزَالَ الْهَمُّ
مِمَّ أَرَاهُ مُذْ لَيَالٍ خَالِيَا   بِالْبَرْهَمِيِّينَ لَهُمْ مُصَافِيَا
وَلَسْتُ مِنْ مَكْرِهِمْ بِآمِنِ   فِي ظَاهِرٍ مِنْ أَمْرِهِ وَبَاطِنِ
لِأَنَّهُ أَحْفَظَهُمْ بِقَتْلِ مَنْ   عَاجَلَهُ بِالْقَتْلِ فِي تِلْكَ الْفِتَنْ
وَرُبَّمَا أَغْرَوْهُ بِالْقَبِيحِ   لِلْكَيْدِ أَوْ نَهَوْهُ عَنْ مَلِيحِ
وَلَمْ أَكُنْ بِالْقَوْلِ مُسْتَقْبِلَهُ   خَوْفًا وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَسْأَلَهُ
فَلَيْسَ بِالْجَائِزِ فِي شَرْعِ الْأَدَبْ   أَنْ يَسْأَلَ الْمَخْدُومَ فِي أَمْرٍ حَرِبْ
وَأَنْتِ أَنْتِ جَائِزٌ أَنْ تَسْأَلِي   إِنَّكِ إِنْ فَعَلْتِ لَمْ تَجْهَلِي
لَا يَسْأَلُ الْمُلُوكَ عَنْ أَسْرَارِهَا   إِلَّا الَّذِي يَأْمَنُ مِنْ إِنْكَارِهَا
فَسَائِلِيهِ فَهْوَ غَيْرُ كَاتِمِ   عَنْكِ وَقُولِي لِيَ قَوْلَ عَالِمِ
حَتَّى أُطِبَّ هَذِهِ الْأُمُورَا   بِحِيلَتِي وَأَدْفَعَ الْمَحْذُورَا
قَالَتْ لَهُ إِنِّي عَلَيْهِ وَاجِدَهْ   فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ لَهُ مُعَاوِدَهْ
قَالَ لَهَا يِلَارُ قَوْلَ رَاشِدِ   أَلْحِقْدُ لَا يَحْسُنُ فِي الشَّدَائِدِ
وَلَيْسَ مَنْ يَسْتَطِيعُ هَذَا غَيْرُكِ   فَرَاجِعِي حِلْمَكِ دَامَ خَيْرُكِ
فَإِنَّنِي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُهْ   يَقُولُ كُلُّ نَازِلٍ أَسْتَفْظِعُهْ
يَكْثُرُ فِيهِ حِيرَتِي وَغَمِّي   ثُمَّ أَرَى إِيرَخْتَ يَسْرِي هَمِّي

فَانْطَلَقَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعْ   فَسَاءَلَتْهُ وَهُوَ حَيْرَانُ فَزِعْ

إِنْ كُنْتَ غَضْبَانَ عَلَيْنَا وَاجِدَا   نُرْضِيكَ إِنْ كُنْتَ لِقَتْلٍ عَامِدَا

فَافْعَلْ فَهٰذَا الْحُزْنُ قَدْ أَضْنَاكَا   وَقَدْ عَنَى جُنْدَكَ مَا عَنَاكَا

قَالَ لَهَا كُفِّي فَلَسْتُ أُخْبِرُ   إِنَّ الَّذِي أَلْقَى عَظِيمٌ مُنْكَرُ

«قَالَتْ لَهُ وَهَلْ نَزَلْتُ عِنْدَكَا   مَنْزِلَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ رَدَّكَا»

قَدْ قِيلَ إِنَّ أَحْمَدَ الْأَنَامِ مَنْ   إِذَا دَهَتْهُ مِحْنَةٌ مِنَ الْمِحَنْ»

«كَانَ سَمِيعَ النُّصْحِ وَالْآرَاءِ   مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْوُدِّ وَالصَّفَاءِ»

«حَتَّى يَفُوزَ نَاجِيًا بِالْحِيلَةْ   وَالْعَقْلِ مِنْ مِحْنَتِهِ الْوَبِيلَةْ» (١)

لَا يَقْنَطُ الْمُذْنِبُ بَلْ يَتُوبُ   وَبِالْهُمُومِ تُصْدَعُ الْقُلُوبُ

لَيْسَ يَرُدُّ الْحُزْنُ قَطُّ ذَاهِبَا   لَكِنْ يَزِيدُ الْمَرْءَ هَمًّا وَاصِبَا

وَيُشْمِتُ الْأَعْدَاءَ إِنْ تَحَقَّقُوا   وَالصَّبْرُ بِالْحُرِّ الْكَرِيمِ أَخْلَقُ

«وَالصَّبْرُ فِي وَقْعِ الْبَلَا عِبَادَهْ   فَكُنْ صَبُورًا تَجِدِ الْإِفَادَهْ»

«وَسَوْفَ تَلْقَى الْخَيْرَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي   عَنْ فَادِحِ الْخَطْبِ وَمَا كَتَمْتَنِي»

قَالَ لَهَا مِحْنَتُنَا كَبِيرَهْ   تَكُونُ فِيهَا الصَّيْلَمُ الْمُبِيرَهْ

---

(١) كان الأصل :

قالت له قد قيل خير الرآء   ما كانَ من قول ذوي الصفاء

هَلاكُ أَهلِ الوُدِّ وَالأَولادِ   وَلَيسَ قَتلُ القَومِ مِن مُرادي
كَذاكَ قالَ البَرهَمِيُّ وَزَعَمْ   تَأوِيلَ رُؤيايَ وَكانَ قَد حَكَمْ
وَلَيسَ لِي رَوحٌ وَلا سُرُورُ   بَعدَكُمُ وَكُلُّ عَيشٍ زُورُ
قالَتْ لَهُ نَحنُ لَكَ الفِداءْ   القَومُ وَالأَولادُ وَالنِساءْ
لَكِنَّنِي أَسأَلُ أَنْ لا تَقبَلا   مَقالَهُمْ بَعدُ وَأَنْ لا تَعجَلا
فَقَتلُ النّاسِ بِلا تَأَمُّلِ   وَالأَمرُ في يَدَيكَ ما لَمْ تَفعَلِ
تَقدِرُ أَنْ تَقتُلَ كُلَّ حَيِّ   وَلَيسَ تُحيِي مَيِّتاً بِشَيِّ
قالَ الحَكِيمُ إِنْ وَجَدتَ جَوهَرا   ثُمَّ ظَنَنتَ فِيهِ ظَنّاً مُنكَرا
فَخَلِّهِ وَسَلْ بِهِ بَصِيرا   لا تُلقِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ خَبِيرا
كَيفَ غَدَوتَ وَاثِقاً الوَفا   لِمَنْ قَتَلتَ مِنهُمُ أُلُوفا
قَد ضَلَّ رَأيُ كُلِّ مُستَشِيرِ   يَطمَعُ في نَصِيحَةِ المَوتُورِ
وَلَمْ يَكُنْ حَزماً وَإِن عَنا كا   إِطلاعَكَ القَومَ عَلى رُؤياكا
حَتّى يُخِيفُوكَ وَيُزعِبُوكا   أُقسِمُ بِاللهِ لَقَد غَرُّوكا
«إِنَّهُمُ لَمْ يَبتَغُوا أَنْ تَقتُلا   مَنْ عَيَّنُوا إِلّا لِكَي تَلقَى البَلا»
«وَإِنَّنِي أَظُنُّ لَوْ قَبِلتَا   آراءَهُمْ كُنتَ إِذاً قُتِلتَا»
«وَأَصبَحُوا وَهُمْ وُلاةُ الأَمرِ   كَمِثلِ ما كانُوا قَدِيمَ الدَهرِ»

«فَإِنَّ مَنْ يَبْغِي اقْتِلَاعَ شَجَرَهْ عَالِيَةٍ جَسِيمَةٍ مُعَمَّرَهْ»
«يَبْدَأُ فِي أُصُولِهَا إِنْ قُطِعَتْ قُطِعَتِ الدَّوْحَةُ ثُمَّ اقْتُلِعَتْ»
«فَاذْهَبْ إِلَى كِبَارِ يُونَ وَاسْأَلِ وَغَيْرَ تَأْوِيلَاتِهِ لَا تَقْبَلِ[1]»
فَهُوَ لَبِيبٌ فَاضِلٌ أَمِينُ كُلُّ مُشِيرٍ غَيْرُهُ ظَنِينُ
وَإِنْ يَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ الْبَرَاهِمَهْ فَنَفْسُهُ لَيْسَتْ لَهُمْ مُلَائِمَهْ
فَإِنْ أَشَارَ مِثْلَمَا أَشَارُوا فَافْعَلْ وَإِلَّا فَهُمُ فُجَّارُ
فَمَرَّ فِي الْوَقْتِ إِلَى كِبَارِ وَقَالَ قَدْ جِئْتُ لِأَمْرٍ طَارِ
مِنْ بَعْدِ مَا حَيَّى كِبَارَ وَسَجَدْ مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ بِإِخْلَاصٍ مَجَدْ
وَذَكَرَ الْحَالَ لَهُ جَمِيعَهَا وَلَمْ يَكُنْ يَجْسُرُ أَنْ يُذِيعَهَا
قَالَ لَهُ فَاقْصُصْ عَلَيَّ رُؤْيَاكْ فَقَصَّهَا قَالَ تَقَرُّ عَيْنَاكْ
فَإِنَّمَا الْحُوتَانِ حِينَ قَامَا لَدَيْكَ بَعْدَ ضَجْعَةٍ وَدَامَا
هَدِيَّةٌ تَأْتِيكَ مِنْ هَيْمُونِ تَحْسُنُ فِي النُّفُوسِ وَالْعُيُونِ
عِقْدَانِ قَدْ تَكَلَّلَا بِالْجَوْهَرِ كِلَاهُمَا مُسْتَحْسَنٌ بِالْمَنْظَرِ
وَالْبَطَّتَانِ طَارَتَا مِنْ خَلْفِكَا بَيْنَ يَدَيْكَ عِنْدَ مَرْمَى طَرْفِكَا

---

(١) كان الأصل :

كنار ايرون احق من سئل عنها ومن يستنصح المولى يسل

يأتيك من بلخ حصانان هما ... أحسن ما رأيت مما ألجما
وحية أبصرتها كأنها ... دبت على رجلك فاعلم أنها
سيف كما تختاره صقيل ... يأتي به من صنجن رسول
وخضبك الجسم جهارا بالدم ... نفائس من اللباس المعلم
تأتيك من أقطار كازرون ... تضيء في الظلمة للعيون
وغسلك الجسم بماء صاف ... ثياب كتان بها يوافي
رسول رهزن من ثياب الملك ... وهو مصون ليس بالمشترك
والجبل الأبيض فيل أبيض ... يفوت جري الخيل حين تركض
«يأتيك من عند المليك الأعظم ... مالِك كبذور السري الأكرم»
والنار فاعلم ذاك إكليل ذهب ... «فيه من الجوهر در منتخب
«من ملك الأرزن يأتيك به ... معتمد لا تك بالمشتبه»
«تي ‑ بعة ليس بها ما لا يحب» ... والطائر الأبيض لما انضرب
رأسك بالمنقار لا أفسره ... وليس في تفسيره ما تحذره
لكن فيه جفوة لمن تحب ... والكيد كالعقرب في الشر يدب
يأتيك هذا بعد أسبوع فلا ... تسمع لقول البرهمي المثلا
فسجد الهمام ثم ودعه ... وجاءه من ذاك ما توقعه

وَسَرَّهُ ذَاكَ فَقَالَ لَمْ أُصِبْ ... فِي ثِقَتِي بِالْبَرْهَمِيِّ ذِي الْكَذِبْ

قَدْ كِدْتُ أَنْ أَهْلِكَ لَوْ صَدَّقْتُهُمْ ... "فَمِنْ فُرُوضِي هَجْرُهُمْ وَمَقْتُهُمْ"

«يَا لَلْوَرَى كَيْفَ نَسِيتُ قَوْلَ مَنْ ... قَالَ قَدِيمًا وَهُوَ تَعْلِيمٌ حَسَنْ»

فَشَاوِرِ الْإِخْوَانَ وَالْأَحْبَابَا ... فَكُلُّ مَنْ شَاوَرَهُمْ أَصَابَا

وَاسْمَعْ لَهُمْ وَاقْبَلْ بِمَا قَدْ قَالُوا ... فَشَرُّ مَنْ شَاوَرْتَهُ الْأَقْتَالُ

«وَكَانَ لِلْمَلِيكِ مَرْأَتَانِ ... إِيرَخْتُ ذَاتُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ»

"كَذَاكَ حُورَقْنَاهُ اسْمُ الثَّانِيَهْ ... وَذِكْرُهَا عَمَّ الْبِلَادَ الْقَاصِيَهْ"

«وَقَالَ هِيلَارُ لِبِيلَارَ احْمِلِ ... هٰذِي الْهَدَايَا كُلَّهَا وَعَجِّلِ»

«خُذْهَا لِإِيرَخْتَ لِكَيْ تَنْتَخِبَا ... مِنْهَا النَّفِيسَ وَالثَّمِينَ الْمُعْجِبَا»

«فَإِنَّنِي بِرَأْيِهَا عَمِلْتُ ... وَكُنْتُ لَوْلَا ذَاكَ قَدْ قُتِلْتُ»

فَحَمَّلَ الْإِكْلِيلَ وَالثِّيَابَا ... بِيلَارَ وَاسْتَفْتَحَ بَابًا بَابَا

حَتَّى إِذَا وَافَى مَكَانَ إِيرَخْتْ ... أَمَرَهُ فَحَطَّهَا فَوْقَ التَّخْتْ

قَالَ لَهَا خُذِي الَّذِي تَبْغِينَهْ ... «وَبِالصَّفَا وَالْأُنْسِ تَلْبَسِينَهْ»

«فَاخْتَارَتِ الْإِكْلِيلَ لَا الثِّيَابَا ... وَلَمْ تَكُنْ خِيرَتُهَا صَوَابَا»

«فَوَهَبَ الثِّيَابَ حُورَقْنَاهَا ... فَجَعَلَتْ بِلُبْسِهَا تَبَاهَى»

ثُمَّ أَتَتْهُ عِرْسُهُ بِصَحْفَهْ ... فِيهَا أَرُزٌّ طَيِّبٌ كَالتُّحْفَهْ

وَوَقَفَتْ قَائِمَةً تَلْقَمُهُ … فِي رَأْسِهَا الإِكْلِيلُ وَهْيَ تُكْرِمُهْ
إِذَا بِجَوْرَقَنَاهَ فِي الثِّيَابِ … مَرَّتْ شَبِيهَ الشَّمْسِ فِي السَّحَابِ
فَقَالَ لِلزَّوْجَةِ يَا سَفِيهَهْ … مَا لِلثِّيَابِ فَأَعْلِمِي شَبِيهَهْ
لَمْ تَأْخُذِيهَا سَفَهًا فَفَارَتْ … وَأَلْقَتِ الصَّحْفَةَ لَمَّا فَارَتْ
فَوَقَعَتْ فِي رَأْسِهِ فَاسْتَدْعَى … بَيْلَارَ ذَا الْحَزْمِ فَجَاءَ يَسْعَى
فَقَالَ يَا بَيْلَارُ هٰذَا فِعْلُهَا … وَإِنَّمَا الْجَزَاءُ عَنْهُ قَتْلُهَا
أَلسَّاعَةَ السَّاعَةَ يَا بَيْلَارُ … بِحَقِّيَ اقْتُلْهَا كَمَا أَخْتَارُ
فَمَرَّ بَيْلَارُ بِهَا عَلَى عَجَلْ … وَصَانَهَا فِي مَوْضِعٍ وَمَا قَتَلْ
وَقَالَ هٰذِي أَفْضَلُ النِّسَاءِ … فِي الْعَقْلِ وَالْعِفَّةِ وَالذَّكَاءِ
قَدْ خَلَّصَ اللّٰهُ بِهَا مِنَ الْعَطَبْ … جَمَاعَةً ذَوِي عُلُومٍ وَأَدَبْ
أَصْبِرُ حَتَّى يَسْتَبِينَ عَزْمُهُ … فِيهَا إِذَا ثَابَ إِلَيْهِ حِلْمُهُ
فَإِنْ غَدَا مُكْتَئِبًا حَزِينَا … يَنْشُرُ ذِكْرَ الْوَاجِدِ الدَّفِينَا
أَظْهَرْتُهَا مُخَفِّفًا عَنْ قَلْبِهِ … بَعْضَ الَّذِي أَظْهَرَهُ مِنْ كَرْبِهِ
وَإِنْ سَلَا عَنْهَا وَلَمْ يَذْكُرْهَا … قَتَلْتُهَا كَمَا أَشَارَ كُرْهَا
سَلَّمَهَا إِلَى أَمِينٍ نَاصِحِ … مِمَّنْ يَقُومُ بِالنِّسَاءِ صَالِحِ
وَجَاءَ قَدْ خَضَبَ السَّيْفَ دَمَا … وَقَالَ قَدْ قَتَلْتُهَا فَوَجَمَا

يذكرُ من جمالها وفضلها ورأيها وحزمها وعقلها
وزال عنهُ الغيظُ منها وسكنْ واشتعلتْ نارُ الهمومِ والحزنْ
لكنهُ أظهرَ للقومِ الجلدْ ولمْ يبحْ إليهمِ بما وجدْ
وشكَ إذ يعرفُ عقلَ بيلارْ في قتلها وفي حشاهُ كالنارْ
قالَ لهُ بيلارُ إنَّ الحزنا يظهرُ في قلبِ الجليدِ وهنا
ويشمتُ الأعداءَ والحسادا ويحزنُ الأهلينَ والأولادا
وليسَ يدعى حازماً من حزنا ولا يسمى عازماً من وهنا
فسلِ عنها النفسَ حقاً واصبرِ واسمعْ لما أبثهُ من خبرِ
أُخبرتُ عن زوجي حمامٍ خبرا ما زلتُ فيهِ مفكراً معتبرا
إذ ملآ عشهما طعاما وفضلا بذلكَ الحماما
فقالَ في بعضِ الليالي الذكرُ إياكِ ما دمنا بقوتٍ نظفرُ
في البرِّ أنْ يؤكلَ منهُ حبهْ فأظهرتْ في ما أشارَ رغبهْ
وكانَ ملءُ العشِّ وهوَ رطبُ فحينَ جاءَ الصيفُ جفَّ الحبُّ
ونقصَ البيتُ فظنَّ أنها قد أكلتْ منهُ فأبدى لعنها
وحلفتْ فلمْ يصدقْ فغدا ينقرُها فوردتْ حوضَ الردى
ثمَّ أتى الشتاءُ في أمطارهِ وزادَ ذاكَ الحبُّ عن مقدارهِ

وَامْتَلأَ الْبَيْتُ عَلَيْهِ فَنَدِمْ   لِقَتْلِهَا بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَسَدِمْ

فَمَنْ يَكُنْ مُسْتَمْسِكاً بِحَزْمِ   يَرْفُقْ وَلاَ يَعْجَلْ بِرَمْيِ سَهْمِ

فَإِنَّـهُ يَعْقُبُهُ النَّدَامَهْ   كَمَا أَتَى فِي خَبَرِ الْحَمَامَهْ

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ إِنْسَاناً غَدَا   يَحْمِلُ وِقْرَ عَدَسٍ فَقَعَدَا

مَا بَيْنَ أَشْجَارٍ فَنَامَ وَنَزَلْ   قِرْدٌ إِلَى كَارَتِهِ فَمَا أَكَلْ

بَلْ طَرَّ مِنْهَا قَبْضَةً فِي كَفِّهِ   فَسَقَطَتْ وَاحِدَةٌ لِضَعْفِهِ

فَلَجَّ فِي طِلاَبِهَا حَتَّى رَمَى   جَمِيعَ ذَاكَ ثُمَّ عَادَ مُغْرَمَـا

كَذَاكَ أَنْتَ أَيُّهَا السُّلْطَانُ   فِي دَارِكَ الأَحْبَابُ وَالْخُلاَّنُ

تَتْرُكُهُمْ جَمْعاً وَتَبْغِي مَا مَضَى   مَهْلاً فَهَذَا خُلُقٌ لاَ يُرْتَضَى

« فَخَشِيَ الْمَلِكُ أَنْ تَكُونَا   إِيرَخْتُ قَدْ أُوْرِدَتِ الْمَنُونَا»

فَقَالَ يَا بِيلاَرُ هَلْ مِنْ كَلِمَهْ   قَتَلْتَهَا لَقَدْ جَنَيْتَ مُؤْلِمَهْ

هَلاَّ تَثَبَّتَّ وَلَمْ تَسْتَعْجِلِ   فَالْخَيْرُ فِي الرِّفْقِ وَفِي التَّمَهُّلِ

قَالَ لَهُ إِنَّ الَّذِي لاَ يَخْتَلِفْ   مِنْهُ الْكَلاَمُ وَاحِدٌ إِذْ تَعْتَرِفْ

فَقَالَ مَنْ ذَاكَ فَقَالَ اللهُ   لِغَيْرِهِ الأَضْدَادُ وَالأَشْبَاهُ

قَالَ لَقَدْ أَحْزَنْتَنِي بِقَتْلِهَا   وَلَسْتُ قَطُّ ظَافِراً بِمِثْلِهَا

قَالَ لَهُ يَبِلاَرُ اثْنَانِ هُمَا   يَطُولُ فِي مَا فَعَلاَ حُزْنُهُمَا

لا يُمتعانِ الدهرَ بالأفراحِ　　ولا يُراحانِ منَ الأتراحِ

مَنْ يجحدُ الثوابَ والعقابا　　وجاهلٌ ما فعلَ الصوابا (١)

« فإنما حظهما قليلْ　　من نِعَمِ الدنيا التي تزولُ »

« ثمَّ إذا ما عاينا الجزاءَ　　يومَ المعادِ أكثرا البكاءَ »

قالَ لئنْ رأيتُها لم أحزنِ　　بمؤلمٍ منْ طارقاتِ الزمنِ

قالَ لهُ قدْ سرَّ دونَ العالمِ　　منْ يفعلُ البرَّ ومنْ لم يأثمِ

قالَ أما أنظرُها منْ بعدُ　　قالَ لهُ بيلارُ وهوَ جلدُ

إثنانِ ليسَ ينظرانِ أبدا　　أعمى ومجنونٌ فخلِّ الفندا

لافرقَ فالأعمى الذي لا ينظرُ　　كذلكَ المجنونُ منْ لا يبصرُ

« الفرقُ بينَ الحسنِ المليحِ　　وبينَ ذي الإساءةِ القبيحِ »

قالَ لئنْ رأيتُها فرحتُ　　فإنني الساعةَ قدْ ترحتُ

قالَ لهُ الفرحُ حقاً إثنانْ　　ذو العلمِ والبصرِ دونَ العميانْ

كما يرى ذا الضوءَ والظلاما　　يبصرُ ذاكَ البرَّ والآثاما

فقالَ إني ما اكتفيتُ منها　　قطُّ ولا أقصرَ حرصي عنها

---

(١) وفي النثر ما نظمه

مرتكبٌ فعلَ الخطا والشرِّ　　ومهملٌ صنعَ التقى والبرِّ

قَالَ لَهُ وَزِيرُهُ إِثْنَانِ ‏ لَا يَكْفِيَانِ الدَّهْرَ جَائِعَانِ
فَجَامِعُ الْمَالِ وَذُو السُّؤَالِ ‏ فَقَالَ لَمَّا لَجَّ فِي الْجِدَالِ
أَلْبُعْدُ عَنْكَ لِلْقُلُوبِ أَرْوَحُ ‏ فَقَدْ نَهَانَا عَنْكَ حُرٌّ يَنْصَحُ
إِذْ قَالَ لَا تُقَارِبُوا الْفُسَّاقَا ‏ وَلَا الْأَشِدَّاءَ وَلَا الْحِقَاقَا
قَالَ لَهُ إِثْنَانِ يُطْرَدَانِ ‏ « مِنَ الْمَلَا طُرًّا وَيُبْعَدَانِ »
« مَنْ قَالَ لَا بِرَّ وَلَا إِثْمَ وَلَا ‏ عِقَابَ لَا ثَوَابَ لَا رَبَّ وَلَا »
« وَمَنْ تَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَى مَا ‏ لَيْسَ حَلَالًا لَهُ بَلْ حَرَامَا »
« فَلَا يَكَادُ يَصْرِفُ النَّفْسَ إِلَى ‏ شَيْءٍ يَكُونُ فِي الْوَرَى مُحَلَّلَا »(١)
قَالَ لَهُ لَقَدْ غَدَوْتُ صِفْرَا ‏ مِنْ رَأْيِهَا الصَّافِي وَكَانَ ذُخْرَا
قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ(٢) أَصْفَارُ ‏ فِيهَا لِمَنْ يَنْظُرُهَا اعْتِبَارُ
فَأَيِّمٌ لَيْسَ لَهَا أَعْوَانُ ‏ وَبَلَدٌ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانُ
« وَجَاهِلٌ لَا يَعْرِفُ الْأُمُورَا ‏ بَلْ يَخْلِطُ الْأَخْيَارَ وَالشُّرُورَا »
وَنَهْرٌ لَمْ يَجْرِ فِيهِ مَاءُ ‏ فَهٰذِهِ جَمِيعُهَا سَوَاءُ

---

(١) كان الأصل : ‏ من لم يدن بالبرّ والعدوان
وعاجز لا يستطيع مذهبا ‏ عن الخنا قد ارتضاه مركبا

(٢) وفي الاصل ‏ ثلثة فالرابع مأخوذ من النثر

قَالَ لَهُ إِنَّكَ كَالْمُلَقِّنِ إِذْ أَنْتَ فِي قَوْلِكَ جِدُّ مُحْسِنِ
قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ قَدْ لُقِّنُوا أَلْمَلِكُ الْبَرُّ الْجَوَادُ الْمُحْسِنُ
وَالرَّجُلُ الْعَالِمُ وَالْإِمْرَاةُ يَصُونُهَا الْعَفَافُ لَا الْوُلَاةُ
قَالَ لَهُ أَهْلَكْتَهَا فِي غَيْرِ حَقّ أَبْلَغَ هٰذَا الْفِعْلُ مِنْ قَلْبِي وَشَقّ
« قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ يَرُوغُونْ هُمُ الْمُدَى عَنِ الْهُدَى يَزِيغُونْ »[1]
أَلْخُفُّ إِذْ يَلْبَسُهُ الْقَصَّارُ وَرِجْلُهُ مِنْ تَحْتِهَا التَّيَّارُ
« وَالْفَرَسُ السَّابِقُ وَقْتَ جَرْيِهِ يُهْمِلُهُ صَاحِبُهُ وَيَلْتَهِي »
وَالْبُرْدَةُ الْبَيْضَا عَلَى حَدَّادِ أَوْ جَالِسٍ فِي مَوْضِعِ الْوَقَّادِ
قَالَ لَهُ يَا لَيْتَنِي أَرَاهَا فَالْآنَ قَلْبِي لَقَدِ اشْتَهَاهَا
قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ تَمَنَّى مَا لَا يَكُونُ فَتَمُوتُ حُزْنَا
فَعَاجِزٌ يَرْجُو مَكَانَ بَرِّ سَفَاهَةً فِي ذِكْرِهِ وَالْأَجْرِ
وَبَاخِلٌ يَذْخَرُ فَضْلَ الزَّادِ إِذَا رَجَا مَنْزِلَةَ الْجَوَادِ
وَقَاتِلُ النُّفُوسِ يَرْجُو أَنَّهُ مَعَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى فِي الْجَنَّهْ
« قَالَ لَهُ أَنَا الَّذِي أَذْنَبْتُ جَرَرْتُ هٰذَا الْخَطْبَ إِذْ غَضِبْتُ »

---

(١) وفي الأصل :

قال له ثلثة يضيعون فما إلى فائدة يربعون

« قَالَ لَهُ يَلاَرُ إِنَّ خَمْسَةْ كُلُّهُمْ أَهْدَى الْبَلاَءَ نَفْسَهْ »
« فَخَائِضٌ غُبَارَ نَقْعٍ أَعْزَلاَ خَاطَرَ لاَ بِدْعَ إِذًا إِنْ قُتِلاَ »
« وَخَازِنٌ فِي بَيْتِهِ كَالْبُخَلاَ أَمْوَالَهُ لِنَفْسِهِ جَرَّ الْبَلاَ »
« يَقْصِدُهُ اللُّصُوصُ يَقْتُلُونَهُ وَكُلَّ مَا جَمَعَ يَنْهَبُونَهُ »
« وَالْكَرِهُ الْمَنْظَرِ حِينَ يَخْطُبُ جَمِيلَةً فَائِقَةً فَيَتْعَبُ »
« كَذَا الْمُسِنُّ يَخْطِبُ الصَّغِيرَهْ يَقْضِي الْحَيَاةَ كُلَّهَا فِي حَيْرَهْ »
« وَالْأُمُّ إِذْ تُحِبُّ أَنْ يَكُونَا وَلَدُهَا مُكَرَّمًا مَصُونَا »
« وَهْوَ خَبِيثٌ شَرِسُ الْأَخْلاَقِ يَتْجُرُ بِالْخِدَاعِ وَالنِّفَاقِ »
« فَيَغْتَدِي وَلَدُهَا لِحُبِّهَا لَهُ بَلاَءً مُتْعِبًا لِقَلْبِهَا »
« قَالَ لَهُ قَتْلِي لَهَا لَمْ يَكُنِ مَوْضِعَهُ فَعَلْتُ فِعْلَ أَرْعَنِ »
« قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ فِعْلُهُمُ كَذَاكَ وَالنَّاسُ تَرَى جَهْلَهُمُ »(١)
فَطَائِرٌ يَرْفَعُ جَهْلاً رِجْلَهُ « خِيفَةَ أَنْ تَهْوِي السَّمَاءُ حَوْلَهُ »(٢)
يَقُولُ إِنْ خَرَّتْ فَإِنَّ رِجْلِي تَعْمِدُهَا بِحُمْقِهِ وَالْجَهْلِ

(١) كان اصل البيتين :
قال له حتفك يا يلار لما يخاف الفاتك المغيار
قال له اربعة يخافون وهم الى اخلافهم يضافون
(٢) كان الأصل : خوف السماء ان تخر حوله

كَذَلِكَ الكُرْكِيُّ إِذْ يَقُومُ بِغَيْرِ رِجْلٍ إِنَّهُ مَلُومُ
يَقُولُ إِنِّي خَائِفٌ أَنْ تَخْرِقَا مِنْ تَحْتِيَ الْأَرْضَ فَيَبْدُو مُشْفِقَا
«وَصَاحِبُ الْمَالِ اللَّئِيمُ الطَّمِعُ يَبْخَلُ بِالْقُوتِ فَلَيْسَ يَشْبَعُ»
«يَأْكُلُ لَكِنْ لَا يَسُدُّ جُوعَهُ خَشْيَةَ أَنْ يَنْفَدَ مَا جَمَّعَهُ»
«كَدُودَةٍ تُشْفِقُ مِنْ أَنَّ الثَّرَى يَفْنَى وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ أُكْثِرَا»
«تَقُولُ إِنْ أَكَلْتُ مَا يَقِيتُنِي أَخَافُ قُوتِي فِي غَدٍ يَفُوتُنِي» (١)
وَالرَّابِعُ الْخُفَّاشُ لَا يَطِيرُ فِي الْجَوِّ وَهُوَ عَاجِزٌ ضَرِيرُ
يَخَافُ أَنَّ النَّاسَ يَصْطَادُونَهُ لِحُسْنِهِ وَكُلُّ قُبْحٍ دُونَهُ
فَقَالَ لَمْ أَحْزَنْ لِشَيْءٍ حُزْنِي عَلَى كَمَالِ عَقْلِهَا وَالْحُسْنِ
قَالَ لَهُ خَمْسٌ عَلَيْهِنَّ الْحَزَنْ وَالصَّبْرُ بَعْدَهُنَّ لَيْسَ بِالْحَسَنْ
أَلْمَرْأَةُ الْكَرِيمَةُ النَّسِيبَهْ وَالْحُرَّةُ الْعَاقِلَةُ الْحَسِيبَهْ
وَذَاتُ حُسْنٍ فَائِقٍ وَالرَّاضِيَهْ رَجُلَهَا وَالْغَادَةُ الْمُؤَاتِيَهْ
«قَالَ لَهُ إِنَّ شَدِيدَ حَزَنِي حَرَّمَ عَيْنِيَّ لَذِيذَ الْوَسَنِ»
«قَالَ لَهُ إِثْنَانِ لَنْ يَنَامَا غَدَا الْكَرَى عَلَيْهِمَا حَرَامَا»

---

(١) كان الاصل :

ودودة تشفق وهي عنا من تحتها أنّ التراب يفنى

«صَاحِبُ مَالٍ كُلَّ يَوْمٍ يَكْثُرُ ... وَمَالُهُ لِمَالِهِ مُدَبِّرُ»
«كَذَا عَلِيلٌ مَا لَهُ طَبِيبُ ... وَهُوَ فَطِينٌ عَاقِلٌ لَبِيبُ» (١)
قَالَ لَهُ أَحْزَنْتَنِي فَقَالَا ... ثَلَاثَةٌ أَحْزَانُهُمْ تَوَالَى
فَفَارِسٌ حِصَانُهُ فِي عَسْكَرِهْ ... مَنْظَرُهُ فِي الْحُسْنِ ضِدُّ مَخْبَرِهْ
وَصَاحِبُ الطَّبِيخِ قَلَّ لَحْمُهُ ... وَكَثُرَ الْمَاءُ فَمُرَّ طَعْمُهُ
وَخَاطِبٌ جَارِيَةً جَمِيلَهْ ... شَرِيفَةً فَاضِلَةَ الْقَبِيلَهْ
يَعْجِزُ عَنْ إِكْرَامِهَا فَتَشْتِمُهْ ... وَالْحُرُّ لَا يُكْرِمُ مَنْ لَا يُكْرِمُهْ
قَالَ لَهُ حَقُّكَ أَنْ تُعَذَّبَا ... مُقِتَّ وَكُنْتَ الْكَامِلَ الْمُهَذَّبَا
قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ عَذَابُهُمْ ... فَرْضٌ وَحَقٌّ وَاجِبٌ عِقَابُهُمْ
فَمُجْرِمٌ عَاقَبَ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهْ ... وَآكِلٌ وَمَا دَعَاهُ الْآكِلَهْ
وَسَائِلٌ يَطْلُبُ مَا لَا يُوجَدُ ... وَهُوَ إِذَا مَا صَدَّقُوهُ يَجْحَدُ
قَالَ لَهُ لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبْ ... سَكَتَّ حَتَّى يَنْجَلِي عَنِّي الْغَضَبْ
قَالَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ حَقِّهِمْ ... أَنْ يَسْكُتُوا فِي غَرْبِهِمْ وَشَرْقِهِمْ

(١) الى هنا انتهت مداولتهما على ما في النثر وما يأتي بعد ذلك فلا وجود له الا في الشعر ولعله مأخوذ عن نسخ الكتاب الفارسية والبهلوية .

مَنِ ارْتَقَى إِلَى الْجِبَالِ صَاعِدَا ... وَمَنْ غَدَا يَوْماً لِحُوتٍ صَائِدَا
وَرَجُلٌ هَمَّ بِأَمْرٍ عَالِي ... فَمَا يَزَالُ الدَّهْرَ ذَا اخْتِبَالِ
قَالَ لَهُ إِنِّي حَقِيرٌ عِنْدَكَا ... لِذَاكَ قَدْ جِبْهَتْنِي بِرَدِّكَا
قَالَ لَهُ ثَلَثَةٌ قَدْ حَقَرُوا ... أَرْبَابَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِمْ مُنْكَرُ
مَنْ أَكْثَرَ الْقَوْلَ بِغَيْرِ عِلْمِ ... وَلَا تَرَوَّ صَادِقٍ وَفَهْمِ
وَالْعَبْدُ قَدْ أَثْرَى وَقَدْ طَالَتْ يَدُهْ ... فَتَاهَ إِذْ عَادَ فَقِيراً سَيِّدُهْ
وَالْعَبْدُ قَدْ خَاصَمَ مَوْلَاهُ فَلَمْ ... يَبْقِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلَا احْتَشَمْ
قَالَ لَهُ إِنَّكَ بِي لَتَسْخَرُ ... لَوْ لَمْ تُعَاجِلْهَا لَكُنْتَ تَشْكُرُ
قَالَ لَهُ يُسْخَرُ مِنْ ثَلَاثَةْ ... قَدْ أَسْرَفُوا فِي الْجَهْلِ وَالْغَثَاثَةْ
مَنْ قَالَ إِنِّي فَارِسٌ مِغْوَارُ ... وَلَيْسَ فِيهِ لِلظُّبَى آثَارُ
وَمُدَّعِي النُّسْكِ السَّمِينِ الْعَبْلِ ... وَامْرَأَةٍ سَاخِرَةٍ بِالْبَعْلِ
قَالَ لَهُ قَتْلُكَهَا يَدُلُّ ... أَنَّكَ صِفْرٌ لَيْسَ فِيكَ عَقْلُ
قَالَ لَهُ ثَلَثَةٌ أَخْلَاقُهُمْ ... تَبِينُ فِي أَقْدَارِهَا أَفْعَالُهُمْ
مُسْتَوْدِعُ الْمَالِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ ... وَقَائِلٌ إِنِّي بِنَفْسِي أَشْغَفُ
أَعْمَلُ فِي صَلَاحِهَا وَأَجْهَدُ ... وَلَيْسَ لِي بِالْجِسْمِ هَمٌّ يُقْصَدُ
وَلَمْ يَزَلْ مُتَّبِعاً هَوَاهُ ... فِي التُّرَّهَاتِ عَاصِياً مَوْلَاهُ

وَقَائِلٌ إِنِّي شُجَاعٌ مُجَرَّبٌ وَحَوْلٌ فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ قُلَّبُ
وَهُوَ كَذُوبٌ قِيلُهُ لَا يُصَدَّقُ قَالَ لَهُ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي تَرْفُقُ
لَمَا قَتَلْتَ ٱلْغَادَةَ ٱلْحَسْنَآءَ لَكِنْ تَرَكْتَ سُنَّتِي وَرَآءَ
قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ مُسْتَنُونْ بِسُنَّةِ ٱلْحَقِّ فَمَا يُلَامُونْ
أَلْعَبْدُ إِذْ يَفْرَغُ مِنْ طَعَامِهِ عِنْدَ خُرُوجِ ٱلْمَرْءِ مِنْ صِيَامِهِ
وَقَانِعٌ بِزَوْجَةٍ تُحَصِّنُهْ وَمَلِكٌ يَسْأَلُ عَمَّا يُحْزِنُهْ
فَمَا يَزَالُ لِلْمُلِمِّ ٱلنَّازِلِ مُشَاوِرًا كُلَّ نَصِيحٍ عَاقِلِ
وَرَجُلٌ يَقْمَعُ فَوْرَ غَضَبِهْ يَرْقَعُ حُسْنُ رِفْقِهِ مَا حَلَّ بِهْ
قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ لَا تَكْثُرُ فِيهَا ٱلنُّذُورُ كُلُّهَا إِذْ تُنْذَرُ
أَلْمَرْأَةُ ٱلْعَاقِلَةُ ٱلْمُوَافِقَهْ وَٱلثَّوْرُ وَٱلْحِصَانُ فِي ٱلْمُسَابَقَهْ
وَٱلْعَبْدُ يَسْعَى جُهْدَهُ وَيَكْدَحُ لِرَبِّهِ يَوَدُّهُ وَيَنْصَحُ
قَالَ لَهُ لَا تَبْغِي بِكَ ٱلثِّقَهْ فَأَنْتَ إِنْسَانٌ قَلِيلُ ٱلشَّفَقَهْ
قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ لَا يُوثَقُ بِهِمْ فَمَا فِيهِمْ جَمِيعًا مُشْفِقُ
أَلسَّبْعُ وَٱلْحَيَّةُ وَٱلْجَبَّارُ وَٱلْجَسَدُ ٱلْمَيِّتُ يَا هِيلَارُ
قَالَ لِمَنْ يَرُدُّهَا مَا يَشْتَهِي طَوْعًا أَقُولُ ذَاكَ غَيْرَ مُكْرَهِ
قَالَ لَهُ يَا هِيلَارُ إِنَّ خَمْسَهْ كُلُّهُمُ لِلْمَالِ يُرْدِي نَفْسَهْ

أَلْمَالُ خَيْرٌ عِنْدَهُمْ وَأَغْلَى ... لِلْجَهْلِ مِنْ نُفُوسِهِمْ وَأَحْلَى
أَللِّصُّ إِذْ تُقْطَعُ فِيهِ كَفُّهُ ... وَرَاكِبُ الْبَحْرِ وَفِيهِ حَتْفُهُ
وَآخِذُ الْأُجْرَةِ لِلْقِتَالِ ... يَبْذُلُ جَهْلًا نَفْسَهُ بِالْمَالِ
وَصَاحِبُ السِّجْنِ يَوَدُّ أَنَّهُ ... لِطَلَبِ الْقِطْعَةِ يَمْلَا سِجْنَهُ (١)
قَالَ لَهُ لَقَدْ غَرَسْتَ حِقْدَا ... عِنْدِي وَقَدْ مَلَأْتَ قَلْبِي وَجْدَا
قَالَ لَهُ أَرْبَعَةٌ لَا تَكْذِبُ ... أَلْحِقْدُ مَا بَيْنَهُمْ مُرَكَّبُ
لَا يَصْطَلِحْنَ الذِّئْبُ وَالْخَرُوفُ ... وَالْفَارُ وَالسِّنَّوْرُ يَا عَرُوفُ
وَمِثْلُهُنَّ الْبُومُ وَالْغِرْبَانُ ... وَالْبَازُ وَالتَّدْرُجُ يَا إِنْسَانُ
قَالَ لَقَدْ أَفْسَدْتَ تِلْكَ الْحِلْيَةْ ... لَقَدْ قَتَلْتَ غَادَةً بَلْ ظَبْيَةْ
قَالَ لَهُ يَلَارُ إِنَّ سَبْعَةْ ... قَدْ أَفْسَدُوا أَعْمَالَهُمْ بِالْمُتْعَةْ
أَلرَّجُلُ الْقَائِمُ لَيْسَ يَعْرِفُ ... وَالسَّيِّدُ الْفَظُّ الَّذِي لَا يَعْطِفُ
وَمُحْسِنٌ إِلَى خَؤُونٍ كَاذِبِ ... وَآمِنُ اللِّصِّ الْمَسْرُوقُ الْخَارِبِ
وَالْأُمُّ تَحْنُو وَابْنُهَا يَعُقُّهَا ... وَبِالْعَصَا مَا يَأْتَلِي يَدُقُّهَا
وَمُسْرِعٌ إِلَى لِقَاءِ الْآثِمَةْ ... تَجَرِّيًا عَلَى الذُّنُوبِ الْمُؤْلِمَةْ
وَرَجُلٌ لِلَّهِ لَا يُرَاقِبُ ... قَدْ صَغُرَتْ فِي عَيْنِهِ الْعَوَاقِبُ

(١) اغفل الناسخ الخامس من باذلي نفوسهم حبًا بالمال

قَالَ أَمَا تَرْحَمُنِي مِنْ ذِي ٱلنَّارْ أَلَيْسَ فِيكَ رَحْمَةٌ يَا بِيلَارْ
قَالَ لَهُ بِيلَارُ إِنَّ سِتَّهْ قُلُوبُهُمْ مِنْ رَحْمَةٍ مُنْحَتَّهْ
أَلْمَلِكُ ٱلْحَقُودُ وَٱللِّصُّ وَمَنْ يَصُدُّ مَوْلَاهُ عَنِ ٱلْفِعْلِ ٱلْحَسَنْ
وَحَامِلُ ٱلْأَمْوَاتِ وَٱلْمُكَابِرُ عَلَى ٱلْحُقُوقِ وَٱلْخَؤُونُ ٱلْغَادِرُ
قَالَ لَهُ لَقَدْ كَرِهْتُ مَا جَرَى مِنْ قَتْلِهَا فَلْيَعْلَمَنْ كُلُّ ٱلْوَرَى (١)
قَالَ فَإِنَّ سَبْعَةً مَكْرُوهَهْ مَدْفُوعَةٌ عَنْ حَقِّهَا مَجْبُوهَهْ
أَلشَّيْبُ وَٱلدَّاءُ ٱلدَّوِيُّ وَٱلْغَضَبْ وَٱلرَّدُّ بِٱلْجَهْلِ وَفِي ٱلْكُلِّ ٱلْعَطَبْ
وَٱلْجُوعُ وَٱلْمَوْتُ ٱلْكَرِيهُ وَٱلْعَطَشْ شِيلَ بِهَا كُلُّ فَتًى وَمَا ٱنْتَقَشْ
« قَالَ لَهُ لَا أَرْتَضِيكَ صَاحِبَا أَضْحَى ٱلْبِعَادُ عَنْكَ فَرْضًا وَاجِبَا »
قَالَ لَهُ لَا تَخْتَرَنْ ثَمَانِيَهْ آرَاؤُهُمْ مِنَ ٱلضَّلَالِ دَانِيَهْ
مَنْ شَاوَرَ ٱلْخِلَّ ٱلَّذِي لَا حِلْمَ لَهْ وَمُكْثِرٌ عَنْ حَالِهِ تَحَوُّلَهْ
وَمُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ وَرَأْيِهِ وَمُؤْثِرُ ٱلْمَالِ عَلَى حَوْبَائِهِ
وَعَاجِزٌ يَقْطَعُ أَرْضًا شَاسِعَهْ وَعَائِبٌ سُلْطَانَهُ مُوَاقِعَهْ
وَرَجُلٌ مَا يَأْتَلِي يُجَادِلُ وَبَطَلٌ أَصْحَابَهُ يُقَاتِلُ
قَالَ لَهُ لَقَدْ تَعَنَّيْنَا مَعَا قَالَ لَهُ عَنْ قَوْلِهِ فَأَسْمَعَا

(١) كان أصل الشطر الثاني : من قتلها فليدر من ليس درى

جَمَاعَةٌ نُفُوسُهُمْ يَعْنُونْ ... وَإِنَّمَا أَزْوَاجَهُمْ يَضُرُّونْ
فَمِنْهُمُ ٱلْمُعَلِّمُ ٱلْجَهُولُ ... وَٱلْعَاقِلُ ٱلْمُعَظَّمُ ٱلْغَفُولُ
وَطَالِبٌ بِٱلْجَهْلِ مَا لَا يُدْرِكُ ... وَفَاجِرٌ ظَاهِرُهُ ٱلتَّنَسُّكُ
وَصَاحِبُ ٱلْمُلُوكِ مِنْ غَيْرِ أَدَبْ ... وَطَالِبُ ٱلْعِلْمِ بِحَرْبٍ وَغَضَبْ
مُجَادِلٌ مَنْ هُوَ مِنْهُ أَعْلَمُ ... وَرَجُلٌ جَارَتُهُ لَا تَفْهَمُ
وَخَاطِبٌ وِدَّ ٱلْمُلُوكِ بِٱلْمَلَقْ ... وَمَا صَفَا فِي وِدِّهِ وَمَا صَدَقْ
« ثُمَّ رَأَى أَنَّ ٱلْمَلِيكَ حَزِنَا ... لِكُثْرِ مَا جَادَلَهُ وَأَحْنَا »
وَقَالَ حَقٌّ أَنْ أُسِرَّ ٱلْمَلِكَا ... وَقُبْحَ مَا سِيءَ بِهِ أَسْتَدْرِكَا
فَقَدْ أَسَأْتُ فِي مَقَالِي وَصَنَعْ ... وَهٰكَذَا دَأْبُ ٱلْأَمِينِ ٱلْمُنْتَصِحْ
لِأَنَّهُ لِمَا ذَكَرْتُ مَا غَضِبْ ... وَلَمْ يَزَلْ وَقَارُهُ وَيَضْطَرِبْ
ذَاكَ دَلِيلٌ أَنَّهُ مَتَى عَرَا ... أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يُطَاقُ صَبْرَا
فَقَالَ يَا مَوْلَايَ رَبَّ ٱلْمَجْدِ ... قَدْ جُزْتُ فِي مَا قُلْتُ كُلَّ حَدِّ
« لَكِنَّمَا قَدْ بَانَ لِي مِنْ حِلْمِكَا ... مَا دَلَّنِي عَلَى عَظِيمِ حَزْمِكَا »
« لَمْ تَبْدُ لِي إِشَارَةٌ مِنَ ٱلْغَضَبْ ... مَعْ أَنَّنِي أَكْثَرْتُ مِنْ إِبْدَا ٱلسَّبَبْ »
مَلَكْتُمُ نُفُوسَكُمْ لَا كَٱلْأُلَى ... رَامُوا عَلَى طَيْشِهِمِ نَيْلَ ٱلْعُلَى
فَجَزِعُوا لِأَصْغَرِ ٱلْمَصَائِبِ ... وَهَلَعُوا لِأَيْسَرِ ٱلنَّوَائِبِ

شَكَرْتُ إِذْ أَمْسَكْتَ عَنْ قَتْلِي وَلَمْ   تَأْمُرْ بِهِ وَلَوْ فَعَلْتَ لَمْ تُلَمْ
« فَاعْلَمْ إِذاً أَنِّي مَا أَرَدْتُهَا   بَلْ كُلُّ مَا يُجْزِنُهَا وَقَيْتُهَا »
فَسُرَّ لَمَّا قَالَ مَا قَتَلْتُهَا   بَلْ فِي مَكَانٍ آمِنٍ جَعَلْتُهَا
قَالَ لَهُ إِنِّي عَرَفْتُ نُصْحَكَا   فِي مَا جَرَى فَمَا رَأَيْتُ جُرْحَكَا
وَكُنْتُ أَرْجُو إِذْ عَرَفْتُ حَزْمَكَا   أَنَّكَ مَا قَتَلْتَهَا لِحِلْمِكَا
فَإِنَّهَا وَإِنْ أَتَتْ كَبِيرَهْ   مُنْكَرَةً لَمْ تَقْصِدِ الْجَرِيرَهْ
وَكَانَ أَوْلَى الْحَالِ بِي أَنَا أَحْتَمِلْ   دَلَالَهَا وَكُلُّ مَحْبُوبٍ يُدِلْ
وَلَسْتَ فِي مَا قُلْتَ لِي بِمُذْنِبِ   أَلذَّنْبُ ذَنْبِي فَعَلَامَ غَضَبِي
لَكِنْ أَرَدْتُ بِالْجِدَالِ التَّجْرِبَهْ   وَإِنَّهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُتْعِبَهْ
وَخِفْتُ إِنْ أَقْرَرْتَ أَنْ أُعَاتِبَكْ   عَلَى خِلَافِ الْأَمْرِ أَوْ أُعَاقِبَكْ
« لَا تَخْشَ مِنِّي حِدَّةً أَوْ حَدَّا   سَرَرْتَنِي بِمَا فَعَلْتَ جِدَّا »
« إِنَّ بَقَاءَ إِيرَخْتَ فِي الْحَيَاةِ   قَدْ جَلَبَ الْغَمَّ إِلَى عُدَاتِي »
« بَلْ إِنَّهُ فَرَّحَ قَلْبِي أَبَدَا   فَلَنْ أُرَى مُكَدَّرًا طُولَ الْمَدَى »
« قُمْ فَأْتِنِي بِهَا سَرِيعًا فَعَبَرْ   أَتَى بِهَا أَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرْ »
فَأَقْبَلَتْ فِي زِيِّهَا الْجَمِيلِ   فَبُجِّلَتْ نِهَايَةَ التَّبْجِيلِ
وَنَصَّ مِنْ سَاعَتِهِ عَلَى ابْنِهَا   خَلِيفَةً لَهُ فَأَنْأَى حُزْنَهَا

قَالَتْ عَلاَ إِنعَامِكُمْ عَنْ شُكْرِي لِحُسْنِ مَا صَنَعْتُمُ فِي أَمْرِي
لَوْلاَ شَفِيعُ فَضْلِكُمْ وَالْكَرَمِ لَمْ تَحْرِقُوا قُلُوبَكُمْ بِالنَّدَمِ
وَكَانَ بِيلاَرُ لِمَا أَمَرْتُمُ مُنَفِّذًا فِي الْحَالِ إِذْ أَرَدْتُمُ
فَشَكَرَا كِلاَهُمَا بِيلاَرَا شُكْرًا عَظِيمًا فِي الْبِلاَدِ سَارَا
«قَالَ لَهُ بِيلاَرُ قَدْ عَوَّدْتَنِي عَلَى نَدَاكَ وَلِذَا أَطْمَعْتَنِي»
فَلِي إِلَيْكَ إِنْ أَمَرْتَ حَاجَهْ تَرْكُكَ عِنْدَ الْغَضَبِ اللَّجَاجَهْ
وَالرِّفْقُ فِي الْأَمْرِ وَتَرْكُكَ الْعَجَلَهْ فَإِنَّهَا خَلِيقَةٌ مُسْتَرْذَلَهْ
لَمْ يَعْجَلِ الْإِنْسَانُ إِلاَّ وَنَدِمْ وَقَلَّ مَنْ يَرْفُقُ إِلاَّ وَغَنِمْ
قَالَ لَهُ لَسْتُ لِشَيْءٍ فَاعِلاَ إِلاَّ إِذَا شَاوَرْتُ فِيهِ عَاقِلاَ
وَقَتَلَ الْأَعْدَاءَ قَتْلاً شَامِلاَ وَكَانَ فِي ذَاكَ الْفِعَالِ عَادِلاَ
فَفَرِحُوا وَقَرَّتِ الْعُيُونُ وَحَسُنَتْ فِي الْمَلِكِ الظُّنُونُ
«ثُمَّ أَتَوا كَبَارِيُونَ الْفَاضِلاَ الْلَّوْذَعِيَّ الْمُحْرِزَ الْفَضَائِلاَ»
«وَقَابَلُوا مَا كَانَ أَبْدَى بِالثَّنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيٍ بِالسَّدَادِ قُتِرْنَا»



بَابُ

ٱلسِّنَّوْرِ وَٱلْجُرَذِ

وَهُوَ بَابُ

ٱلْمُنْتَهِزِ فُرْصَتَهُ فِي مُعَاجَلَةِ عَدُوِّهِ وَٱلْآخِذِ بِٱلِٱحْتِرَاسِ مِنْهُ

قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا هَذَا مَثَلْ   مَنْ لَمْ يُشَاوِرْ نَاصِحًا فِي مَا فَعَلْ
وَتَرْكَ ٱلرِّفْقِ وَكَانَ مَثَلَا   لَنْ يَهْلِكَ ٱلْإِنْسَانُ حَتَّى يَعْجَلَا
فَٱضْرِبْ لَنَا فِي صَاحِبِ ٱلرِّفْقِ مَثَلْ   فَٱلرِّفْقُ أَمْنٌ لِلْفَتَى مِنَ ٱلزَّلَلْ
بِرَجُلٍ قَدْ كَانَ فِي بَلَاءِ   مِنْ كَثْرَةِ ٱلْحُسَّادِ وَٱلْأَعْدَاءِ
فَصَالَحَ ٱلْبَعْضَ لِحَرْبِ ٱلْبَعْضِ   وَهُوَ لِكُلٍّ مِنْهُمُ ذُو بُغْضِ
مُسْتَظْهِرًا بِصُلْحِهِمْ حَتَّى نَجَا   وَنَالَ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ رَجَا
ثُمَّ صَفَا وِدَادُهُ لِمَنْ صَفَا   مِنْهُمْ وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا مَنْ وَفَى
ثُمَّ أَبِنْ لِي ٱلصُّلْحَ كَيْفَ يُلْتَمَسْ   فَإِنَّ أَنْوَارَ ٱلْعُقُولِ تُقْتَبَسْ
قَالَ لَهُ لَا تَثْبُتُ ٱلْأَخْلَاقُ   لَكِنْ تَحُولُ وَٱلْهَوَى أَرْزَاقُ
فَيَرْجِعُ ٱلْبُغْضُ ٱلشَّدِيدُ حُبًّا   وَيُصْبِحُ ٱلْبُعْدُ ٱلْعَظِيمُ قُرْبَا

وَذَاكَ مِنْ تَحَوُّلِ الأَسْبَابِ ... مَا أَجْدَرَ القُلُوبَ بِانْقِلَابِ

وَإِنَّ ذَا الجَهْلِ إِذَا تَغَيَّرَا ... أَمْرٌ غَدَا فِي رَأْيِهِ مُحَيِّرَا

وَرَأْيُ ذِي اللُّبِّ يَدُورُ مَعَهْ ... كَأَنَّهُ يَطْلُبُ أَنْ يَتْبَعَهْ

إِنْ حَسُنَ الأَمْرُ لَهُ فَهْوَ حَسَنْ ... يَجُولُ كُلَّ سَاعَةٍ مِثْلَ الزَّمَنْ

«مُقَابِلًا عَدُوَّهُ بِالبَاسِ ... أَمَّا الصَّدِيقَ فَبِالاسْتِئْنَاسِ»

مُلْتَمِسًا مَا عِنْدَ أَوْلِيَائِهِ ... وَطَالِبًا يَطْمَعُ فِي أَعْدَائِهِ

فَقَارِبِ الأَعْدَاءَ وَاطْلُبْ وِدَّهُمْ ... مُسْتَخْرِجًا أَضْغَانَهُمْ وَحِقْدَهُمْ

إِذَا طَمِعْتَ فِي صَلَاحٍ مِنْهُمُ ... لَا تُظْهِرَنْ لَهُمْ صُدُودًا عَنْهُمُ

مَنْ مَارَسَ الأُمُورَ بِالحَزْمِ ظَفِرْ ... كَالفَارِ وَالسِّنَّوْرِ فِي مَا قَدْ ذُكِرْ

تَصَالَحَا فِي وَرْطَةٍ شَدِيدَهْ ... فَنَجَوَا بِالرَّأْيِ وَالمَكِيدَهْ

قَالَ وَكَيْفَ ذَكَرُوا قَالَ ذَكَرْ ... رَاوٍ عَلِيمٌ بِالحَدِيثِ وَالسِّيَرْ

أَنَّ مَكَانًا كَانَ فِيهِ شَجَرَهْ ... مِنْ شَجَرِ البَيْرُودِ ذَاتُ ثَمَرَهْ

فِي أَصْلِهَا جُحْرٌ كَشِدْقِ النُّونِ ... لِجُرَذٍ سُمِّيَ بِإِفْرِيدُونِ

وَجُحْرُ سِنَّوْرٍ يُسَمَّى رُومِي ... فَانْظُرْ إِلَى تَآلُفِ الخُصُومِ

وَرُبَّمَا يَقْصُدُهَا الصَّيَّادُ ... إِذْ لِلطُّيُورِ حَوْلَهَا مُرَادُ

«فَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ صَيَّادٌ نَصَبْ ... أَشْرَاكَهُ بِقُرْبِهَا بِلَا نَصَبْ»

فَوَقَعَ السِّنَّوْرُ فِي الْحِبَالَهْ   وَيَعْجِزُ الْإِنْسَانُ لَا مَحَالَهْ
فَدَبَّ افْرِيدُونُ يَسْعَى لِلطَّمَعْ   فَأَبْصَرَ السِّنَّوْرَ فِيهَا قَدْ وَقَعْ
فَهَمَّ بِالرُّجُوعِ عَنْهُ فَنَظَرْ   وَرَاءَهُ ابْنَ عِرْسٍ اقْتَصَّ الْأَثَرْ
وَفَوْقَهُ عَلَى الْغُصُونِ بُومَهْ   تَرْصُدُهُ فَقَالَ يَا مَشُومَهْ
هٰذِي ثَلَاثٌ لَيْسَ مِنْهَا مَخْلَصُ   لٰكِنَّنِي بِالْعَقْلِ عَنْهَا أَخْلُصُ
فَإِنْ دَهِشْتُ وَبَقِيتُ حَائِرَا   وَعَادَ قَلْبِي لِلْحِذَارِ طَائِرَا
هَلَكْتُ وَالْعَاقِلُ مَنْ لَا يَذْهَلُ   عَنْ رَأْيِهِ إِذَا عَرَاهُ مُعْضِلُ
فَالرَّأْيُ كَالْبَحْرِ الَّذِي لَا تُدْرَكُ   غَايَتُهُ وَلَيْسَ فِيهِ مَسْلَكُ
وَالرَّجُلُ الْعَاقِلُ مَنْ لَا يَبْطَرُ   لِنِعْمَةٍ خُصَّ بِهَا بَلْ يَشْكُرُ
وَالرَّأْيُ أَنْ أُصَالِحَ السِّنَّوْرَا   فَقَدْ بَلَغْتُ فِي اجْتِهَادِي الْغَوْرَا
وَإِنَّهُ بِنَفْسِهِ مَشْغُولُ   وَطَبْعُهُ عَنْ شَرِّهِ مَعْقُولُ
وَرُبَّمَا خَلَّصْتُهُ مِنْ وَرْطَتِهْ   بِالْكَيْدِ أَوْ أَنْعَشْتُهُ مِنْ سَقْطَتِهْ
ثُمَّ دَنَا فَقَالَ كَيْفَ حَالُكَا   قَالَ كَمَا يَنْعَمُ مِنْهُ بَالُكَا
فِي ضِيقَةٍ شَدِيدَةٍ وَضَنْكِ   شَمِمْتُ مِنْهَا رِيحَ كُلِّ هُلْكِ
قَالَ لَهُ قَدْ كَانَ مَا يَسُرُّكَا   يَسُوؤُنِي وَكُلُّ مَا يَضُرُّكَا
يَنْفَعُنِي وَذَاكَ قَبْلَ الْيَوْمِ   فَخَلِّ عَنْكَ غَيْبَتِي وَلَوْمِي

لِأَنَّنِي فِي مِحْنَةٍ عَظِيمَهْ ... وَوَرْطَةٍ مُقْعِدَةٍ مُقِيمَهْ
وَلَسْتُ أَرْجُو فَرَجاً لِنَفْسِي ... إِلَّا بِإِنْقَاذِكَ مِنْ ذَا الْحَبْسِ
لِذَاكَ أَصْفَيْتُكَ مَحْضَ وُدِّي ... وَزَالَ مَا أُضْمِرُهُ مِنْ حِقْدِ
إِنَّ ابْنَ عِرْسٍ جَاءَ يَبْغِي حَتْفِي ... وَالْبُومَةُ الشَّوْهَاءُ تَرْجُو خَطْفِي
هُمَا عَدُوِّي وَعَدُوٌّ لَكُمُ ... وَأَنْتَ يَا رُومِي بِذَاكَ أَعْلَمُ
لَكِنْ يَخَافَانِكَ كُلَّ خِيفَهْ ... قَدْ جَرَّبَا بَطْشَتَكَ الْعَنِيفَهْ
فَابْذُلْ لِيَ الْأَمَانَ حَتَّى أَدْنُو ... إِلَيْكَ إِنَّ الْقُرْبَ مِنْكَ أَمْنُ
ثُمَّ لَعَلِّي أَقْرِضُ الْحِبَالَا ... عَنْكَ فَتَمْضِي مُطْلَقاً مُخْتَالَا
فَثِقْ بِصِدْقِي فِي الَّذِي أَقُولُ ... فَالصِّدْقُ قَدْ تَعْرِفُهُ الْعُقُولُ
فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الرِّجَالِ ... أَبْعَدَ مِنْ خَيْرٍ وَحُسْنِ حَالِ
مِنْ رَجُلَيْنِ اتَّفَقَا وَاخْتَلَفَا ... وَالْأَمْرُ لَا يُعْرَفُ حَتَّى يُكْشَفَا
فَذَاكَ غَيْرُ وَاثِقٍ بِأَحَدِ ... وَذَاكَ جِدُّ وَاثِقٍ مُعْتَمِدِ
«إِنَّ الَّذِينَ اتَّفَقَتْ أَحْوَالُهُمْ ... وَاخْتَلَفَتْ بِطَبْعِهِمْ أَمْيَالُهُمْ»
«هُمْ جَدِيرُونَ بِأَنْ يَأْتَلِفُوا ... لِيُدْرِكُوا الْبُغْيَ وَإِلَّا تَلِفُوا»
فَاعْجَلْ بِمَا قُلْتَ وَلَا تُؤَخِّرِ ... فَإِنَّمَا التَّأْخِيرُ فِعْلُ الْمُدْبِرِ
لَقَدْ رَضِيتُ أَنْ تَعِيشَ سَالِمَا ... فَارْضَ بِأَنْ أَبْقَى وَكُنْ مُسَالِمَا

فَرُبَّمَا نَجَا ٱلْفَتَى بِٱلصَّاحِبِ كَٱلسُّفُنِ فِي ٱلْبَحْرِ نَجَتْ بِٱلرَّاكِبِ
فَسَرَّهُ مَقَالُهُ وَأَبْهَجَهْ وَخَفَّ عَنْهُ بَعْضُ مَا قَدْ أَزْعَجَهْ
وَقَالَ قَدْ قُلْتَ شَبِيهَ ٱلصِّدْقِ وَقُلْتَ أَمْرًا ظَاهِرًا كَٱلْحَقِّ
وَوَافَقَتْ ذَلِكَ مِنِّي رَغْبَهْ لَعَلَّنَا نَخْلُصُ مِنْ ذِي ٱلْكُرْبَهْ
وَأَنْتَ مِنِّي أَبَدًا مَشْكُورُ وَٱلْأَمْرُ قَدْ يَتْبَعُهُ أُمُورُ
قَالَ فَأَظْهِرْ لَهُمَا مَوَدَّتِي لِيَأْيَسَا مِنِّي بِحُسْنِ خِلَّتِي
فَاعْتَنَقَا وَٱلْتَزَمَا وَٱتَّفَقَا فَيَئِسَا كَمَا رَجَا وَٱنْطَلَقَا (١)
وَلَمْ يَزَلْ يَقْرِضُ ذَاكَ ٱلْحَبْلَا مِنْ غَيْرِ جِدٍّ فَجَزَاهُ عَذْلَا
وَقَالَ لَمَّا نِلْتَ مِنِّي بُغْيَتَكْ قَصَّرْتَ أَوْ غَيَّرْتَ فِي نِيَّتِكْ
فَجَازِنِي بِعَاجِلِ ٱلْإِحْسَانِ وَلَا تُجَازِ ٱلْبِرَّ بِٱلْكُفْرَانِ
لَا تَذْكُرَنْ عَدَاوَةَ ٱلْآبَاءْ إِنَّ ٱلْحُقُودَ لَيْسَ ذَا وَفَاءْ
بِخَلَّةٍ وَاحِدَةٍ كَرِيمَهْ تُنْسَى خِلَالٌ سَلَفَتْ قَدِيمَهْ
عُقُوبَةُ ٱلْغَدْرِ فَخَفْهَا حَاضِرَهْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَٱلْيَمِينُ ٱلْفَاجِرَهْ
«مَنْ سُئِلَ ٱلْعَفْوَ وَلَمْ يَعْفُ غَدَرْ هَذَا إِذَا كَانَ عَلَى ٱلْعَفْوِ قَدَرْ»

---

(١) كان الأصل احتلفا عوض اتفقا وكانه اراد بها تحالفا واذ لم اجد لها هذا المعنى حذفتها

قَالَ لَهُ مَقَالَ ذِي بَيَانِ ... إِنَّ ٱلصَّدِيقَ فَاعْرِفَنْهُ ٱثْنَانِ
وَالَى ٱلرِّجَالَ مُكْرَهاً وَطَائِعَا ... كِلَاهُمَا يَلْتَمِسُ ٱلْمَنَافِعَا
لَكِنَّمَا ٱلطَّائِعُ فِي ٱلْإِخَاءِ ... مُسْتَرْسَلٌ إِلَيْهِ فِي ٱلرَّخَاءِ
وَٱلْمُكْرَهُ ٱلْمُضْطَرُّ لَا يَسْتَرْسِلُ ... فِي كُلِّ حَالٍ بَلْ بِقَدْرٍ يَعْمَلُ
«وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ مَنْ لَا يُطْمِعُ ... عَدُوَّهُ لَكِنْ بِحَزْمٍ يَصْنَعُ»
يَجْعَلُهُ مُسْتَرْهِناً بِحَاجَتِهْ ... مَا بَقِيَتْ لِلْخَوْفِ مِنْ لَجَاجَتِهْ
وَإِنَّنِي مُسْتَظْهِرٌ لِنَفْسِي ... وَمُطْلِقٌ عَنْكَ وِثَاقَ ٱلْحَبْسِ
لَكِنَّنِي بِعُقْدَةٍ أَرْتَهِنُكْ ... لِأَنَّنِي بِٱلطَّبْعِ لَا آمَنُكْ
أَقْطَعُهَا عَنْكَ إِذَا لَمْ تَقْدِرِ ... عَلَيَّ مِنْ خَوْفِ عَدُوٍّ مُنْكَرِ
إِنَّ ٱلرَّكِيكَ ٱلرَّأْيِ مَنْ يَغْتَرُّ ... بِمَا أَتَى عَدُوُّهُ ٱلْمُضْطَرُّ
لَيْسَ عَفَافُ ٱلْأَسَدِ ٱلْمَغْلُولِ ... بِجَائِزٍ عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ
وَفَاجَأَتْهُمْ طَلْعَةُ ٱلصَّيَّادِ ... فَقَالَ هَذِي سَاعَةُ ٱجْتِهَادِ
فَمَا دَنَا ٱلصَّيَّادُ مِنْهُ حَتَّى ... بَتَّ ٱلْحِبَالَ كُلَّهُنَّ بَتَّا
وَصَعِدَ ٱلسِّنَّوْرُ فَوْقَ ٱلشَّجَرَهْ ... وَدَخَلَ ٱلْآخَرُ بَعْضَ ٱلْجُحْرَهْ
وَذَهَبَ ٱلصَّيَّادُ وَهْوَ خَائِبُ ... فَجَاءَ إِفْرِيذُونُ وَهْوَ هَائِبُ
فَأَبْصَرَ ٱلسِّنَّوْرَ وَهْوَ وَاقِفُ ... فَكَرَّ نَحْوَ ٱلْجُحْرِ وَهْوَ خَائِفُ

قَالَ لَهُ ٱلسِّنَّوْرُ يَا ذَا ٱلْمِنَنِ   كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ صَنِيعٍ حَسَنِ
هَلُمَّ صَافِحْنِي فَأَجْزِيكَ بِمَا   فَعَلْتَهُ كَذَاكَ أَجْزِي ٱلْمُنْعِمَا
«هَلُمَّ لَا تَقْطَعْ إِخَائِي وَٱلْوِدَادْ   أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَصْحَابِ ٱلرَّشَادْ»
إِنَّ ٱلَّذِي يُضَيِّعُ ٱلصَّدِيقَا   يَكُونُ فِي شَرْعِ ٱلْوَلَا حَقِيقَا
بِفَقْدِهِ مَنَافِعَ ٱلْإِخَاءِ   فِي حَالَةِ ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ
أَخْذُ ٱلصَّدِيقِ مِثْلُ غَرْسِ ٱلشَّجَرَهْ   وَحِفْظُهُ مِثْلُ ٱجْتِنَاءِ ٱلثَّمَرَهْ
وَلَمْ يَزَلْ يَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ   أَخْلَصَ فِي مَا قَالَهُ عَنْ مُعْتَقَدْ
فَقَالَ إِفْرِيذُونُ قَوْلَ شَاطِرِ   طَبٍّ بِأَدْوَاءِ ٱلْأُمُورِ قَاهِرِ
دَاءٌ دَوِيٌّ مَا لَهُ دَوَاءُ   عَدَاوَةٌ ظَاهِرُهَا إِخَاءُ
عَدَاوَةُ ٱلظَّاهِرِ خَيْرٌ عِنْدِي   مِنْ إِحْنَةِ ٱلْبَاطِنِ فَاعْرِفْ حَدِّي
مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَرِّهَا مُحْتَرِسَا   تُبْصِرُهُ بِنَابِهَا مُفْتَرَسَا
كَأَنَّهُ رَاكِبُ نَابِ ٱلْفِيلِ   يَغْلِبُهُ ٱلنُّعَاسُ فِي ٱلتَّمْثِيلِ
«يُفِيقُ تَحْتَ فِرْسِنِ ٱلْفِيلِ فَلَا   يُحَرِّكُ إِلَّا دَاسَهُ فَقُتِلَا»
إِنَّ ٱلصَّدِيقَ مَنْ رَجَوْتَ بِرَّهْ   كَمَا ٱلْعَدُوُّ مَنْ خَشِيتَ شَرَّهْ
وَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَامِلُ مَنْ تَوَدَّدَا   إِلَى ٱلْعَدُوِّ إِنْ رَآهُ مُسْعِدَا
وَإِنْ رَأَى مِنَ ٱلصَّدِيقِ ضَرَرَا   أَبْدَى لَهُ عَدَاوَةً وَأَظْهَرَا

إِنَّ سِخَالَ ٱلْوَحْشِ وَٱلْبَهَائِمِ   يَتْبَعْنَهُنَّ لِلرَّضَاعِ ٱلدَّائِمِ
حَتَّى إِذَا قَطَعْنَهُ ٱنْصَرَفْنَهْ   كَأَنَّهُنَّ قَطُّ مَا عَرَفْنَهْ
أَمَا تَرَى تَغَيُّرَ ٱلسَّحَابِ   بِٱلْقَطْرِ وَٱلْإِمْسَاكِ وَٱلذَّهَابِ
كَذَاكَ ذُو ٱلثَّبَاتِ وَٱلتَّمَكُّنِ   يُشْبِهُ فِعْلَ ٱلدَّهْرِ فِي ٱلتَّلَوُّنِ
فَتَارَةً تُبْصِرُهُ رَشِيدَا   وَتَارَةً تُبْصِرُهُ بَلِيدَا
وَتَارَةً مُنْبَسِطًا وَتَارَهْ   مُنْقَبِضًا كَأَنَّهُ ٱلْحِجَارَهْ
وَرُبَّمَا يَقْطَعُ عَنْهُ بِرَّهْ   وَخَيْرَهُ وَلَا يَخَافُ شَرَّهْ
لِأَنَّهُ لَيْسَ بِذِي عَدَاوَهْ   أَصْلًا وَلَا فِي قَلْبِهِ قَسَاوَهْ
أَمَّا إِذَا كَانَ عَدُوًّا طَبْعَا   وَصَارَ خِلًّا حِينَ رَامَ نَفْعَا
يَرْجِعُ إِنْ زَالَ ٱلَّذِي ٱحْتَالَ لَهُ   إِلَى ٱلَّذِي عَنْ طَبْعِهِ حَوَّلَهُ
كَٱلْمَاءِ إِنْ أَسْخَنْتَهُ بِٱلنَّارِ   يَعُودُ لِلطَّبْعِ بِلَا تَمَارِي
وَأَنْتَ يَا رُومِي عَدُوِّي طَبْعَا   وَأَبْغَضُ ٱلْخَلْقِ إِلَيَّ جَمْعَا
وَأَلْجَأَتْنِي فَاقَةٌ وَشِدَّهْ   إِلَيْكَ لَا إِنِّي أَرَاكَ عُدَّهْ
وَنَالَ كُلٌّ فَرَحًا بِصَاحِبِهْ   وَٱحْتَالَ لِلرَّاحَةِ مِنْ مُغَالِبِهْ
وَٱلْآنَ قَدْ زَالَ ٱلَّذِي أَحْوَجَنِي   إِلَيْكَ وَٱلْخَطْبُ ٱلَّذِي أَخْرَجَنِي
وَزَالَ أَيْضًا عَنْكَ مِثْلُ ذَلِكَا   وَكُلُّنَا كَانَ أَسِيرًا هَالِكَا

وَرُبَّمَا عُدْتَ إِلَى الطَّبِيعَهْ فَمَا أَنَا مَنْ يَسْمَعُ الْخَدِيعَهْ
فَالْعَاجِزُ الضَّعِيفُ إِنْ تَقَرَّبَا مِنْ خَصْمِهِ الْقَوِيِّ لَاقَى عَطَبَا
كَذَلِكَ الذَّلِيلُ وَالْعَزِيزْ فَاسْمَعْ مَقَالِي إِنَّهُ وَجِيزْ
وَبَعْضُنَا عَنْ بَعْضِنَا غَنِيُّ وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ غَبِيُّ
لَا هَمَّ إِلَّا أَنْ تُرِيدَ أَكْلِي «وَلَيْسَ فِي قُرْبِكَ نَفْعٌ مِثْلِي»(١)
وَإِنَّمَا تُسْتَحْسَنُ الْمُصَانَعَهْ فِي حَالَةِ الْحَاجَةِ لَا الْمُخَادَعَهْ
لَيْسَ إِذَا مَا احْتَرَسَ الضَّعِيفُ مِنَ الْقَوِيِّ حُكْمُهُ يَحِيفُ
فَلَا يُقَالُ الْعَاثِرُ الْمُسْتَرْسِلُ وَلَا يَنَالُ الطَّالِبُ الْمُسْتَعْجِلُ
«وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ يَفِي لِمَنْ صَالَحَ مِنْ أَعْدَائِهِ وَمَا اضْطَغَنْ»
«وَيُجْهِدُ النَّفْسَ لِكَيْ يَبْتَعِدَا عَنْهُ فَيَلْقَى الْعَيْشَ دَوْمًا رَغَدَا»
«ثُمَّتَ لَا يَأْمَنُهُ إِذَا اقْتَرَبْ مِنْهُ وَإِلَّا فَلْيُعِدَّ لِلْكُرَبْ»
كُلُّ امْرِئٍ لِنَفْسِهِ يَسْتَوْثِقُ وَبُعْدُهُ عَنِ الْعَدُوِّ أَوْفَقُ
«وَإِنَّنِي أَبْغِي لَكَ الْبَقَاءْ وَرَغَدَ الْعِيشَةِ وَالرَّخَاءْ»
«بِشَرْطِ أَنْ أَبْقَى بَعِيدًا عَنْكَا فَلَسْتُ أَرْتَاحُ بِقُرْبِي مِنْكَا»
«وَإِنْ تَكُنْ تَرُومُ أَنْ تَجْزِيَنِي عَلَى الَّذِي فَعَلْتَهُ مِنْ حَسَنِ»

(١) كان الاصل : هيهات هذا ما وجدت عقلي

«فَمَا عَلَيْكَ غَيْرُ أَنْ تَدْعُو لِي   فَذَاكَ وَأَيْمُ ٱللهِ خَيْرُ عَمَلِ»
«وَلَيْسَ يُجْدِي ٱلشَّرْحُ وَٱلتَّطْوِيلُ   فَمَا إِلَى ٱجْتِمَاعِنَا سَبِيلُ»

بَابُ

ٱلطَّائِرِ قُبَّرَةَ وَٱلْمَلِكِ

وَهُوَ بَابُ

ذَوِي ٱلتِّرَاتِ وَٱتِّقَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا

قَالَ لَهُ عَرَفْتُ هٰذَا كُلَّهُ   وَأَنْتَ خَبْرٌ قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ
فَٱذْكُرْ لَنَا حَالَ ذَوِي ٱلْأَحْقَادِ   وَٱلْقَصْدِ فِي ٱلصَّلَاحِ وَٱلْفَسَادِ
قَالَ نَعَمْ كَانَ لِبَرْهَمُوذِ   ٱلْمَلِكِ ٱلْمُعَظَّمِ ٱلْمَحْسُوذِ
طَيْرٌ يُرَبِّيهِ يُسَمَّى قُبَّرَهْ   كَدُمْيَةٍ فِي حَائِطٍ مُصَوَّرَهْ
وَكَانَ ذَا نُطْقٍ وَكَيْسٍ وَأَدَبْ   لَهُ فُرَيْخٌ مَا بِحِضْنَيْهِ زَغَبْ
فَقَالَ كُونَا فِي مَكَانٍ وَاحِدِ   عِنْدَ ٱلَّتِي أَهْوَى مِنَ ٱلْخَرَائِدِ
عِنْدَ أَحَبِّ نِسْوَتِي إِلَيَّا   لِكَيْ تَكُونَا أَبَدًا لَدَيَّا
وَقَالَ لَا تُقَصِّرِي فِي أَمْرِهِ   وَبَالِغِي فِي حِفْظِهِ وَبِرِّهِ

وَوَلَدَتْ عَامَئِذٍ غُلَامَا حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ ٱلْفِطَامَا
أَعْجَبَهُ ٱلْفَرْخُ فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ وَذُو ٱلْخُلْقِ ٱلْمَلِيحِ يُعْجِبُ
وَكَانَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ قُبَّرَهْ مِنْ جَبَلٍ يَعْرِفُهُ بِثَمَرَهْ
مَجْهُولَةٍ يُطْعِمُهَا ٱلْغُلَامَا وَٱلْفَرْخَ كَانَ هٰكَذَا أَعْوَامَا
فَتَبَّتَا وَقَوِيَا وَشَبَّا فَزَادَهُ ذَاكَ لَدَيْهِ حُبَّا
فَغَابَ يَوْمًا لِٱبْتِغَاءِ ٱلْكَسْبِ وَفَرْخُهُ مُشْتَغِلٌ بِٱللَّعِبِ
فَطَارَ فِي حِجْرِ ٱلْغُلَامِ وَوَثَبْ فَٱلْتَهَبَتْ فِي قَلْبِهِ نَارُ ٱلْغَضَبْ
وَقَتَلَ ٱلْفَرْخَ فَلَمَّا جَاءَ قُبَّرَةٌ لَمْ يَمْلِكِ ٱلْعَزَاءَ
وَقَالَ قُبْحًا لِلْمُلُوكِ قُبْحَا لَا يَعْرِفُونَ خِدْمَةً وَنُصْحَا
وَلَا لَهُمْ عَهْدٌ وَلَا وَفَاءُ فَحُبُّهُمْ وَبُغْضُهُمْ سَوَاءُ
وَوَيْلُ مَنْ خَالَطَهُمْ وَخَدَمَا فَإِنَّهُمْ لَا يَرْقُبُونَ ٱلْخَدَمَا
لَا يُكْرِمُونَ صَاحِبًا إِلَّا إِذَا مَا ٱفْتَقَرُوا إِلَيْهِ أَوْ خَافُوا ٱلْأَذَى
حَتَّى إِذَا مَا بَلَغُوا ٱلْمُرَادَا مِنْهُ أَعَادُوا قُرْبَهُ بِعَادَا
لَا سَعْيُ مَنْ يَخْدُمُهُمْ مَشْكُورُ وَلَا يَسِيرُ جُرْمِهِ مَغْفُورُ
لَا يَقْصِدُونَ ٱلْبِرَّ وَٱلْوَفَاءَ بَلْ يَعْمِدُونَ ٱلصِّيتَ وَٱلرِّيَاءَ
يُوَاقِعُونَ أَكْبَرَ ٱلْجَرَائِمِ وَيَكْسِبُونَ أَعْظَمَ ٱلْمَآثِمِ

لآخُذَنَّ مِنَ الخَؤونِ الغادرِ ... وِتري فلستُ بالحليمِ الصابرِ
أبعدَ ما كانَ منَ المخالطهْ ... بينهما وشدةِ المباسطهْ
« يقتلُهُ هذا الغلامُ الكُنْدُ ... واللهِ لا رحمتُهُ من بعدُ »
ثمَّ عدا من وقتهِ عليهِ ... وابتزَّ عينيهِ بمخلبيهِ
وطارَ من ساعتهِ حتى وقعْ ... على مكانٍ مشرفٍ فيهِ امتنعْ
وسمعَ السلطانُ ذاكَ فجزعْ ... وهالَهُ الحالُ الذي عنهُ سمعْ
ثمَّ أرادَ قتلَهُ بالحيلهْ ... والشَّهمُ لا يقتلُ إلا غيلهْ
فجاءهُ قصداً إليهِ ووقفْ ... بموضعٍ يقرُبُ منهُ وهتفْ
إنكَ في أمنٍ فقالَ قبَّرهْ ... مقالةً أوضحَ فيها المعذرهْ
للغدرِ فاحذرْ غبَّهُ جزاءْ ... ليسَ بهِ على امرئٍ خفاءْ
إن لمْ يكنْ معجَّلاً في العاجلهْ ... فإنهُ مؤجَّلٌ للآجلهْ
وربَّما دبَّ إلى الأعقابِ ... فعوقبوا بمؤلمِ العقابِ
وابنُكَ ممنْ عجَّلَ اللهُ لهُ ... جزاءَهُ عدلاً وما أمهلَهُ
قالَ لهُ هذا بذاكَ فاعلمِ ... أنكَ في ما جئتَهُ لمْ تظلمِ
ونحنُ في الودِّ على ما كنّا ... فلا تسيئنَّ بالصديقِ الظنّا (1)

(1) كان الاصل : فلا تسيء بالصديق ظنا

وَعُدْ إِلَيْنَا آمِناً فَقَالَا   لَا تَطْلُبَنَّ مِنِّيَ الْمُحَالَا
قَدْ قَالَ مَنْ أَحْسَنَ فِي التَّدْبِيرِ   لَا يَقْرَبِ الْوَاتِرُ مِنْ مَوْتُورِ
وَقَالَ لَا تَزْدَدْ بِحُسْنِ بِشْرِهِ   إِلَّا نِفَاراً وَاحْتَرِسْ مِنْ مَكْرِهِ
وَكُنْ مِنَ الْحَقُودِ ذَا اسْتِيحَاشِ   وَقَابِلِ الرِّقَّةَ بِانْكِمَاشِ
إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِالْعُهُودِ   فَإِنَّهَا مَيْنٌ مِنَ الْحَقُودِ
وَالْعَاقِلُ الْمُوَفَّقُ الْوَحِيدُ   لَيْسَ لَهُ أَهْلٌ وَلَا وَلِيدُ
يُبَاعِدُ الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ   وَيَهْجُرُ الْإِخْوَانَ وَالنِّسَاءَ
وَهَا أَنَا ذَاكَ الْوَحِيدُ الْفَرْدُ   هَذَا الْوَدَاعُ لَا لِقَاءَ بَعْدُ
فَقَدْ تَزَوَّدْتُ مِنَ السُّجُونِ   لَدَيْكُمْ مَا بَعْضُهُ يَكْفِينِي
قَالَ لَهُ لَوْ لَمْ نَكُنْ أَسَانَا   وَلَمْ يَكُنْ فِعَالُنَا عُدْوَانَا
وَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ اقْتَصَصْتَ مِنَّا   كُنْتَ مُصِيباً فِي النُّفُورِ عَنَّا
وَالْآنَ أَنْتَ عِنْدَنَا بَرِيٌّ   مُنَزَّهٌ مُهَذَّبٌ سَرِيٌّ
فَارْجِعْ إِلَى الْوُدِّ وَكُنْ عَلَى ثِقَهْ   قَالَ لَهُ عَدِمْتُ هَذِي الشَّفَقَهْ
لِلْحِقْدِ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ مَوْضِعُ   وَالشَّكْلُ لَا شَكَّ شَدِيدٌ مُوجِعُ
وَرُبَّمَا لَا يَصْدُقُ اللِّسَانُ   عَنِ الْفُؤَادِ وَهْوَ تُرْجُمَانُ
قَلْبِي عَلَى قَلْبِكَ نِعْمَ الشَّاهِدُ   وَقَدْ حَكَى أَنَّكَ خَصْمٌ وَاجِدُ

قال له العاقل من أماتا حقوده فردها رفاتا
والجاهل الغمر يربي الحقدا والحر ينسى المحفظات عمدا
قال كذاك ولكن العاقلا لا يحسب الثأر يمر باطلا
بل يحذر الموتور كل الحذر فالموت بطش الحنق المنتصر
وحيلة الموتور تخشى أبدا إذ لا يزال طالبا مجتهدا
رب عدو لا يطاق جهرا ولا ينال فيكاد سرا
فليس غير الكيد والمساتره حربا إذا لم تمكن المجاهره
كما يصاد الفيل في المتالف النافر الطبع بفيل آلف
قال له لا يقطع الكريم إخوانه وهو لهم حميم
ولا يضيع الود والحفاظا وإن تلظى غضبا واغتاظا
فالكلب قد يرى من الأصحاب ذا نهمة يفتك بالكلاب
ولا يريم عنه وهو خائف لما غدا وهو له مؤالف
قال له قبرة الأحقاد مخوفة ليس لها نفاد
لا سيما حقد الملوك الصيد لفتكة جاءت من العبيد
لأن من دينهم الإساءه والانتقام من ذوي البراءه
فكيف ممن ليس بالبري وليس بالمنتصر القوي

إِنَّ ٱلْمُلُوكَ يَحْسِبُونَ فَخْرَا نَيْلَ ٱلْحُقُودِ وَٱلتِّرَاتِ جَهْرَا
لَا تُخْدَعَنَّ بِسُكُونِ ٱلْحِقْدِ فَإِنَّهُ كَٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقْدِ
يَطْلُبُ أَدْنَى سَبَبٍ مِنَ ٱلسَّبَبْ لِيَلْتَظِي كَطَلَبِ ٱلنَّارِ ٱلْحَطَبْ
فَإِنْ رَأَى أَصْغَرَ مَا يُسْلِي ٱلتَّهَبْ وَلَيْسَ فِي ٱلتَّهَابِهِ إِلَّا ٱلْعَطَبْ
لَا مَالَ يُصْفِيهِ وَلَا كَلَامُ وَلَا خُضُوعُ ٱلْقَوْلِ وَٱلْإِكْرَامُ
وَرُبَّمَا عَادَ إِلَيْهِ وَاتِرُهْ وَهْوَ بِلُطْفِ كَيْدِهِ مُسَاتِرُهْ
لَعَلَّهُ يَنْفَعُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ عَظِيمًا فَادِحًا وَيَقْطَعُ
وَلَيْسَ عِنْدِي قَدْ عَلِمْتَ نَفْعُ وَلَيْسَ فِي كَفِّيَ عَنْكَ دَفْعُ
ضَعُفْتُ عَنْ تَغْيِيرِ مَا فِي صَدْرِكَا فَلَسْتُ بِٱلْآمِنِ سُوءَ مَكْرِكَا
«وَإِنْ تَكُنْ فِي مَا تَقُولُ صَادِقَا وَمُخْلِصًا فِي ٱلْوُدِّ لَا مُمَاذِقَا»
«فَلَنْ أَزَالَ خَائِفًا مَرْعُوبَا بَيْنَكُمُ أَرَى ٱلصَّفَا كُرُوبَا»
«فَلَيْسَ لِي غَيْرُ ٱلرَّحِيلِ رَايَا أَنْجُو بِهِ مِنْ سَائِرِ ٱلْبَلَايَا»
قَالَ لَهُ كُلُّ ٱلْأُمُورِ بِقَدَرْ مَا ٱلنَّفْعُ وَٱلضَّرُّ بِأَفْعَالِ ٱلْبَشَرْ
أَللّٰهُ جَلَّ مُوجِدُ ٱلْعِبَادِ لَا غَيْرُ ذُو ٱلْإِعْدَامِ وَٱلْإِيجَادِ
فَأَنْتَ وَٱبْنِي نَازِحَانِ مِمَّا جَرَى فَلَا تَمُتْ عَلَيْهِ غَمَّا
فَإِنْ أَسَاءَ وَلَدِي فِي مَا فَعَلْ فَإِنَّهُ لَا مَوْتَ إِلَّا بِأَجَلْ

قَالَ لَهُ لَا تَتْرُكِ الْحِذَارَا   سَفَاهَةً لِتَلْزَمَ الْأَقْدَارَا

بَلِ اجْمَعِ الْأَمْرَيْنِ جَمْعَ عَالِمِ   مُصَدِّقٍ بِكُلِّ ذَاكَ حَازِمِ

«هَلِ الْمَرِيضُ مُخْطِئٌ إِذَا طَلَبْ   مُدَاوِيًا يُرِيحُهُ مِنَ الْوَصَبْ»

«وَهَلْ يُلَامُ الْمُبْتَلَى إِذَا نَظَرْ   فِيمَا يُزِيلُ عَنْهُ أَسْبَابَ الْكَدَرْ»

وَإِنَّنِي أَعْلَمُ أَنَّ قَلْبَكَا   يُضْمِرُ لِي بُغْضًا لِضَعْفِ لُبِّكَا

وَإِنَّ مَا تُبْدِي مِنَ التَّمَلُّقِ   خِلَافُ مَا تُخْفِي مِنَ التَّحَرُّقِ

تُرِيدُ أَنْ تَخْدَعَنِي عَنْ نَفْسِي   عَسَاكَ أَنْ تَقْتُلَنِي بِأُنْسِ

وَالنَّفْسُ حَقًّا تَكْرَهُ الْمَنَايَا   فَتِلْكَ رَأْسُ الشَّرِّ وَالْبَلَايَا

قِيلَ الْبَلَاءُ الصِّرْفُ حُزْنٌ وَسَقَمْ   وَفُرْقَةٌ وَفَاقَةٌ ثُمَّ هَرَمْ

وَالْمَوْتُ حَقًّا رَأْسُ هٰذِي كُلِّهَا   فَكَيْفَ تَسْخُو مُهْجَتِي بِقَتْلِهَا

وَلَيْسَ يَدْرِي قَدْرَ وَجْدِ الْوَاجِدِ   إِلَّا الَّذِي ضَاهَاهُ فِي الشَّدَائِدِ

وَإِنَّنِي أَعْلَمُ مَا تُجِنُّ   لِأَنَّنِي أَضْعَافَهُ أُكِنُّ

قَالَ لَهُ لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَمْ يَكُنْ   مُهَوِّنًا فَهَوِّنِ الْخَطْبَ يَهُنْ

قَالَ إِذَا مَا أَسْرَعَ الْحَافِي الْوَجِي   وَرِجْلُهُ مَقْرُوحَةٌ لَمْ تَدْمَجِ

بَلْ زَادَهَا قَرْحًا كَذَاكَ الْأَرْمَدُ   لِلرِّيحِ وَاسْتِقْبَالِهَا يَعْتَمِدُ

يَضُرُّ عَيْنَيْهِ كَذَاكَ مَنْ دَنَا   مِنْ خَصْمِهِ الْمَوْتُورِ هَاجَ الْحَزَنَا

مَنْ لَمْ يُقَدِّرْ مُونَهُ وَقُوتَهُ ... لَاقَى الْبَلَاءَ مُفْسِدًا مُرُوَّتَهُ
وَإِنَّ مَنْ غُرَّ بِقَوْلٍ فَقَبِلْ ... فِي حَتْفِهِ مِثْلَ أَعَادِيهِ عَمِلْ
لَيْسَ عَلَى الْمَرْءِ اهْتِمَامٌ بِالْقَدَرْ ... وَلَا لَهُ فِيهِ وَإِنْ جَدَّ نَظَرْ
لَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَازِمَا ... وَالْأَخْذُ بِالْأَحْوَطِ يَكْفِي اللَّائِمَا
وَالْعَاقِلُ الْفَاضِلُ لَا يُخِيفُ ... وَلَا عَلَى مُعَامِلٍ يَحِيفُ
فَقَدْ كَفَى أَصْحَابَهُ الْمَخَاوِفَا ... كَذَاكَ أَيْضًا لَا يُقِيمُ خَائِفَا
لَكِنْ يَفِرُّ إِنْ رَأَى سَبِيلَا ... وَلَا يُقِيمُ خَائِفًا ذَلِيلَا
وَلِي كَمَا تَعْرِفُ فِي الْأَرْضِ سُبُلْ ... وَلَيْسَ يُعْيِينِي مِنَ النَّبْتِ الْأُكُلْ
خَمْسُ خِلَالٍ مَنْ تَحَلَّاهُنَّهْ ... كُنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جُنَّهْ
كَفُّ الْأَذَى الْبَادِي وَحُسْنُ الْأَدَبِ ... وَالْخُلُقُ الْعَالِي وَتَرْكُ الرِّيَبِ
وَالنُّبْلُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ... أَنْفَعُ مِنْ رِجَالِهِ وَالْمَالِ
هُنَّ يُقَرِّبْنَ الْبَعِيدَ النَّازِحَا ... وَهُنَّ يُؤْنِسْنَ الْفَرِيدَ الطَّائِحَا
خَوْفُ الْفَتَى مِنَ الرَّدَى يُنْسِيهِ ... أَوْلَادَهُ وَعَنْهُمُ يُلْهِيهِ
إِذْ كَانَ يَرْجُو خَلَفًا مِمَّا تَرَكْ ... وَلَيْسَ يَرْجُو عِوَضًا إِذَا هَلَكْ
وَإِنَّ شَرَّ الْمَالِ مَا لَا يُنْفَقُ ... وَأَلْعَنُ الْأَزْوَاجِ مَنْ لَا يَصْدُقُ
وَشَرُّ أَوْلَادِ الرِّجَالِ الْعَاقْ ... وَشَرُّ إِخْوَانِ الْفَتَى الْمَذَّاقْ

شَرُّ ٱلْمُلُوكِ مَنْ يَخَافُهُ ٱلْوَرَى ... شَرُّ ٱلْبِلَادِ حَيْثُ لَا أَمْنَ يُرَى
وَلَسْتُ بِٱلْآمِنِ فِي جِوَارِكَا ... قَطُّ وَلَا أَسْكُنُ فِي جِدَارِكَا
وَطَارَ مِنْ مَكَانِهِ وَغَابَا ... مِنْ بَعْدِ مَا قَالَ لَهُ ٱلصَّوَابَا

باب

ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ

وَهُوَ

بَابُ ٱلْمُلُوكِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَوِي قَرَابَتِهِمْ

وَفِي مُرَاجَعَةِ مَنْ يُرَاجِعُونَ

قَالَ لَهُ إِضْرِبْ لَنَا أَمْثَالَا ... نَعْرِفُ مِنْ جُمْلَتِهَا ٱلْأَحْوَالَا
فِي مَلِكٍ يَسْطُو عَلَى أَحْبَابِهِ ... وَأَهْلِهِ بِٱلْنُّكْرِ مِنْ عَذَابِهِ (١)
« ظُلْمًا بِلَا جَرِيرَةٍ وَإِثْمِ ... حَقَّقَهُ عَلَيْهِمِ وَجُرْمِ »
« حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَ ٱلْأَمْرُ وَلَمْ ... يَقُمْ لَدَيْهِ شَاهِدٌ فِي ذِي ٱلتُّهَمْ »

(١) كان بعد هذا البيت :

او صافح لهم عن الجرائم ... وحلمه عن المسيء الظا،

« رَاجَعَهُمْ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِمِ مُسْتَغْفِرًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِمِ »
« قَالَ لَهُ فَرْضٌ عَلَى الْهُمَامِ أَنْ يَنْظُرَ الْكُلَّ بِالِاهْتِمَامِ »
إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَجْزِ ذَا الْإِسَاءَهْ بِجُرْمِهِ وَيَعْرِفِ الْبَرَاءَهْ
أَضَرَّ بِالْأُمُورِ وَالْأَعْمَالِ وَحَالَتِ الْأَحْوَالُ بِالْإِهْمَالِ
حَقٌّ عَلَيْهِ أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَا مُقَلِّبًا أَصْحَابَهُ مُفَكِّرَا
يَعْرِفُ أَحْوَالَهُمُ مُنْتَقِدَا مِنَ الرِّجَالِ مُصْلِحًا وَمُفْسِدَا
حَتَّى يَكُونَ فِعْلُهُ وَبِرُّهُ جَمِيعَهُمْ وَخَيْرُهُ وَشَرُّهُ
بِحَسَبِ الْغَنَاءِ وَالْكِفَايَهْ لَا بِالْهَوَى الْمُعْمِي وَلَا الْعِنَايَهْ
فَمَنْ رَآهُ كَافِيًا شَفِيقَا كَانَ بِحُسْنِ بِرِّهِ خَلِيقَا
فَالْمُلْكُ بِالْأَعْوَانِ وَالْوَزِيرِ وَالْعَوْنُ لَا يَنْصَحُ بِالتَّدْبِيرِ
إِلَّا بِوُدٍّ خَالِصٍ وَجِدِّ وَالنُّصْحُ لَا يُغْنِي بِغَيْرِ رُشْدِ
إِصَالَةُ الرَّأْيِ وَدِينٌ وَصَلَفْ أَصْلٌ وَحِفْظُ الْعَبْدِ دِينَ ذِي الشَّرَفْ
وَهُوَ كَبِيرٌ وَالْأُمُورُ أَكْبَرُ وَالْمُسْتَشِيرُ بِالصَّوَابِ أَجْدَرُ
لَكِنَّ مَنْ يَجْمَعُ ذَا قَلِيلُ وَإِنَّمَا مَقْصُودُنَا التَّمْثِيلُ
لَا يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ مِنْهُمْ خَائِنًا وَمُؤْتَمَنْ
وَنَاصِحًا وَكَافِيًا وَعَاجِزَا وَيَعْرِفَ الْمُحْجِمَ وَالْمُبَارِزَا

ثُمَّ يَنُوطُ كُلَّ أَمْرٍ وَعَمَلْ بِمَنْ رَآهُ كَافِيًا غَيْرَ وَكِلْ
يَنْدُبُهُ لِرَتْقِ ذَاكَ الْفَتْقِ بِخِبْرَةٍ وَدُرْبَةٍ وَحِذْقِ
لِكُلِّ شُغْلٍ رَجُلٌ يَكْفِيهِ لَيْسَ يَقُومُ مَنْ سِوَاهُ فِيهِ
فَلْيَلِ كُلَّ رَجُلٍ بِعَمَلِهْ وَلْيَرْمِ كُلَّ عَمَلٍ بِرَجُلِهْ
الْحَرْبُ لَا يُحْمَدُ فِيهَا الْكَاتِبُ وَلَا الْخَرَاجَ يَجْمَعُ الْمُحَارِبُ
وَإِنَّمَا تَنْتَقِضُ الْأُمُورُ وَتَفْسُدُ الْأَعْمَالُ وَالثُّغُورُ
بِنَظَرِ الصَّغِيرِ فِي الْكَبِيرِ وَعَمَلِ الْكَبِيرِ فِي الصَّغِيرِ (١)
ثُمَّ إِذَا وَلَّى امْرَءًا تَفَقَّدَا أُمُورَهُ جَمِيعَهَا مُنْتَقِدَا
يُرَغِّبُ الْمُحْسِنَ بِالْإِحْسَانِ وَيَزْجُرُ الْعَادِيَ عَنِ الْعُدْوَانِ
وَلَا يُقِرُّ عَاجِزًا ضَعِيفَا وَلَا ظَلُومًا جَائِرًا عَسُوفَا
فَإِنَّ ذَاكَ يُطْمِعُ الْعُمَّالَا وَيُفْسِدُ الرِّجَالَ وَالْأَعْمَالَا
مَثَلُ ذَلِكَ ابْنُ آوَى وَالْأَسَدْ فِي خَبَرٍ عَنْهُ صَحِيحٍ قَدْ وَرَدْ
كَانَ ابْنُ آوَى فِي مَكَانٍ خَالِ مُشْتَغِلًا بِالزُّهْدِ ذَا اعْتِزَالِ

---

(١) كان بعد هذا البيت :

وإن يولي من تولى للهوى وغرض درعي حق يقتفى
وإن تولى ساقط خسيس او غادر بعهده يخيس

عَفًّا تَقِيًّا بَيْنَ إِخْوَانٍ لَهُ   عَادَتُهُ الصَّلٰوةُ وَالتَّأَلُّهُ
وَحَوْلَهُ الذِّئَابُ وَالثَّعَالِبُ   وَهُوَ لَهُمْ فِي ظُلْمِهِمْ مُعَاتِبُ
لِأَنَّهُ لَمْ يَأْكُلِ اللُّحُومَا   وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُمْ غَشُومَا
فَاجْتَمَعُوا طُرًّا عَلَى خِصَامِهِ   وَبَلَغُوا الْغَايَةَ فِي مَلَامِهِ
قَالُوا لَهُ زُهْدُكَ لَيْسَ يَنْفَعُكْ   طَبْعُكَ أَوْلَى بِكَ لَا تَطَبُّعُكْ
وَإِنَّمَا أَنْتَ كَنَحْنُ طَبْعَا   وَبَيْنَنَا طُولَ الزَّمَانِ تَسْعَى
قَالَ ابْنُ آوَى إِنْ كَوْنِي مَعَكُمْ   لِلْجِنْسِ لَا يُوجِبُ أَنْ أَتْبَعَكُمْ
وَلَسْتُ فِي جِوَارِكُمْ بِآثِمْ   إِذْ لَسْتُ مِمَّنْ يَكْسِبُ الْمَآثِمْ
وَلَيْسَتِ الْآثَامُ بِالْأَمَاكِنِ   وَصُحْبَةِ الرِّجَالِ وَالْمَوَاطِنِ
لٰكِنَّهَا مِنْ قِبَلِ الْقُلُوبِ   وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالذُّنُوبِ
لَوْ كَانَتِ الْأَعْمَالُ بِالْمَوَاضِعِ   لَحُمِدَ الْفُسُوقُ فِي الصَّوَامِعِ
وَكَانَ قَتْلُ زَاهِدٍ فِي مَسْجِدِ   مِنْ جُمْلَةِ الطَّاعَاتِ وَالتَّعَبُّدِ
وَإِنَّمَا صُحْبَتُكُمْ بِجِسْمِي   لَيْسَ بِقَلْبِي وَبِصِدْقِ عَزْمِي
لِأَنَّنِي أَعْرِفُ عُقْبَى الْعَمَلِ   وَلَسْتُ لِلْآثَامِ بِالْمُحْتَمِلِ
فَشَاعَ عَنْهُ النُّسْكُ وَالتَّأَلُّهُ   وَقِيلَ لَيْسَ فِي الْوُحُوشِ مِثْلُهُ
حَتَّى انْتَهَى حَدِيثُهُ إِلَى أَسَدْ   كَانَ عَظِيمَ الْوَحْشِ فِي ذَاكَ الْبَلَدْ

فَخَصَّهُ بِٱلْبِرِّ وَٱلْمَحَبَّهْ   وَصَارَ فِي تَقْرِيبِهِ ذَا رَغْبَهْ

ثُمَّ دَعَاهُ رَاغِبًا فِي صُحْبَتِهْ   مُغَالِيًا لِلدِّينِ فِي مَحَبَّتِهْ

وَٱلنَّاسُ فِي ٱلزَّاهِدِ يَرْغَبُونَا   طَبْعًا وَفِي ٱلرَّاغِبِ يَزْهَدُونَا

مَنْ جَاءَهُمْ بِوِدِّهِ رَدُّوهُ   وَمَنْ أَرَادَ وَصْلَهُمْ كَدُّوهُ

وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ أَرَادُوا قُرْبَهُ   وَٱلْحُرُّ لَا يُبْغِضُ مَنْ أَحَبَّهُ

قَالَ لَهُ وِلَايَتِي كَبِيرَهْ   وَإِنَّ أَعْمَالِي بِهَا كَثِيرَهْ

وَلَسْتُ أَسْتَغْنِي عَنِ ٱلْأَعْوَانِ   وَأَصْلَحُ ٱلْأَعْوَانِ لِلسُّلْطَانِ

مَنْ كَانَ ذَا بِرٍّ وَصِدْقٍ وَوَرَعْ   وَلَمْ يَكُنْ ذَا رِيبَةٍ وَلَا طَمَعْ

وَأَنْتَ حُرٌّ صَالِحٌ أَمِينْ   مِثْلِي بِأَمْثَالِكَ يَسْتَعِينْ

إِنِّي مُوَلِّيكَ جَسِيمَ عَمَلِي   وَرَافِعٌ قَدْرَكَ بَيْنَ خَوَلِي

قَالَ لَهُ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ أَجْدَرُ   بِٱلِٱخْتِيَارِ وَهُوَ فِيهِمْ أَكْثَرُ

لَكِنَّهُمْ لَا يُكْرِهُونَ أَحَدَا   لِأَنَّهُ لَا يَغْتَدِي مُجْتَهِدَا

وَلَيْسَ لِي بِعَمَلِ ٱلسُّلْطَانِ   حِذْقٌ وَلَا بِأَمْرِهِ يَدَانِ

وَأَنْتَ حَقًّا مَلِكُ ٱلسِّبَاعِ   مِثْلُكَ لَا يُصْحَبُ بِٱلْخِدَاعِ

وَهُمْ كَثِيرُونَ فَقَوْلُ بَعْضِهِمْ   تَحْمَدُ إِذَا إِبْرَامُهُمْ وَنَقْضُهُمْ

وَفِيهِمْ حِرْصٌ عَلَى ٱلْوِلَايَهْ   وَرِزْقُهُمْ فِيهَا بِلَا نِهَايَهْ

قَالَ لَهُ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَعْمَلاَ قَالَ لَهُ فَاسْمَعْ أُفِدْكَ مَثَلاَ
لاَ يَقْبَلُ ٱلْأَعْمَالَ إِلاَّ ٱثْنَانِ أَوْ رَجُلٌ مُصَانِعُ ٱلْإِخْوَانِ
يَأْخُذُ مَا شَاءَ بِلاَ مُمَانَعَهْ وَيُصْلِحُ ٱلْأُمُورَ بِٱلْمُصَانَعَهْ
أَوْ فَمَهِينٌ خَامِلٌ لاَ يُحْسَدُ فَيَسْتَقِلُّ سَالِمًا لاَ يُقْصَدُ
وَمَا أَنَا بِأَحَدِ ٱلْإِثْنَيْنِ وَلاَ أَقُولُ فِيهِ قَوْلَ مَيْنِ
أَمَّا ٱلَّذِي يَصْحَبُ بِٱلْعَفَافِ سُلْطَانَهُ وَٱلصِّدْقِ وَٱلْكَفَافِ
وَلَيْسَ فِي ٱلْأَحْوَالِ بِٱلْمُصَانِعِ فَقَلَّمَا يَسْلَمُ مِنْ مُنَازِعِ
لِأَنَّــهُ مُجْتَمِعٌ عَلَيْهِ حَتَّى يَسُلَّ ٱلْأَمْرَ مِنْ يَدَيْهِ
صَدِيقُهُ ٱلْمُنَافِسُ ٱلْمُزَاحِمُ ثُمَّ عَدُوُّ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُقَاوِمُ
يُبْغِضُــهُ لِنُصْحِهِ سُلْطَانَهُ وَشَــدِّهِ بِرَأْيِهِ أَرْكَانَهُ
حِينَئِذٍ يَهْلِكُ بَيْنَ ذَيْنِ وَوَاحِدٌ يَعْجِزُ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ
قَالَ لَهُ لاَ تَخْشَ مِنْ أَصْحَابِي فَإِنَّنِي أَكْفِيكَ لاَ أُحَابِي
وَمُحْسِنٌ إِلَيْكَ غَيْرَ وَانِ فَبَالِغٌ نِهَايَةَ ٱلْإِحْسَانِ
قَالَ لَهُ ٱلْإِحْسَانُ أَنْ تَتْرُكَنِي أَعِيشُ فِي ٱلْبَرِّ وَأَنْ تُؤْمِنَنِي
مِنْ حَاسِدٍ وَفِكْرَةٍ وَهَمِّ فَإِنَّنِي ٱلْآنَ قَلِيلُ ٱلْغَمِّ
رَاضٍ بِرِزْقِي قَانِعٌ بِقُوتِي مُنْفَرِدٌ بِعَيْشِيَ ٱلْمَمْقُوتِ

فَصَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ أَنْتَ تَدْرِي يَنَالُهُ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلضَّرَرِ
فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَمْ يَنَلْ سِوَاهُ فِي حَيَاتِهِ وَلَا وَصَلْ
إِنَّ قَلِيلَ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلسَّلَامَهْ خَيْرٌ مِنَ ٱلْكَثِيرِ وَٱلنَّدَامَهْ
قَالَ لَهُ لَا بُدَّ قَالَ فَٱكْتُبِ عَهْدًا يَكُونُ عُدَّتِي فِي ٱلنُّوَبِ
مِنْ حَاسِدٍ يَقْصِدُ بِٱلرَّفِيعَهْ وَكَاشِحٍ يُسْرِفُ فِي ٱلْوَقِيعَهْ
يَقْصِدُنِي ثَلَثَةٌ فَوَاحِدُ مِثْلِي فَهْوَ حَاسِدٌ مُعَانِــدُ
وَوَاحِدٌ فَوْقِي يَظُنُّ أَنِّي أَكِيدُهُ وَٱلْحَزْمُ سُوءُ ٱلظَّنِّ
وَوَاحِدٌ دُونِي يُرِيدُ مَوْضِعِي فَهْوَ مَتَى يَسْمَعْ عَلَيَّ يُسْمِعِ
فَإِنْ سَعَى بِي وَاحِدٌ لَمْ تَعْجَلِ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِ ظُهُورِ زَلَلِي
فَإِنْ وَثِقْتُ عِنْدَكُمْ بِعَهْدِ بَذَلْتُ حَقًّا فِي رِضَاكُمْ جُهْدِي
قَالَ لَهُ وَلَّيْتُكَ ٱلْخَزَائِنَــا فَكُنْ وَلَا تَخْشَ أَمِينًا آمِنَا
ثُمَّ ٱرْتَضَاهُ بَعْدُ لِلْمَشُورَهْ مُعَارِضًا مُفَوِّضًا أُمُورَهْ
وَزَادَهُ كَرَامَةً وَحُبًّا وَٱزْدَادَ إِعْجَابًا بِهِ وَعُجْبَا
فَكَادَهُ ٱلْقَوْمُ جَمِيعًا حَسَدَا وَخَدَعُوا عَنِ ٱلصَّوَابِ ٱلْأَسَدَا
بِحِيلَةٍ لَطِيفَةٍ عَجِيبَهْ صَحَّتْ بِهَا عَلَى ٱبْنِ آوَى ٱلرِّيبَهْ
وَكَانَ ذَاكَ ٱلْأَمْرُ أَنَّ ٱلْأَسَدَا أَعْجَبَهُ لَحْمٌ وَقَــدْ تَصَيَّدَا

قَالَ ارْفَعُوهُ وَاعْمَلُوهُ لِي غَدَا ... فَسَرَقُوهُ حِينَ كَادُوا نَكَدَا
وَأَمَرُوا ذَا حِيلَةٍ أَنْ يَجْعَلَهْ ... فِي مَوْضِعٍ كَانَ ابْنُ آوَى أَقْفَلَهْ
فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ ... وَطَلَبَ الْغِذَاءَ مِنْهُ الْأَسَدُ
إِفْتَقَدَ اللَّحْمَ وَقَالَ مَا فَعَلْ ... وَلَجَّ فِي ذَاكَ وَجَدَّ وَسَأَلْ
وَحَضَرُوا فِي غَيْبَةِ ابْنِ آوَى ... فَقَالَ مَنْ عَانَدَهُ وَنَاوَا
لِرَهْطِهِ سِرًّا لِيَسْمَعَ الْمَلِكْ ... قُولُوا فَمَنْ يَسْتُرْ خَؤُونًا يَنْهَتِكْ
فَقَالَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لَا بُدَّ أَنْ ... نُخْبِرَ بِالْحَقِّ فَمَنْ خَانَ وَهَنْ
سَمِعْتُ أَنَّ اللَّحْمَ قَدْ أَخْفَاهُ ... بَيْتُ ابْنِ آوَى لِلَّذِي خَبَاهُ
قَالَ لَهُ آخَرُ هَذَا يُمْكِنُ ... فَفَتِّشُوا فَهُوَ خَبِيثٌ مُدْهِنُ
لَمْ تَكُنِ الْأَسْرَارُ وَالْخَلَائِقُ ... يَكْشِفُهَا إِلَّا اللَّبِيبُ الْحَاذِقُ
قَالَ لَهُ آخَرُ إِنْ وَجَدْتُمُ ... فِي بَيْتِهِ ذَاكَ فَقَدْ صَدَقْتُمُ
وَكُلُّ مَا يُقَالُ فِيهِ صِدْقُ ... وَكُلُّ مَا يُؤْثَرُ عَنْهُ حَقُّ
قَالَ لَهُ آخَرُ مَنْ تَصَنَّعَا ... بِالزُّهْدِ لَا دِيَانَةً وَوَرَعَا
فَإِنَّهُ مُخَاتِلٌ مُخَادِعُ ... وَسِرُّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ذَائِعُ
قَالَ لَهُ آخَرُ مَنْ كَادَ الْمَلِكْ ... لَمْ يَخْفَ عَنْ لُطْفِ نُهَاهُ مَا أُفِكْ
قَالَ لَهُ آخَرُ قَدْ سَمِعْتُ ... عَنْهُ خِيَانَاتٍ فَمَا صَدَقْتُ

اَلْآنَ قَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّ ذَلِكَا لَمْ يَكُ فِيهِ مَنْ حَكَاهُ آفِكَا
قَالَ لَهُ آخَرُ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الْخَبِيثَ زُهْدُهُ تَكَلُّفُ
وَأَنَّهُ يُكْشَفُ عَنْ خِيَانَهْ كَثِيرَةٍ تُجَانِبُ الْأَمَانَهْ
قَالَ لَهُ آخَرُ مَا تَخَشَّعَا إِلَّا لِكَيْ يَغُرَّنَا وَيَخْدَعَا
فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ مَا خَانَا فَقَطْ وَلَكِنْ كَفَرَ الْإِحْسَانَا
قَالَ لَهُمْ آخَرُ أَنْتُمْ سَادَهْ لَيْسَ عَلَى فَضْلِكُمْ زِيَادَهْ
لَكِنْ إِذَا فُتِّشَ بَانَ أَمْرُهُ وَذَاعَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ سِرُّهُ
قَالَ لَهُمْ آخَرُ إِنْ أَرَدْتُمْ تَفْتِيشَهُ فَعَجِّلُوا وَصَمِّمُوا
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَهُ الْحَدِيثُ فَيَحْذَرَ الْمُنَافِقُ الْخَبِيثُ
إِنَّ لَهُ عَلَيْكُمُ عُيُونَا وَأَنْتُمُ عَنْ ذَاكَ غَافِلُونَا
قَالَ لَهُمْ آخَرُ سَوْفَ يَعْتَذِرْ بِحِيلَةٍ لَطِيفَةٍ فَيُغْتَفَرْ
فَأَوْغَرُوا بِقَوْلِهِمْ صَدْرَ الْمَلِكْ وَقَدْ يُغَرُّ بِالْمُحَالِ الْمُحْتَنِكْ
فَأَمَرَ الْحَاجِبَ بِاسْتِدْعَائِهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَحْكَمَ سُوءُ رَأْيِهِ
وَقَالَ أَيْنَ اللَّحْمُ قَالَ إِنِّي سَلَّمْتُهُ أَمْسِ لِحُسْنِ ظَنِّي
إِلَى الطَّعَامِيِّ فَقَالَ ذَاكَا لَا وَالَّذِي قَدْ رَفَعَ السَّمَاكَا
وَكَانَ مِمَّنْ وَافَقَ الْجَمَاعَهْ وَطَابَقَ الطَّائِفَةَ الْخَدَّاعَهْ

فَقَالَ مرُّوا فَتِّشُوا حجْرَتَهُ ... جَمِيعكُمْ لِتَعْرِفُوا قِصَّتَهُ
فَأَخَذُوا اللَّحمَ وَجَاؤُهُ بِهِ ... فَقَالَ ذِئْبٌ كَانَ فِي مَوْكِبِهِ
مَا قَالَ شَيْئاً قَبْلَ ذَاكَ فِيهِ ... إِنِّي لَسْتُ قَابِلَ التَّمْوِيهِ
قَدْ صَحَّ مِنْهُ الْغَدْرُ وَالْخِيَانَهْ ... وَقِلَّةُ الإِشْفَاقِ وَالدِّيَانَهْ
فَإِنْ عَفَوْتَ عَنْ عَظِيمِ ذَنْبِهِ ... أَفْسَدْتَ عُمَّالَكَ لاَ شَكَّ بِهِ
وَطَمِعُوا فِيكَ وَصَارُوا خَوَنَهْ ... فَلَمْ تَجِدْ ذَا شِيمَةٍ مُؤْتَمَنَهْ
فَعِنْدَهَا أُخْرِجَ مِنْ مَجْلِسِهِ ... وَلَمْ يَقُودُوهُ إِلَى مَحْبَسِهِ
وَجَاءَهُ مِنْهُ رَسُولٌ وَرَجَعْ ... عَنْهُ بِقَوْلٍ كَاذِبٍ لَهُ صَنَعْ
وَكَانَ مِنْهُمْ ذَلِكَ الرَّسُولُ ... فَخَانَهُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ
حَتَّى إِذَا مَا أَفْحَشَ الْقَوْلَ غَضِبْ ... وَكَادَ لَوْلاَ بُعْدُهُ عَنْهُ يَثِبْ
لَكِنَّهُ قَالَ اقْتُلُوهُ وَاعْجَلُوا ... لاَ تُمْهِلُوا فَمِثْلُهُ لاَ يُمْهَلُ
فَأَخْرَجُوهُ عَاجِلاً لِيُقْتَلاَ ... فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمِ الْخَاتُونُ لاَ
وَدَخَلَتْ مِنْ فَوْرِهَا عَلَى ابْنِهَا ... وَعَاتَبَتْهُ بِصَفَاءِ ذِهْنِهَا
قَالَتْ لَهُ عَجِلْتَ وَالْعَجُولُ ... يَنْدَمُ فِيمَا قَضَتِ الْعُقُولُ
«قَدْ شَبَّهُوا ذَاكَ الَّذِي لَمْ يَنْظُرِ ... فِي أَمْرِهِ بِنَظَرِ الْمُفَكِّرِ»
بِمَنْ رَأَى مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ شَعَرْ ... لِمَرَضٍ بَادٍ بِهِ وَمَا شَعَرْ

وَجَاهِلٍ إِذَا رَأَى الْيَرَاعَهْ وَضَوْءَهَا جُنْحَ الظَّلَامِ رَاعَهْ
وَظَنَّهَا نَارًا فَإِنْ يَلْمِسْهَا أَيْقَنَ بِالْحَقِّ وَلَمْ يَقْبِسْهَا
«وَسَامِعٍ صَوْتَ الْبَعُوضِ لَيْلَا يَحْسَبُهُ شَيْئًا يَجُرُّ وَيْلَا»
وَالرُّشْدُ فِي الْأَنَاةِ وَالتَّرَفُّقِ كَذَاكَ فَضْلُ الْحَازِمِ الْمُوَفَّقِ
كُلُّ امْرِئٍ يُوصَى بِأَنْ لَا يَعْجَلَا لَا سِيَّمَا السُّلْطَانُ فَهْوَ الْمُبْتَلَى
بِرَعْيِهِ الْخَلْقَ وَحِفْظِ الْأُمَّهْ وَسَائِرُ النَّاسِ تُطِيعُ حُكْمَهْ
وَأَمْرُهُ النَّافِذُ فِيهِمْ مَاضِ وَهْوَ عَلَى كُلِّ الرَّعَايَا قَاضِ
فَإِنْ قَضَى مِنْ غَيْرِ مَا تَثَبُّتِ آذَنَ أَمْرُ الْمُلْكِ بِالتَّشَتُّتِ
وَقَتَلَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقِّ فَلَيْسَ لِلسُّلْطَانِ مِثْلُ الرِّفْقِ
فَحَارِسُ الزَّوْجَةِ يَوْمًا بَعْلُهَا لَوْلَا تَرَقِّيهِ لَزَلَّتْ نَعْلُهَا
وَحَارِسُ الصَّبِيِّ وَالِدَاهُ لَوْلَا هُمَا لَمْ يَنْتَظِرْ هُدَاهُ
وَحَارِسُ النَّاسِكِ حُسْنُ النُّسْكِ وَحَارِسُ الْأُمَّةِ ظِلُّ الْمَلِكِ
وَحَارِسُ الْمُلْكِ الْأَنَاةُ وَالْكَرَمْ وَالْعَقْلُ وَالدِّينُ وَلَوْلَاهُ انْهَدَمْ
وَإِنَّ رَأْسَ الْحَزْمِ وَالصَّوَابِ مَعْرِفَةُ الْأَعْوَانِ وَالْأَصْحَابِ
وَأَنْ يَكُونَا بَعْدَهَا مُحَقِّقَا لِيَعْرِفَ الْعَدُوَّ مِمَّنْ صَدَقَا
فَيَجْعَلُ النَّاسَ عَلَى أَقْدَارِهِمْ وَيَعْرِفُ الْمَدْفُونَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ

يَعْرِفُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَادِي ... بَعْضاً وَيَسْعَى فِيهِ بِالْفَسَادِ
وَأَنَّهُ يَرْمِيهِ إِذْ يَحْسِدُهُ ... بِبَاطِلٍ مِنْ زُخْرُفٍ يُورِدُهُ
مُجْتَهِداً يَحْرِصُ فِي هَلاَكِهِ ... بِحِيلَةٍ تَخْفَى عَلَى اسْتِدْرَاكِهِ
وَأَنَّهُ مُقَبِّحٌ احْسَانَهُ ... وَمُفْسِدٌ بِجُهْدِهِ مَكَانَهُ
وَلَمْ تَزَلْ عَلَى ابْنِ آوَى مُقْبِلاَ ... وَإِنَّمَا وَلَّيْتَهُ بَعْدَ الْبَلاَ
تَزِيدُكَ الْأَيَّامُ فِيهِ رَغْبَةْ ... وَكُلَّ وَقْتٍ تَسْتَزِيدُ قُرْبَهْ
تَقْتُلُهُ فِي طَابَقٍ مِنْ لَحْمِ ... بِغَيْرِ عِلْمٍ وَبِغَيْرِ فَهْمِ
فَرُبَّمَا تَعَاوَنُوا عَلَيْهِ ... وَصَمَّمُوا كَيْدَهُمْ إِلَيْهِ
قَدْ كَانَ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَأَمَّلاَ ... أَمْرَ ابْنِ آوَى قَبْلَ أَنْ تَسْتَعْجِلاَ
لَعَلَّهُمْ لِشَرِّهِمْ قَدْ وَضَعُوا ... فِي بَيْتِهِ اللَّحْمَ لِكَيْمَا يَخْدَعُوا
لِأَنَّهُ لاَ يَأْكُلُ اللُّحُومَا ... ثُمَّ يَرَى آكِلَهَا مَذْمُومَا
فَكَيْفَ لِلَّحْمِ الْقَلِيلِ يَسْرِقُ ... مَا هُوَ إِلاَّ كَذِبٌ مُخْتَلَقُ
لَمْ تَزَلِ الْأَرَاذِلُ الْأَشْرَارُ ... قَصْدُهُمُ الْأَفَاضِلُ الْأَخْيَارُ
أَمَا تَرَى الْحِدَاةَ حِينَ تَخْطَفُ ... لَحْماً تَرَى الطَّيْرَ عَلَيْهَا يَعْكُفُ
وَالْكَلْبُ يَحْتَاشُ بِهِ الْكِلاَبُ ... إِنْ وَجَدَ الْعَظْمَ وَذَاكَ عَابُ
إِنَّ هُمْ لِلُّؤْمِ طَبْعِهِمْ لَمْ يَنْظُرُوا ... لِلْمُلْكِ فَانْظُرْ أَنْتَ يَا مُدَبِّرُ

فَأَعظَمُ الأُمُورِ عِندِي ضَرًّا   عَلَى المُلُوكِ وَالأَنَامِ طُرًّا

خِيَانَةُ الأَصحَابِ وَالإِخوَانِ   وَحِيلَةُ الجُنُودِ وَالأَعوَانِ

وَلَمْ يَزَلْ هَذَا ابنُ آوَى نَاصِحَا   يُدَبِّرُ الأُمُورَ وَالمَصَالِحَا

يَحمِلُ عَنكَ العِبءَ حِينَ يَفدَحُ   وَيَدفَعُ الظُّلمَ حِينَ يَسنَحُ

«وَبَينَمَا أُمُّ الهِزَبرِ تَبدَعُ   فِي مِثلِ هَذَا القَولِ وَهوَ يَسمَعُ»

إِذ جَاءَهُ فِي الحَالِ مِنهُمْ وَاحِدُ   فَشَرَحَ القِصَّةَ وَهوَ سَاجِدُ

قَالَت لَهُ قَد خَانَكَ القَومُ وَقَدْ   أَبدَوا مِنَ الجُرأَةِ أَمرًا لَا يُحَدّ

فَلَا تَدَعْ تَأدِيبَهُمْ فَيَجتَرِي   عَلَيكَ كُلُّ أَحَدٍ وَيَفتَرِي

وَلَا تَقُلْ أَحقِرُهُمْ فَأَعفُو   عَنهُمْ وَفِيهِمْ ذِلَّةٌ وَضَعفُ

إِنَّ الحَشِيشَ رَسَنٌ إِذَا فُتِلْ   لَاشَكَّ وَالذَّودُ إِلَى الذَّودِ إِبِلْ

وَهَكَذَا الجُيُوشُ وَالأَجنَادُ   جَمَاعَةٌ وَأَصلُهَا آحَادُ

أَرجِعهُ فِي الحَالِ إِلَى مَنزِلَتِهْ   وَلَا تَقُلْ يَئِستُ مِن مَحَبَّتِهْ

لِأَنَّهُ مِمَّا جَرَى مُستَوحِشُ   مُنقَبِضٌ بِوُدِّهِ مُنكَمِشُ

فَلَيسَ كُلُّ الخَلقِ بِالإِسَاءَهْ   تَجزِي وَلَا يُفَكِّرُ فِي المَسَاءَهْ

لَيسَ ابنُ آوَى عَائِدًا عَدُوًّا   تَخَافُ أَنْ يَمنَعَكَ الهُدُوَّا

فَطَبعُهُ طَبعُ كَرِيمٍ فَاضِلِ   وَرَأيُهُ رَأيُ حَلِيمٍ عَاقِلِ

وَالنَّاسُ فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ إِثْنَانِ   فَوَاحِدٌ مِنْ صَالِحِي الإِخْوَانِ
لَيْسَ يَجُوزُ تَرْكُهُ وَرَفْضُهُ   وَلَا يَسُوغُ طَرْدُهُ وَبُغْضُهُ
وَوَاحِدٌ تَجْهَدُ فِي قَطِيعَتِهْ   لِقُبْحِ مَا يَظْهَرُ مِنْ صَنِيعَتِهْ
فَبَاعِدِ الأَشْرَارَ وَاقْطَعْ حَبْلَهُمْ   وَقَارِبِ الأَخْيَارَ وَاطْلُبْ وَصْلَهُمْ
فَأَمَرَ الضِّرْغَامُ بِاسْتِحْضَارِهِ   مُبَالِغًا إِلَيْهِ فِي اعْتِذَارِهِ
وَقَالَ كُنْ كَمَا مَضَى فِي عَمَلِكْ   مُبَلَّغًا مِنْ ذَاكَ أَقْصَى أَمَلِكْ
قَالَ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَثِقَا   بِمَنْ نَكَبْتَ وَاسْتَشَاطَ حَنَقَا
جَمَاعَةٌ لَا تَعْتَمِدْ عَلَيْهِمِ   وَلَا تَكُنْ مُسْتَرْسِلًا إِلَيْهِمِ
مَنْ نَالَهُ مِنْكَ عَذَابٌ ظُلْمَا   أَوْ مَنْ سَلَبْتَ مَالَهُ فَاغْتَمَّا
أَوْ رَجُلٌ أُقْصِيَ بَعْدَ قُرْبِ   أَوْ رَجُلٌ لَمْ تُنْجِهِ مِنْ كَرْبِ
أَوْ رَجُلٌ أُخِّرَ فِي الثَّوَابِ   عَنْ جُمْلَةِ الأَقْرَانِ وَالأَضْرَابِ
أَوْ رَجُلٌ أَجْرَمَ مَعْ جَمَاعَهْ   فَقَبِلَتْ فِي كُلِّهِمْ شَفَاعَهْ
وَعُوقِبَ الْمِسْكِينُ دُونَ الْقَوْمِ   وَالشَّرِهُ الْحَرِيصُ عِنْدَ الرَّوْمِ
فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ لَا يُعْتَمَدْ   قَطُّ وَلَا يُوثَقُ مِنْهُمْ بِأَحَدْ
وَإِنَّنِي لَسْتُ لَهُمْ بِآمِنِ   أَنْ يَقْذِفُونِي بِكَلَامٍ بَاطِنِ
حِينَئِذٍ تُصَدِّقُ السَّاعِينَا   وَلَا يُرِيدُ قَاذِفِي مُعِينَا

إذ قد وُسِمتُ عندهُ بالتُّهَمَهْ ... وقد نُصِبتُ غرضاً للنِّقمَهْ
فصرتُ للأعداءِ والقولِ غرضْ ... وليسَ لي من هذهِ النفسِ عوضْ
وإنّهُ لو كانَ لي كما مضى ... من عهدِهِ ولم يعُدْ منتقضا
لما رجعتُ بعدَ خوفي آمنا ... ولم أعُدْ إلى مكاني ساكنا
فإنني عرفتُ منهُ العَجَلَهْ ... وأنّهُ يسمعُ قولَ السفَلَهْ
فكلُّنا متَّهمٌ لصاحبِهْ ... وخائفٌ يحذرُ من عواقبِهْ
قالَ لهُ قلبي تقيٌّ صافِ ... وأنتَ أيضاً فكريمٌ وافِ
تنسى الذي كانَ إليكَ منّي ... لحسنِ آثاري فترضى عنّي
وقد رجعنا للودادِ والمِقَهْ ... فعُدْ لنا أنتَ وكنْ على ثِقَهْ
فعادَ من بعدُ إلى مكانِهِ ... ونالَ ما رجاهُ من إحسانِهِ
وعاقبَ القومَ العقابَ المؤلما ... كذاكَ يجزي ذو النُّهى من أجرما



بَابُ

السائح والصائغ

وهو باب

اصطناع المعروف إلى غير أهله

قَالَ فَأَخْبِرْنِي إِلَى مَنْ يَنْبَغِي ... أَنْ يَصْنَعَ الْخَيْرَ فَقُلْ وَأَبْلِغِ
«ثُمَّتَ خَبِّرْنِي عَمَّنْ لَمْ يَضَعْ ... الْعُرْفَ فِي مَوْضِعِهِ لَمَّا صَنَعْ»
«ثُمَّ غَدَا يَرْجُو عَلَيْهِ الشُّكْرَا ... فَهَلْ يَنَالُ مِدْحَةً أَوْ أَجْرَا»
قَالَ لَهُ فِعْلُ الْجَمِيلِ وَاجِبُ ... عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ فَرْضٌ لَازِبُ
«إِنْ يَضِعِ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ قَابِلِهْ ... فَلَا يُضِيعُ اللَّهُ أَجْرَ فَاعِلِهْ»
«لَكِنَّهُ يُقَالُ لَيْسَ أَخْسَرُ ... مِنْ صَانِعٍ خَيْرًا لِمَنْ لَا يَشْكُرُ»
«وَلَيْسَ أَنْعَى مِنْ بِذَارِ الْبِرِّ ... فِي قَلْبِ مَنْ يَقْبَلُهُ بِالشُّكْرِ»
لَا يَنْظُرِ الْمَرْءُ إِلَى الْأَقَارِبِ ... وَلَا إِلَى الْأَتْرَابِ وَالْمُنَاسِبِ
وَلْيَفْعَلِ الْخَيْرَ إِلَى الضَّعِيفِ ... الْعَاجِزِ الْمُضْطَهَدِ اللَّهِيفِ
وَالرَّأْيُ أَنْ يُجَرِّبَ الصِّغَارَا ... قَبْلَ اصْطِنَاعِ الْعُرْفِ وَالْكِبَارَا
فِي شُكْرِهِمْ وَحِفْظِهِمْ وَرَعْيِهِمْ ... لِيُودِعُوا الْخَيْرَ بِقَدْرِ سَعْيِهِمْ

إِنَّ الطَّبِيبَ لَا يُدَاوِي الْمَرْضَى | بِرُؤْيَةِ الْعَيْنِ فَلَيْسَتْ تُرْضَى
لَكِنَّهُ يَتْبَعُ الدَّلَائِلَا | وَيَغْتَدِي عَنْ أَمْرِهِ مُسَائِلَا
حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجْتَهِدَا | فِي كَشْفِ أَخْلَاقِ الْوَرَى مُنْتَقِدَا
فَمَنْ رَآهُ وَافِيًا شَكُورَا | كَانَ بِأَنْ يُكْرِمَهُ جَدِيرَا
لَعَلَّهُ إِلَيْهِ يَوْمًا يُحْوِجُ | أَوْ أَنْ يُلَاقِي كُرْبَةً فَيُفْرِجُ
وَلَا يَقُولُ إِنَّهُ مَهِينٌ | أَوْ خَامِلٌ فِي النَّاسِ لَا يَبِينُ
فَقَدْ تُعِينُ الرَّجُلَ الْبَهِيمَهْ | وَفِي عَلَى عُجْمَتِهَا كَرِيمَهْ
وَالْمَرْءُ قَدْ يَحْذَرُ كُلَّ النَّاسِ | وَيَغْتَدِي بِالْوَحْشِ ذَا اسْتِئْنَاسِ
فَيَضَعُ الْبَازِيَ فَوْقَ يَدِهِ | وَيُدْخِلُ الْكَلْبَ إِلَى مَرْقَدِهِ[1]
وَلَا يَجُوزُ لِامْرِئٍ أَنْ يَحْتَقِرْ | فِي النَّاسِ إِنْسَانًا وَلَكِنْ يَخْتَبِرْ
حِينَئِذٍ يُولِيهِمِ بِقَدْرِ مَا | يَرَاهُ فِيهِمْ لَا يَخَافُ نَدَمَا[2]
«وَلَيْسَ بَيْنَ الْخَلْقِ خَلْقٌ أَفْضَلُ | مِنِ ابْنِ آدَمَ وَذَا لَا يُشْكِلُ»
«وَرُبَّمَا لَا يَأْمَنُ اللَّبِيبُ | لِأَحَدِ النَّاسِ وَيَسْتَرِيبُ»
«وَيَأْمَنُ الْوُحُوشَ وَالْبَهَائِمَا | وَلَمْ يَكُنْ فِيمَا أَتَاهُ آثِمَا»

(١) كان الاصل : فوق كفه ويدخل ابن عرس جوف كمه

(٢) كان الاصل : خيفة ان يندما

«فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ ٱلتَّقِيَّ ٱلصَّالِحَا ... وَفِيهِمِ تَرَى ٱلْكَنُودَ ٱلطَّالِحَا»

«حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي ٱلسِّبَاعِ ... مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِي ٱلطِّبَاعِ»

وَضَرَبُوا فِي ذَاكَ لِلنَّاسِ مَثَلْ ... يَأْخُذُ مِنْهُ ٱلرَّأْيَ كُلُّ مَنْ عَقَلْ

إِنَّ أُنَاسًا حَفَرُوا فِي ٱلْقَاعِ ... عَلَى ٱعْتِمَادِ زُبْيَةَ ٱلسِّبَاعِ

فَجَاءَ صَوَّاغٌ غَرِيبٌ فَوَقَعْ ... فِيهَا وَقِرْدٌ وَٱلْغَوِيُّ مُتَّبَعْ

وَحَيَّةٌ أَيْضًا وَبَبْرٌ عَادِي ... فَجُمِعَتْ جَمَاعَةُ ٱلْأَضْدَادِ

فَسَكَنُوا جَمْعًا وَمَا تَحَرَّكُوا ... فَمَرَّ سَيَّاحٌ فَقَالَ أُدْرِكُ

ذَا ٱلرَّجُلَ ٱلْمِسْكِينَ بِٱلْخَلَاصِ ... مِنْ شَرِّهِمْ فَجَاءَ عَنْ إِخْلَاصِ

مُعْتَقِدًا أَنَّ ٱلَّذِي يَفْعَلُهُ ... أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ تُقًى يَعْمَلُهُ

قُرْبَى إِلَى ٱللهِ فَدَلَّى رَسَنَا ... فَصَعِدَ ٱلْقِرْدُ عَلَيْهِ مَا ٱنْثَنَى

وَصَعِدَ ٱلْحَيَّةُ وَٱلْبَبْرُ مَعَا ... فَشَكَرُوا وَعَرَفُوا مَا صَنَعَا

وَقَالَ كُلٌّ حَلَّ فِي ٱلْبِئْرِ رَجُلْ ... وَلَا تَدُرْ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَجُلْ

فَلَيْسَ فِي ٱلْأَرْضِ بِلَا عُدْوَانِ ... أَكْفَرُ لِلنُّعْمَى مِنَ ٱلْإِنْسَانِ

قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ مَكَانِي فَٱعْلَمِ ... نُوَادِرُخْتُ فِي خَرَابٍ مُظْلِمِ

وَٱلْبَبْرُ وَٱلْحَيَّةُ أَيْضًا قَالَا ... نَحْنُ هُنَاكَ نَسْكُنُ ٱلْجِبَالَا

وَرُبَّمَا ٱحْتَجْتَ إِلَيْنَا يَوْمَا ... فَنَادِنَا تُنَادِ مِنَّا قَوْمَا

«فضرب السائح صفحاً عمّا ... سمعه ولم يزل مهتمّا»
وأخرج الصائغ أيضاً فشكر ... وقال مثل قولهم كما ذكر
وإنّ أمراً بعد ذاك عرضا ... له إلى ذاك المكان فمضى
لمّا دنا منه أتاه القرد ... وقال إنّي خادم وعبد
قبّل رجليه وظلّ داعيا ... وقال كن لقولتي مراعيا
ما لي من مال ولكن قف لي ... آت بشيء صالح للأكل
ولم يغب حتى أتى بفاكهه ... صالحة من الثمار النابهه
ثمّ تولّى فرآه النمر ... فجاءه يبدو عليه الشكر
وقال قد أوليتني جميلا ... وحسناً أشكره جليلا
وخرّ ما بين يديه ساجدا ... وقام عنه داعياً وحامدا
ومرّ من ساعته حتى قتل ... بنت الأمير وأتاه بالحلل
والحلي وهو حسن كثير ... ومرّ عنه راجعاً يسير
فقال قد جزتني البهائم ... عن منّتي وإنها أعاجم
فكيف لو رآني الإنسان ... لجاءني الإكرام والإحسان
إن كان كالناس فقيراً معسرا ... سعى وباع ذا الحلى والجوهرا
ثمّ أتى من فوره إليه ... فأبصر الحلي في يديه

وَقَالَ كُنْ فِي مَنْزِلِي لِآتِيَكْ بِطُعْمَةٍ تَقْضِي بِهَا أَمَانِيكْ

فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي مَنْزِلِي وَمَرَّ مِثْلَ الْوَالِهِ الْمُسْتَعْجِلِ

فَقَالَ لِلْحُجَّابِ قُولُوا لِلْمَلِكْ أُرِيدُ أَنْ أَخْلُوَ لِلْخِدْمَةِ بِكْ

وَقَالَ أَرْسِلْ ثِقَةً مِنْ وَقْتِكَا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِي عَدُوَّ بِنْتِكَا

فَإِنَّنِي فِي الْبَيْتِ قَدْ حَصَرْتُهُ وَالْأَمْرُ فَاعْلَمْهُ كَمَا ذَكَرْتُهُ

فَعَرَفَ الْحُلِيَّ وَالْجَوَاهِرَا وَقَالَ فِي الْمِصْرِ أَطِيفُوا الْفَاجِرَا

وَعَذِّبُوهُ آلَمَ الْعَذَابِ ثُمَّ اصْلِبُوهُ بُكْرَةً فِي الْبَابِ

فَضُرِبَ الْمِسْكِينُ ضَرْبًا مُوجِعَا وَطَافَ فِي السُّوقِ يُنَادِي مُسْمِعَا

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ أَطَعْتُ الْبِرَّا وَالْقِرْدَ مَا لَاقَيْتُ هٰذَا النُّكْرَا

فَسَمِعَتْ ذَاكَ الْمَقَالَ الْحَيَّهْ قَالَتْ يَعِزُّ مَا جَرَى عَلَيْهِ

وَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا مُبَادِرَهْ تَقُولُ مَا أَشْنَعَ هٰذِي الْفَاقِرَهْ

وَفَكَّرَتْ فِي حِيلَةٍ تُنْجِيهِ مِنْ هَوْلِ مَا أَصْبَحَ وَهْوَ فِيهِ

فَلَدَغَتْ مِنْ وَقْتِهَا ابْنًا لِلْمَلِكْ طِفْلًا صَغِيرَ السِّنِّ غَيْرَ مُحْتَنِكْ

«وَذَهَبَتْ حَالًا إِلَى صَدِيقَهْ لَهَا مِنَ الْجِنِّ اسْمُهَا شَفِيقَهْ»

«فَأَخْبَرَتْهَا عَنْ صَنِيعِ السَّائِحِ وَأَنَّهُ مُتَّهَمٌ بِطَالِحِ»

«فَوَعَدَتْهَا أَنَّهَا تُنْجِيهِ مِنْ كُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْذِيهِ»

«وَانْطَلَقَتْ تَقْصِدُ إِبْنَ الْمَلِكِ   فَوَجَدَتْهُ حِلْفَ أَمْرٍ لَبِكِ»

«تَظَاهَرَتْ لَهُ وَقَالَتْ حَقًّا   إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ لَكِنْ تَشْقَى»

«أَمَّا إِذَا عَالَجَكَ الْمَظْلُومُ   السَّائِحُ الْبَرُّ فَقَدْ تَقُومُ»

«وَدَخَلَتْ إِلَى السَّجِينِ الْأَفْعَى   مِنْ أَحَدِ الْجُدْرَانِ جَاءَتْ تَسْعَى»

«قَالَتْ لَهُ هَذَا الَّذِي زَجَرْتُكَا   عَنْهُ فَلَمْ تُطِعْ وَقَدْ حَذَّرْتُكَا»

«لَا تَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ لِلْإِنْسَانِ   فَإِنَّهُ لَجَاحِدُ الْإِحْسَانِ»

«ثُمَّ أَتَتْهُ بِدَوَاءٍ نَاجِعِ   وَنَافِعٍ مِنْ سُمِّهَا لِلْجَارِعِ»

«قَالَتْ إِذَا دُعِيتَ كَيْ تُدَاوِيَا   الطِّفْلَ خُذْ هَذَا الدَّوَاءَ الشَّافِيَا»

وَجَمَعُوا كُلَّ الْأَطِبَّاءِ لَهُ   وَهْوَ عَلَى حَالَتِهِ مُوَلَّهُ

ثُمَّ أَفَاقَ نَاطِقًا فَقَالَا   لَقَدْ لَقِيتُ لِلرَّدَى أَهْوَالَا

وَلَسْتُ بِالطَّامِعِ فِي الصَّلَاحِ   إِلَّا بِلُطْفِ دَعْوَةِ السَّيَّاحِ

فَإِنَّهُ مَا بَيْنَكُمْ مَظْلُومُ   وَغَيْرُهُ فِي ذَنْبِهِ الْمَلُومُ

فَجِيءَ بِالسَّيَّاحِ كَيْ يَرْقِيَهُ   لَعَلَّهُ بِذَاكَ أَنْ يَشْفِيَهُ

فَقَالَ لَا وَاللهِ لَسْتُ رَاقِيَا   لَكِنْ أَرَى حُسْنَ الدُّعَاءِ وَاقِيَا

«ثُمَّ سَقَاهُ وَدَعَا وَابْتَهَلَا   لِيَبْرَأَ الطِّفْلُ الَّذِي قَدْ نَحَلَا»

«فَقَامَ مِنْ أَسْقَامِهِ مُعَافَى   فَأَجْزَلَ الْمَلِكُ لَهُ الْأَلْطَافَا»

وَسَأَلُوهُ عَنْ خَفِيِّ خَبَرِهْ   فَقَصَّ شَرْحَ حَالِهِ فِي سَفَرِهْ
فَصَحَّ حَقًّا أَنَّـهُ بَرِيُّ   إِذْ قَدْ دَعَا وَشُفِيَ ٱلصَّبِيُّ[1]
وَصُلِبَ ٱلصَّوَّاغُ بَعْدَ ٱلضَّرْبِ   جَزَآءَ سُوءِ غَدْرِهِ وَٱلْكَذِبِ
وَإِنَّ فِي أَمْرِهِمِ لَمُعْتَبَرْ   وَعِظَةً وَاضِحَةً لِمَنْ نَظَرْ

بَاب

ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ

وَهُوَ

بَابُ ٱلْقَضَآءِ وَٱلْقَدَرِ وَغَلَبَتِهِمَا عَلَى ٱلْأَشْيَآءِ

قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا مَا ٱلْعِلَّهْ   قُلْ لِي فَقَدْ حِرْتُ فِي ٱلْأَدِلَّهْ
لَمَّا رَأَيْتُ عَاقِلًا مَحْرُومَا   وَجَاهِلًا مُكَرَّمًا مَخْدُومَا
«مَعْ أَنَّهُ يُقَالُ كُلُّ ٱلرِّزْقِ   يُصِيبُ مَنْ يَطْلُبُهُ بِٱلْحِذْقِ»

(١) كان الاصل :

ثم دعا فشفي الصبي   فصح حقا انه بري

«قَالَ لَهُ إِعْلَمْ كَمَا أَنَّ الضَّرِيرْ ... بِقَلْبِهِ يُبْصِرُ بِالْحِسِّ يَسِيرْ» (١)
«كَذَا اللَّبِيبُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَا ... بِعِلْمِهِ وَقَلَّ أَنْ لَا يُدْرِكَا» (٢)
وَيَغْلِبُ الْقَضَاءُ كُلَّ ذَلِكَا ... هَيْهَاتَ مَا الْمَرْءُ لِشَيْءٍ مَالِكَا
فَيَرْفَعُ الْمَرْءُ بِهِ أَوْ يَخْفِضُ ... وَيُبْرَمُ الْأَمْرُ بِهِ أَوْ يُنْقَضُ (٣)
يُشْبِهُ مَا قُلْتُ لَكَ ابْنُ مَلِكِ ... لَمَّا رُوِي كَالْمُفَكِّرِ الْمُرْتَبِكِ
ظَلَّ عَلَى بَابِ قَطُونَ جَالِسَا ... مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْوَرَى لَا آيِسَا
وَخَطَّ مِنْ بَعْدُ عَلَى الْجِدَارِ ... خَطَّ امْرِئٍ بِالدَّهْرِ ذِي اعْتِبَارِ
الْعَقْلُ وَالْقُوَّةُ وَالْجَمَالُ ... بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ يَا رِجَالُ
فَقَالَ حَدِّثْنِي بِكُنْهِ حَالِهِ ... فَقَالَ إِذْ أَلْحَفَ فِي سُؤَالِهِ
سَمِعْتُ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ أَرْبَعَهْ ... اصْطَحَبُوا فِي سَفَرٍ لِلْمَنْفَعَهْ
إِبْنُ هُمَامٍ مَعَهُ ابْنُ تَاجِرِ ... وَابْنُ شَرِيفٍ مِلْءُ عَيْنِ النَّاظِرِ

(١) كان الاصل :

كما ان البصر ... بالعين والسمع و بالاذن الخبر

(٢) كان الاصل :

فهكذا العلم بحسن العقل ... والحلم والرأي بحسن الفعل

(٣) كان قبله :

لكنه يريد أدنى سبب ... وموجب يوجب كل موجب

مَعَ ٱبْنِ أَكَّارٍ وَكَانُوا فِي نَصَبْ ... وَحَيْرَةٍ لِقُوتِهِمْ وَفِي تَعَبْ
قَالَ لَهُمْ إِبْنُ ٱلْهُمَامِ إِذْ نَظَرْ ... لَا تَخْرِصُوا فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرْ
قَالَ ٱلْفَتَى ٱلتَّاجِرُ إِنَّ ٱلْعَقْلَا ... مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي ٱلْوُجُودِ أَعْلَى
قَالَ ٱلشَّرِيفُ ٱلْحُسْنُ وَٱلْجَمَالُ ... وَذَاكَ لَوْ حَقَّقْتَهُ مُحَالُ
قَالَ لَهُ ٱلْأَكَّارُ قَوْلَ زُورِ ... اَلِاجْتِهَادُ أَنْفَعُ ٱلْأُمُورِ
حَتَّى إِذَا مَا بَلَغُوا قَطُونَا ... وَهُمْ لِجُهْدِ ٱلسَّيْرِ جَائِعُونَا
قَالُوا لِلْأَكَّارِ ٱجْتَهِدْ فِي ٱلطَّلَبِ ... فَٱلِاجْتِهَادُ قُلْتَ أَقْوَى سَبَبِ
فَسَأَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا عَنْ عَمَلْ ... إِذَا ٱلْفَتَى ٱلْجَلْدُ لَهُ يَوْمًا فَعَلْ
عَادَ عَلَى أَرْبَعَةٍ بِقَدْرِ مَا ... يَكْفِيهِمْ مَشْرَبُهُمْ وَٱلْمَطْعَمَا
قَالَ لَهُ جَمِيعُهُمْ بَيْعُ ٱلْحَطَبْ ... فَمَرَّ فِي ٱلْحَالِ وَجَدَّ فِي ٱلطَّلَبْ
حَتَّى أَتَى وَقْتَ ٱلْعَشَا بِحُزَمِ ... أُشْتُرِيَتْ مِنْهُ بِنِصْفِ دِرْهَمِ
فَٱبْتَاعَ مَا يَكْفِيهِمِ وَرَاحَا ... إِلَيْهِمِ فَوَجَدُوا إِصْلَاحَا
وَخَطَّ فِي جِدَارِ بَابِ ٱلْبَلَدِ ... يَمْدَحُ فِعْلَ ٱلْكَاسِبِ ٱلْمُجْتَهِدِ
وَكَانَ يَا قَوْمُ ٱجْتِهَادُ يَوْمِ ... يَعُودُ فِي ٱلْكَسْبِ بِقُوتِ قَوْمِ
حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَحُوا مِنَ ٱلْغَدِ ... قَالُوا ٱلشَّرِيفُ ذُو ٱلْجَمَالِ يَغْتَدِي
لَعَلَّهُ يَكْسِبُ مِنْ جَمَالِهِ ... فَإِنَّهُ ٱلْأَفْضَلُ فِي مَقَالِهِ

فَمَرَّ حَيْرَانَ إِلَى ٱلْمَدِينَهْ ... يَسْتَعْمِلُ ٱلْوَقَارَ وَٱلسَّكِينَهْ
يَقُولُ مَا أَصْنَعُ كَيْفَ حِيلَتِي ... وَمَا ٱلَّذِي أَجْعَلُهُ وَسِيلَتِي
فَنَامَ فِي ٱلْفِكْرَةِ تَحْتَ شَجَرَهْ ... «مَرَّ بِهِ مُصَوِّرٌ فَأَبْصَرَهْ»
«فَرَاقَهُ جَمَالُهُ فَقَالَا ... سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَ ذَا ٱلْجَمَالَا»
«إِنِّي إِذَا صَوَّرْتُهُ وَبِعْتُ ... مِنَ ٱلْوَرَى صُورَتَهُ ٱنْتَفَعْتُ»
«ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ وَأَرْسَلَا ... إِلَيْهِ مَنْ أَيْقَظَهُ وَفَعَلَا»
«فَعَادَ عَنْهُ رَابِحًا عِنْدَ ٱلْمَسَا ... دَرَاهِمًا وَحُلَّةً قَدِ ٱكْتَسَى»(١)
وَخَطَّ مِنْ فَوْقِ ٱلْجِدَارِ وَكَتَبْ ... «لِلْمَرْءِ مِنْ فَرْطِ ٱلْجَمَالِ مُكْتَسَبْ»(٢)
حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَحُوا مِنْ بَاكِرِ ... قَالُوا ٱغْدُ وَٱبْغِ ٱلرِّزْقَ يَا ٱبْنَ ٱلتَّاجِرِ
بِعَقْلِكَ ٱلْوَافِرِ إِنَّ ٱلْعُقَلَا ... زَعَمْتَ مِنْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ أَعْلَى
فَمَرَّ يَسْعَى فَرَأَى سَفِينَهْ ... قَدْ وَقَفَتْ فِي جَانِبِ ٱلْمَدِينَهْ
فِيهَا مِنَ ٱلْمَتَاعِ وَٱلْبَضَائِعِ ... مَنْفَعَةٌ لِلْمُشْتَرِي وَٱلْبَائِعِ
وَٱجْتَمَعَ ٱلتُّجَّارُ كَيْمَا يَشْتَرُوا ... وَسَاوَمُوا أَصْحَابَهَا فَأَكْثَرُوا

(١) كان الاصل :

فعاد عنهُ رابحًا وقد كمل ... خمس مئ تحلو الهموم والحلل

(٢) كان الاصل : ان الفتى من الجمال يكتسب

فَانْصَرَفُوا عَنْهُمْ وَقَالُوا نَنْتَظِرْ عَسَاهُ فِي عُيُونِهِمْ أَنْ يَنْكَسِرْ
فَجَاءَهُمْ بِلُطْفِهِ فَابْتَاعَهْ لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ الْبِضَاعَهْ
وَبَلَغَ الْقَوْمُ فَأَرْبَحُوهُ مِئَةَ أَلْفٍ حِينَ صَالَحُوهُ
فَعَادَ بِالْمَالِ الْجَزِيلِ رَابِحَا وَأَبْصَرَ الْخَطَّ مُبِينًا وَاضِحَا
فَكَتَبَ التَّاجِرُ تَحْتَ مَا كَتَبْ بِعَقْلِ يَوْمٍ نِلْتُ أَوْقَارَ ذَهَبْ
ثُمَّ بَدَا الصُّبْحُ الْمُنِيرُ وَاشْتَهَرْ فَابْتَدَرُوا الْأَمِيرَ قُمْ إِلَى الْقَدَرْ
فَقَامَ مِنْ سَاعَتِهِ مَدْهُوشَا مُحَيَّرًا قَدْ كَادَ أَنْ يَطِيشَا
حَتَّى إِذَا جَاءَ إِلَى بَابِ الْبَلَدْ أَبْصَرَ ظِلًّا وَخَلَاءً فَقَعَدْ
وَكَانَ قَدْ مَاتَ أَمِيرُ الْبَلَدِ وَالنَّاسُ فِي هَمٍّ وَفِي تَلَدُّدِ
فَأَصْلَحُوا مِنْ يَوْمِهِ جَهَازَهْ وَعَبَرُوا عَلَيْهِ بِالْجَنَازَهْ
فَلَمْ يَقُمْ كَأَنَّهُ لَمْ يَحْتَفِلْ بِمَا رَأَى مِنَ الْبُكَاءِ الْمُتَّصِلْ
فَقَالَ بَعْضُ مَنْ رَآهُ لَا تَعُدْ تَقْعُدُ فِي هَذَا الْمَكَانِ إِنْ نَعُدْ
فَعَادَ لَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ فَاجْتَازَ ذَاكَ ثَانِيًا عَلَيْهِ
وَقَالَ لِمْ خَالَفْتَنِي وَعُدْتَا قُلْ لِي مَنْ أَنْتَ وَلِمْ قَعَدْتَا
وَقَالَ مِنْ سَاعَتِهِ اسْحَبُوهُ فَإِنَّهُ مُخَالِفٌ مَعْتُوهُ
فَسُجِنَ الْمِسْكِينُ فِي الْمَطْمُورَهْ وَصَارَ فِي ضُرٍّ قَبِيحَ الصُّورَهْ

حَتَّى إِذَا مَا اجْتَمَعُوا لِيَنْصِبُوا　　فِي الْمُلْكِ مِنْهُمْ وَاحِدًا يَنْتَخِبُ

وَلَمْ يَكُنْ لِلْمَلِكِ الْمَاضِي وَلَدْ　　وَلَا أَخٌ وَلَا نَسِيبٌ يُعْتَمَدْ

وَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ فِي مَنْ يَقْعُدُ　　مِنْهُمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ يَجْتَهِدُ

قَالَ الَّذِي كَانَ لِذَاكَ قَدْ حَبَسْ　　إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا مِثْلَ الْقَبَسْ

حَبَسْتُهُ لِأَنَّنِي أَنْكَرْتُهُ　　وَحَقَّ لِي يَا قَوْمُ أَنْ حَذِرْتُهُ

إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَيْنَا　　لِبَعْضِ مَنْ يَكِيدُنَا عَلَيْنَا

فَأَحْضَرُوهُ عِنْدَ ذَاكَ فَحَضَرْ　　وَسَأَلُوا مِنْ أَمْرِهِ عَنِ الْخَبَرْ

فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ وَابْنُ مَلِكْ　　اِضْطَهْرُ كَانَ وَالِدِي وَقَدْ هَلَكْ

وَابْتَزَّنِي مَلَابِسَ الْمُلْكِ أَخِي　　فَعُدْتُ فِي الْبُؤْسِ عَنِ الْعَيْشِ الرَّخِي

فَعَرَفُوهُ وَالشَّهِيرُ يُعْرَفُ　　وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ مَا تَوَقَّفُوا

وَقَلَّدُوهُ الْمُلْكَ بِاتِّفَاقِ　　وَأَلْبَسُوهُ التَّاجَ بِاسْتِحْقَاقِ

وَرَكِبَ الْفِيلَ وَطَافَ فِي الْبَلَدْ　　ثُمَّ رَأَى مَا كَتَبُوهُ فَعَمَدْ

لِكَتْبِ مَا قُلْنَا بِخَطٍّ تَحْتَهُ　　وَنَصَبُوا يَوْمَ السَّلَامِ تَخْتَهُ

وَجَمَعَ الْقُوَّادَ وَالرِّجَالَا　　وَقَامَ فِيهِمْ خَاطِبًا فَقَالَا

لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مَا كَسَبْتُمُ　　بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ حِينَ يُحْتَمُ

أَوْ كَانَتِ الْأَقْدَارُ مِنْ أَسْبَابِهِ　　فَهُوَ مُعِينُ الْمَرْءِ فِي طِلَابِهِ

لَكِنَّنِي مَا نِلْتُ إِلَّا بِالْقَدَرْ لَا بِالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ وَالنَّظَرْ
فَإِنَّ فِي ذِي الْأَرْضِ كُلَّ فَاضِلِ وَحَسَنٍ مِنَ الرِّجَالِ كَامِلِ
قَدْ كُنْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ النَّزْرِ مُسْتَصْغِرًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْرِي
لَكِنْ قَضَاءُ اللهِ لَا سِوَاهُ مَهَّدَ لِي الْمُلْكَ وَحَسْبِي اللهُ
وَكَانَ فِيهِمْ سَائِحٌ فَقَامَا وَقَالَ قَدْ أَسْمَعْتَنَا كَلَامَا
فِيهِ سَدَادٌ وَرَشَادٌ وَحِكَمْ كَأَنَّهُ الدُّرُّ إِذَا الدُّرُّ انْتَظَمْ
وَدَلَّنَا ذَاكَ عَلَى رَشَادِكَا وَأَوْضَحَ الْحَقَّ مِنِ اعْتِقَادِكَا
وَحَسُنَتْ فِيكَ ظُنُونُ النَّاسِ وَأَنْتَ خَيْرُ النَّاسِ فِي الْقِيَاسِ
فَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي مَلَّكَكَا أُمُورَنَا أَجْمَعَ إِذْ فَضَّلَكَا
وَقَامَ أَيْضًا سَائِحٌ فَقَالَا مِنْ بَعْدِ حَمْدِ رَبِّنَا تَعَالَى
قَدْ كُنْتُ فِي شَبِيبَتِي عَسِيفَا آجَرْتُ نَفْسِي رَجُلًا شَرِيفَا
وَكَانَ أَعْطَانِيَ دِينَارَيْنِ فَلَبِثَا فِي الْكِيسِ مَصْرُورَيْنِ
حَتَّى إِذَا تُبْتُ وَصِرْتُ سَائِحَا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ فِعْلًا صَالِحَا
فَقُلْتُ دِينَارٌ لِأَجْلِ النَّفَقَهْ وَأَجْعَلُ الثَّانِي بِرَسْمِ الصَّدَقَهْ
ثُمَّ رَأَيْتُ صَائِدًا يَبِيعُ زَوْجَيْ حَمَامٍ حُسْنُهُ بَدِيعُ
فَقُلْتُ تَخْلِيصِيَ هٰذَا أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ وَجَمِيلٍ أَجْمَلُ

وَقُلْتُ لِلصَّيَّادِ أَسْتَرْخِصُهُ ... قَالَ بِدِينَارَيْنِ لَا أَنْقُصُهُ
فَابْتَعْتُ مِنْهُ ذَلِكَ الْحَمَامَا ... وَلَمْ أَذُقْ فِي لَيْلَتِي طَعَامَا
وَقُلْتُ إِنْ أَطْلَقْتُهُ فِي الْبَلَدِ ... حَارَ وَرَامَتْ صَيْدَهُ كُلُّ يَدِ
فَجِئْتُ مِنْ فَوْرِي بِهِ صَحْرَاءَ ... وَمَوْضِعاً رَأَيْتُهُ خَلَاءَ
حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتُهُ دَعَا لِي ... وَقَالَ لِي مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ عَالِ
حَقُّكَ يَا هَذَا عَلَيْنَا قَدْ وَجَبْ ... وَفِي الْمَكَانِ جَرَّةٌ مِنَ الذَّهَبْ
فَاحْفِرْ مِنَ الْقِبْلَةِ تَحْتَ الشَّجَرَهْ ... تَجِدْ هُنَاكَ بَدْرَةً مُبَدَّرَهْ
فَلَمْ أُصَدِّقْهُ وَلَكِنْ رُمْتُهَا ... فَبَعْدَ أَنْ حَفَرْتُهَا وَجَدْتُهَا
وَقُلْتُ قَدْ أُوتِيتُمَا عِلْماً حَسَنْ ... وَفِطْنَةً مُوفِيَةً عَلَى الْفِطَنْ
فَكَيْفَ فِي مَصِيدَةٍ وَقَعْتُمَا ... وَبِنَفِيسِ الْعِلْمِ مَا انْتَفَعْتُمَا
قَالَا أَلَمْ تَعْلَمْ وَأَنْتَ عَاقِلُ ... أَنَّ الْقَضَاءَ لِلرِّجَالِ قَاتِلُ
تَعْمَى بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْبَصَائِرُ ... حَتَّى يَعُودَ الْمَرْءُ وَهْوَ حَائِرُ
وَقَالَ بَعْدُ الْفَيْلَسُوفُ يَدْأَبَا ... لِيَعْلَمَ الشَّيْخُ وَإِخْوَانُ الصِّبَا
أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مُقَدَّرَهْ ... وَبِالْقَضَاءِ كُلُّهَا مُيَسَّرَهْ
لَا يَقْدِرُ الْمَرْءُ عَلَى انْتِفَاعِ ... بِغَيْرِ مَقْدُورٍ وَلَا دِفَاعِ
وَإِنَّ مَنْ أَيْقَنَ بِالْقَضَاءِ ... لَمْ يَكُ بِالْحِيلَةِ ذَا عَنَاءِ

باب

اللبوة والإسوار والشعهر

وهو ١

باب من يدع ضر غيره لما يصيبه من الضر

قال له يا بيدبا ابن لي ... فأنت إنسان كثير الفضل
من لا يضر غيره لحذره ... من أن يضر نفسه بضره
فيغتدي متعظاً بغيره ... وإنما ذاك ليمن طيره
قال الحكيم لا يضر الناسا ... ويوحش الندمان والجلاسا
إلا سفيه طبعه لئيم ... وأصله وخيمه وخيم
ليس له في أمر داره نظر ... ولا من العقبى التي يخشى حذر
وإنما ذاك لفرط الغره ... بمن نجا منهم من المعره
لو عجل الله العقوبات لمن ... يجرم ما أجرم خلق في الزمن
وربما يتعظ الإنسان ... بغيره إن نابه الزمان
كقصة اللبوة والإسوار ... والشعهر المذكور في الأخبار
فقال أخبرني بذاك أعلم ... بأمرها فالعلم بالتعلم

فَقَالَ كَانَتْ لَبْوَةٌ فِي أَجَمَهْ لَهَا شُبَيْلَانِ بِجَنْبِ سَلَمَهْ
فَبَكَرَتْ تَطْلُبُ رِزْقًا لَهُمَا فَحِينَ غَابَتْ فِي الْغِيَاضِ عَنْهُمَا
اِجْتَازَ إِسْوَارٌ فَإِذْ رَآهُمَا رَمَاهُمَا رَمْيًا بِهِ أَصْمَاهُمَا
وَكَشَطَ الْجِلْدَيْنِ عَنْ لَحْمِهِمَا وَتَرَكَ الْبَاقِيَ مِنْ شِلْوِهِمَا
فَرَجَعَتْ وَأَبْصَرَتْ مَا هَالَهَا فَصَرَخَتْ وَأَكْثَرَتْ بَلْبَالَهَا
وَكَانَ فِي ذَاكَ الْمَكَانِ شَعْهَرُ فَقَالَ مَا أَمْرُكِ قَالَتْ مُنْكَرُ
وَقَصَّتِ الْقِصَّةَ وَهْيَ بَاكِيَهْ قَالَ لَهَا الشَّعْهَرُ كُونِي هَادِيَهْ
مَا فَعَلَ الْإِسْوَارُ إِلَّا مِثْلَ مَا فَعَلْتِ بِالْخَلْقِ فَذُوقِي الْأَلَمَا
لَمْ تَرْحَمِي يَا هَذِهِ لِتُرْحَمِي كَمْ قَدْ فَجَعْتِ مِنْ فُؤَادٍ مُغْرَمِ
مَا ذُقْتِ إِلَّا مَا أَذَقْتِ مِثْلَهُ إِنْ كُنْتِ وَلْهَى فَسِوَاكِ أَوْلَهُ
وَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قِصَاصِ لَا تَطْمَعِي مِنْ ذَاكِ فِي الْخَلَاصِ
وَالصَّبْرُ خَيْرٌ فَاصْبِرِي مُحْتَسِبَهْ وَلِلثَّوَابِ فَاطْلُبِي مُكْتَسِبَهْ
لِكُلِّ غَرْسٍ ثَمَرٌ يُصَابُ لِكُلِّ سَاعٍ فِي الْوَرَى اكْتِسَابُ
وَثَمَرُ الصَّنَائِعِ الْمَكْسُوبَهْ مَثُوبَةٌ تُحْمَدُ أَوْ عُقُوبَهْ
وَإِنَّمَا ذَاكَ بِقَدْرِ الْعَمَلِ وَقَدْ أَبَنْتُ فَاسْمَعِي وَامْتَثِلِي
كَذَلِكَ الزُّرَّاعُ وَقْتَ الْقِسْمَهْ يَأْخُذُ كُلٌّ حَقَّهُ وَقِسْمَهْ

عَلَى حِسَابِ بَذْرِهِ وَعَمَلِهْ ... قَالَتْ فَبَيِّنْ مَا عَنِي بِمِثْلِهْ

قَالَ لَهَا كَمْ عِشْتِ فِي ذِي الأَجَمَهْ ... قَالَتْ عَمَرْتُ مِئَةً مُحَرَّمَهْ

قَالَ لَهَا مَا كَانَ فِيهَا أَكْلُكِ ... قَالَتْ لُحُومُ الْوَحْشِ فَهْيَ مُمْسِكِي

قَالَ أَمَا كَانَ لَهُنَّ وَالِدَهْ ... شَفِيقَةٌ رَفِيقَةٌ مُسَاعِدَهْ

قَالَتْ بَلَى فَقَالَ لِمْ لَا يُسْمَعُ ... صُرَاخُهَا وَمَا لَهَا لَا تَجْزَعُ

وَأَنْتِ قَدْ لَجَجْتِ فِي الْبُكَاءِ ... وَزِدْتِ فِي النَّوْحِ عَلَى الْخَنْسَاءِ

إِنَّكِ مَا ابْتُلِيتِ بِالْمَصَائِبِ ... إِلَّا لِتَرْكِ الْفِكْرِ فِي الْعَوَاقِبِ

فَتَابَتِ اللَّبُوَةُ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمْ ... وَالنُّصْحُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا ذَا الْفَهْمْ

وَأَصْبَحَتْ تَأْكُلُ أَنْوَاعَ الثَّمَرْ ... فَضَجِرَ الشَّعْهَرُ مِنْهَا وَذَكَرْ

قَوْلًا قَبِيحًا بِذَوِي الْأَحْلَامِ ... وَالْمَرْءُ قَدْ يَغْلَطُ فِي الْكَلَامِ

قَالَ نَوَيْتُ إِذْ رَأَيْتُ الثَّمَرَا ... قَلِيلَةً أَنِّي أَذُمُّ الشَّجَرَا

وَخِلْتُهَا مَا حَمَلَتْ كَمَا مَضَى ... وَبِتُّ مِنْ ذَاكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا

ثُمَّ عَرَفْتُ الْآنَ أَنَّ حَمْلَهَا ... كَانَ كَمَا كَانَ السِّنِينَ قَبْلَهَا

فَأَنْتِ قَدْ أَفْنَيْتِهِ لَا غَيْرُكِ ... وَلَيْسَ ذَا مِنْ عَمَلِ التَّنَسُّكِ

فَخَلَّتِ الثِّمَارَ لِلْوُحُوشِ ... وَعَدَلَتْ عَنْهَا إِلَى الْحَشِيشِ

وَإِنَّنِي بَيَّنْتُ فِي هَذَا الْمَثَلْ ... أَنَّ الْجَهُولَ رُبَّمَا خَلَّى الْخَطَلْ

لِأَجلِ ضُرٍّ عَاجِلٍ يُصِيبُهُ وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ نَصِيبُهُ
فَالنَّاسُ أَوْلَى لَوْ أَفَاقُوا بِالْحَذَرْ وَالْخَوْفِ مِمَّا يَفْعَلُونَ وَالنَّظَرْ
قَدْ قَالَ بَعضُ الْحُكَمَاءِ الْبَرَرَهْ وَالْعُلَمَاءِ قَوْلَةً مُشْتَهِرَهْ
إِيَّاكَ أَنْ تُرِيدَ لِابْنِ جِنْسِكَا إِلَّا الَّذِي تُرِيدُهُ لِنَفْسِكَا
إِصْنَعْ إِلَى النَّاسِ كَمَا تَرُومُ أَنْ يَصْنَعُوا إِلَيْكَ يَا كَرِيمُ
فَإِنَّهُ عَدْلٌ وَفِي الْعَدْلِ رِضَى لَا بُدَّ لِلدُّيُونِ مِنْ أَنْ تُقْتَضَى

بَابُ

النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

وَهُوَ

بَابُ مَنْ يَدَعُ عَمَلَهُ الَّذِي يَعْنِيهِ وَيَطْلُبُ سِوَاهُ

فَقَالَ أَخْبِرْنِي عَمَّنْ يَتْرُكُ سَبِيلَهُ وَفِي سِوَاهَا يَسْلُكُ
وَإِذْ رَأَى بِأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا قَدْ تَمَنَّى وَالتَّمَنِّي مُهْلِكُ
عَادَ إِلَى طِلَابِ مَا قَدْ تَرَكَا فَضَلَّ عَنْهُ وَبَقِي مُرْتَبِكَا
قَالَ لَهُ كَانَ بِأَرْضِ الْكَرْخِ مُجْتَهِدٌ فِي النُّسْكِ ذُو بَالٍ رَخِي

فَضَافَهُ خِلٌّ لَهُ فَأَتْحَفَهْ — بِالتَّمْرِ وَهِيَ تُحْفَةٌ مُسْتَظْرَفَهْ

فَقَالَ مَا أَطْيَبَ هذِي الثَّمَرَهْ — يَا لَيْتَ فِي دَارِي نَخِيلاً مُثْمِرَهْ

«لٰكِنَّمَا مَا لِي وَلِلتَّمْرِ الَّذِي — يُعَدُّ مَا بَيْنَ الثِّمَارِ كَالْبَذِي»

وَإِنَّ فِي دَارِي مِنَ الْفَوَاكِهِ — وَالتِّينِ مَا لَيْسَ بِنَزْرٍ تَافِهِ

وَإِنَّ فِيهِ غُنْيَةً عَنِ الرُّطَبْ — وَهُوَ إِلَى خَلْقٍ مِنَ النَّاسِ أَحَبْ

وَالتَّمْرُ فِيهِ وَخَمُ الطَّبَائِعِ — وَلَيْسَ مِثْلُ التِّينِ ذَا مَنَافِعِ

قَالَ مَنِ احْتَاجَ إِلَى مَفْقُودِ — فِي دَهْرِهِ فَلَيْسَ بِالْمَسْعُودِ

لِأَنَّهُ يَدْخُلُهُ مِنَ الشَّرَهْ — وَالْحِرْصِ وَالْهَمِّ أُمُورٌ مُنْكَرَهْ

وَأَنْتَ لَا شَكَّ سَعِيدُ الْجَدِّ — مُوَفَّقٌ مُؤَيَّدٌ بِالرُّشْدِ

قَنِعْتَ بِالْقَدْرِ الَّذِي رُزِقْتَهُ — عَقْلاً وَلَمْ تَبْغِ الَّذِي مُنِعْتَهُ

فَأَحْسَنَ الضَّيْفُ عَلَيْهِ رَدَّهُ — عَنْ قَوْلِهِ فِيهِ وَأَثْنَى جُهْدَهُ

«وَكَانَ ذَا النَّاسِكُ قَدْ تَعَلَّمَا — مِنَ اللُّغَى أَكْثَرَهَا وَفَهِمَا»

«يَنْطِقُ إِذْ يَنْطِقُ بِالتَّجْوِيدِ — لَا سِيَّمَا فِي لُغَةِ الْيَهُودِ»

«سَمِعَهُ الضَّيْفُ بِهَا تَكَلَّمَا — يَوْمًا فَرَامَ عِنْدَهُ التَّعَلُّمَا»

وَقَالَ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مِنْكَا — لَفْظًا فَعَلِّمْنِيهِ أَرْوِ عَنْكَا

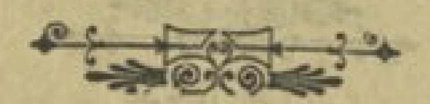
قَالَ لَهُ النَّاسِكُ إِنِّي أَحْسَبُ — أَنَّكَ مِنْ بَعْدُ لَهُ تَسْتَصْعِبُ

وَتَقْتَدِي فِي ذَاكَ كَالْغُرَابِ وَفِعْلِهِ مَا لَيْسَ بِالصَّوَابِ
قَالَ وَمَا شَأْنُ الْغُرَابِ الْبَائِسِ ضَرَبْتَهُ لِي مَثَلَ الْمُقَائِسِ
قَالَ لَهُ إِنْ غُرَابَ الْمَثَلِ أَرَادَ أَنْ يَمْشِيَ مَشْيَ الْحَجَلِ
فَلَمْ يُطِقْ وَعَادَ يَبْغِي مِشْيَتَهْ فَلَمْ يَنَلْ مِنْ ذَاكَ أَيْضاً بُغْيَتَهْ
فَعَادَ حَيْرَانَ شَدِيدَ الْحَسْرَهْ تَبْدُو عَلَيْهِ فَتْرَةٌ وَكَسْرَهْ
كَذَاكَ أَنْتَ إِنْ تَرَكْتَ لَفْظَكَا هَذَا وَلَمْ يَسُغْ لِذَاكَ حِفْظُكَا
أَعْيَاكَ هَذَا وَنَسِيتَ ذَاكَا فَلَمْ تَنَلْ فِي أَحَدٍ مُنَاكَا
قَدْ قِيلَ مَنْ يَطْلُبُ مَا لَا يُشْبِهُهْ لَمْ يَخْلُ فِيهِ مِنْ كَلَامٍ يَجْبَهُهْ
وَهُوَ بِلَا شَكٍّ غَبِيٌّ جَاهِلُ وَالْجَلْدُ مَنْ يَطْلُبُ مَا يُشَاكِلُ
إِنِّي أَرَى الْمُلُوكَ حِينَ تَتْرُكُ أَمْثَالَ ذَا مِنَ الْعُلُومِ تَهْلِكُ
لَوْ نَصَحَ الْحَاكِمُ لِلرَّعِيَّهْ أَوْ أَنَّهُ بَالَغَ فِي الْوَصِيَّهْ
مَا طَلَبَ الْأَدْنَى مَكَانَ الْأَعْلَى جَهْلاً وَلَا خَالَفَ فَرْعٌ أَصْلَا
فَإِنَّ فِي هَذَا انْتِشَارَ الْأَمْرِ وَسُبَّةً عَلَى وُلَاةِ الْعَصْرِ

خَاتِمَةُ الْكِتَابِ

لَمَّا انْتَهَى إِلَى حَدِيثِ النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ لَمْ يَسْأَلْهُ كَالْمُتَارِكِ

قَالَ لَهُ يَا ذَا السَّجَايَا الْحَسَنَهْ	عِشْتَ كَمَا تُؤْثِرُهُ أَلْفَ سَنَهْ
فِي ظِلِّ مُلْكٍ وَمَلَكْتَ الْأَرْضَا	وَنِلْتَ مِنْ أَمْلَاكِهَا مَا تَرْضَى
أُعْطِيتَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ نَسَبَا	مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بُلْغَةً وَسَبَبَا
فِي فَرَحٍ وَغِبْطَةٍ وَنِعْمَهْ	وَقُرَّةِ الْعَيْنِ وَبُعْدِ الْهِمَّهْ
سَاعَدَكَ الْقَضَاءُ فِيمَا تَطْلُبُ	فَقَدْ جَمَعْتَ الْكُلَّ لَسْتُ أَكْذِبُ
حِلْمًا وَعِلْمًا وَذَكَاءً وَكَرَمْ	وَالْبَأْسَ وَالْجُودَ وَحِفْظًا لِلذِّمَمْ
قَوْلًا وَفِعْلًا وَصَلَاحَ نِيَّهْ	وَهِمَّةً شَامِخَةً عَلِيَّهْ
لَا نَقْصَ فِي الرَّأْيِ وَلَا الْقَوْلُ سَقَطْ	لَا عَيْبَ فِي مَا جِئْتَهُ وَلَا غَلَطْ
لَقَدْ جَمَعْتَ نَجْدَةً وَلِينَا	فَلَسْتَ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَكِينَا
شَرَحْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِشَرْحِهِ	وَافْتَرَّ لَيْلُ مَنْطِقِي عَنْ صُبْحِهِ
قُلْتُ وَمَا الْآمِرُ بِالصَّوَابِ	أَسْعَدَ مِنْ مُطِيعِهِ فِي الْبَابِ
كَلَّا وَلَا النَّاصِحُ يَوْمًا أَسْعَدَا	بِالنُّصْحِ مِنْ قَابِلِهِ مُجْتَهِدَا



خَاتِمَةُ ٱلنَّاظِمِ

تَمَّ ٱلْكِتَابُ وَٱنْقَضَتْ أَبْوَابُهُ   كَٱلدُّرِّ إِذْ يُزْجِي بِهِ سَحَابُهُ
بَادٍ لِكُلِّ فَاضِلٍ صَوَابُهُ   مُؤَدِّبًا إِنْ قُبِلَتْ آدَابُهُ
بِسَعْدِ مَجْدِ ٱلْمُلْكِ دَامَ مُلْكُهُ   فَوَصْفُهُ دُرٌّ وَنَظْمِي سِلْكُهُ
حَرَزْتُ فِي عَشْرِ لَيَالٍ عَقْدَهُ   وَلَمْ أُطِقْ حَتَّى ٱسْتَعَنْتُ جَدَّهُ
نَعَمْ وَلَوْ أَنِّي وَقَفْتُ ٱلنَّفَسَا   عَلَيْهِ لَا غَيْرُ لَكَانَتْ خَمْسَا
وَلَسْتُ مِنْ فَضَائِلِي أَعُدُّهُ   فَإِنَّمَا سَهَّلَ ذَاكَ سَعْدُهُ
لَمَّا غَدَا بَعِيدُهُ قَرِيبَا   رَأَيْتُ ذَاكَ عَجَبًا عَجِيبَا
وَقُلْتُ إِنَّ دَوْلَةَ ٱلْمُشَيَّدِ   وَجَدَّهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُسْعِدِ
فَإِنَّنِي لَوْ رُمْتُ رَدَّ أَمْسِ   بِسَعْدِهِ عَادَ بِغَيْرِ حَبْسِ
لَوْ رُمْتُ حَبْسَ ٱلْفَلَكِ ٱلدَّوَّارِ   وَرَدَّ صَبْغِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْبَحْرُ لَوْ رَدَدْتُهُ عَنْ مَدِّهِ   وَٱلدَّهْرُ لَوْ مَنَعْتُهُ عَنْ قَصْدِهِ
لَكَانَ ذَاكَ أَيْسَرَ ٱلْأَشْيَاءِ   وَنِلْتُ مِنْ غَايَتِهِ رَجَائِي

باب

الحمامة والثعلب ومالك الحزين (١)

وهو

باب من يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه

«قال له يا بيدبا هذا المثل وعينه فبين منه سوء العمل»
«في من يرى الرأي السديد الصائبا لغيره إذا أتاه طالبا»
«ولا يرى لنفسه الصوابا قال لعمري ذاك ما أصابا»
«فإنه لم يلق إلا ضررا وقد روى لي الثقات خبرا»
«حكوه عن مالك الحزين ألطائر المعروف بالبلشون»
«وما جرى له مع الورقاء والثعلب المشهور بالدهاء»
«قال وكيف ذاك قال نقلا خل حكيم لي هذا المثلا»
«فقال لي قد كان للحمامة عش بأعلى نخلة في رامه»

---

(١) ليس هذا الباب منظوماً في الأصل والذي اراه ان الناسخ اغفله لا الناظم فالذي نظم الكتاب كله في عشر ليال لا يعجز عن هذا الباب الوجيز وقد نظمته كي لا يبقى غريباً

« تَبْنِيهِ مِنْ بَعْدِ عَنًا وَتَعَبِ   وَكُلْفَةٍ شَدِيدَةٍ وَنَصَبِ »
« لِأَنَّ ذِي ٱلنَّخْلَةَ كَانَتْ عَالِيَهْ   غُصُونُهَا إِلَى ٱلسَّحَابِ رَاقِيَهْ »
« ثُمَّ إِذَا مَا فَرَغَتْ وَبَاضَتْ   حَضَنَتِ ٱلْبُيُوضَ حَتَّى ٱنْقَاضَتْ »
« ثُمَّ إِذَا مَا أَدْرَكَتْ صِغَارُهَا   مِنْ بَعْدِ أَنْ طَالَ لَهَا ٱنْتِظَارُهَا »
« أَتَى إِلَيْهَا ثَعْلَبٌ قَدْ عَرَفَا   فِي أَيِّ وَقْتٍ بَيْضُهَا قَدْ نُقِفَا »
« وَصَاحَ مِنْ أَسْفَلِ تِلْكَ ٱلنَّخْلَهْ   حَمَامَةَ ٱلدَّوْحِ ٱسْمَعِي لِي جُمْلَهْ »
« إِرْمِي ٱلْفِرَاخَ لِيَ أَوْ أَرْقَى فَلَا   يَقِيكِ شَرِّي غَيْرُ مُبْدِعِ ٱلْمَلَا »
« إِنِّي إِذَا ٱرْتَقَيْتُ لَسْتُ أَنْحَدِرْ   حَتَّى تَصِيرِي عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرْ »
« فَتَجْزَعُ ٱلْحَمَامَةُ ٱلْوَدِيعَهْ   مِنْهُ وَتَرْمِيهَا لَهُ مُطِيعَهْ »
« فَبَيْنَمَا ٱلْوَرْقَاءُ ذَاتَ مَرَّهْ   فِي عُشِّهَا تُبْدِي ٱلْجَوَى وَٱلْحَسْرَهْ »
« وَكَانَ إِذْ ذَاكَ لَهَا فَرْخَانِ   قَدْ أَدْرَكَا كِلَاهُمَا حُلْوَانِ »
« وَإِذْ أَتَى مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ   رَأَى ٱلْأَسَى فِي وَجْهِهَا يَبِينُ »
« فَقَالَ لِمْ أَنْتِ بِسُوءِ حَالِ   كَئِيبَةٌ كَثِيرَةُ ٱلْبَلْبَالِ »
« فَأَخْبَرَتْهُ بِٱلَّذِي تَلْقَاهُ   مِنْ ذَلِكَ ٱلثَّعْلَبِ مَعْ دَهَاهُ »
« فَقَالَ هَذَا ٱلْخَطْبُ لَيْسَ خَطْبَا   وَكَفُّهُ سَهْلٌ وَلَيْسَ صَعْبَا »
« مَتَى أَتَى وَقَالَ مِثْلَ مَا سَبَقْ   فَلَا تَخَافِي شَرَّهُ وَإِنْ بَرَقْ »

« وَإِنَّمَا قَوْلِي لَهُ لَا أَتَّقِي إِلَيْكَ فَرْخِيَ كَمَاضِي حُمْقِي »
« فَارْزُقْ إِلَيَّ لَا تُبَالِ بِالْخَطَرْ مَنْ لَمْ يُخَاطِرْ لَمْ يَنَلْ قَطُّ وَطَرْ »
« فَإِنْ بَلَغْتَ سَالِمًا إِلَيَّا وَنِلْتَ عُشِّي آكِلًا فَرْخِيَا »
« أَطِرْ إِذَا نَاجِيَةً بِنَفْسِي طَالِبَةً فِي الْبُعْدِ عَنْكَ أُنْسِي »
« وَعِنْدَمَا عَلَّمَهَا مَا قَالَا مِنْ حِيلَةٍ سَتَخْذُلُ الْمُحْتَالَا »
« طَارَ بَعِيدًا وَاعْتَلَى وَارْتَفَعَا ثُمَّ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ وَقَعَا »
« وَأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ ثُمَّ وَقَفَا وَقَالَ مِثْلَ مَا ذَكَرْنَا آنِفَا »
« فَهَدَّدَتْ وَرْقَاؤُنَا وَاحْتَدَمَتْ ثُمَّ أَجَابَتْهُ بِمَا تَعَلَّمَتْ »
« فَقَالَ قُولِي لِي مَنْ لَقَّاكِ هٰذَا الْجَوَابَ وَبِهِ نَجَّاكِ »
« قَالَتْ لَهُ فَرْحُهَا يَبِينُ عَلَّمَنِي مَالِكٌ الْحَزِينُ »
« فَأَعْمَلَ الثَّعْلَبُ فَرْطَ الْمَكْرِ وَأَمَّ مَالِكًا لِقُرْبِ النَّهْرِ »
« فَقَالَ يَا مَالِكُ أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ إِنْ هَبَّتْ عَلَيْكَ شَمْأَلُ »
« قَالَ وَرَائِي قَالَ أَيْنَ تَضَعُهْ إِذَا أَتَتْ رِيحُ الْجَنُوبِ تَصْفَعُهْ »
« قَالَ شِمَالًا قَالَ أَيْنَ تَسْتُرُهْ إِنْ هَبَّتِ النَّكْبَاءُ وَكَادَتْ تَبْتُرُهْ »
« قَالَ لَهُ تَحْتَ جَنَاحِي حَالَا أَسْتُرُهُ وَأَتَّقِي الْوَبَالَا »
« قَالَ لَهُ ذٰلِكَ لَيْسَ يُمْكِنُ قَالَ بَلَى وَإِنَّهُ لَهَيِّنُ »

« قَالَ لَهُ فَأَرِنِيهِ فِعلاَ إِنَّكَ قَدْ سَلَبْتَ مِنِّي الْعَقْلاَ »
« يَا مَعْشَرَ الطَّيْرِ لَقَدْ فَضَّلَكُمْ رَبِّي عَلَيْنَا بِالذَّكَا جَمَّلَكُمْ »
« فَهِمْتُمُ فِي زَمَنٍ قَلِيلِ مَا نَحْنُ لاَ نَفْهَمُهُ فِي جِيلِ »
« فَأَرِنِي بِاللهِ كَيْفَ تَفْعَلُ هٰذَا إِذَا فَعَلْتَ أَمْرٌ يُذْهِلُ »
« فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ حَالاً رَاسَهْ تَحْتَ جَنَاحَيْهِ بِلاَ فِرَاسَهْ »
« فَوَثَبَ الثَّعْلَبُ غَيْرَ مَهْلِ عَلَيْهِ وَاخْتَطَفَهُ بِالْعَجَلِ »
« ثُمَّتَ قَالَ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ وَمَنْ أَزَالَ سَعْدَهُ بِنَحْسِهِ »
« تَرَى سَدِيدَ الرَّأْيِ لِلْوُزَرَاءِ تُنْفِذُهَا بِالْمَكْرِ وَالدَّهَاءِ »
« وَلاَ تَرَى لِنَفْسِكَ الآرَاءَ لِتُبْعِدَ الْخُصُومَ وَالأَعْدَاءَ »
« سُحْقًا وَيَا وَيْحًا لَهُ ذَكَاءَ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَزِلْ بِهِ الْبَلاَءَ »
« وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى الْكَلاَمَ قَتَلَهْ عَضًّا وَضَرْبًا بِالثَّرَى وَأَكَلَهْ »
« فَلْنَسْأَلِ الرَّحْمٰنَ ان نَكُونَا لِمَا أَمَرْنَا الْغَيْرَ فَاعِلِينَا »
« مُنْتَصِحِينَ بِالَّذِي نَصَحْنَا فَإِنْ نَكُنْ كَذَا فَقَدْ نَجَحْنَا »

إِنْتَهَى



تنبيه

لقد اصلحت في هذا الكتاب ما اصلحت ونظمت ما رأيته خالياً منه وانا بين عوامل اشغال جمة تتنازع اوقاتي فلا تدع لي منها الا النزر القليل فان كان قد طاش سهمي او زات قدمي فالمطالع كريم يعفو عما هفوت وسقطت ويغض الطارف عما يراه من ركيك الكلام وواهن التعبير وان دلته اصابة رأيه الى خطأ عثر عليه فنبهني اليه فانا له من الشاكرين لأنَّ لي في هذا النظم رجعة الى الاصلاح فاثقف ما اعوجَّ من كلامي واشدد ما وهن علَّه يجيء كنثره تحفة مستظرفة · والله اسأل ان يجعله مفيداً لمطالعه انه خير من سئل

فهرس لتفسير الغريب من الالفاظ

حرف الالف

الإبريز: الذهب الخالص الصافي
آثر: اختار وفضَّل
الآجال: جمع أجل وهو غاية الوقت في الموت
الإحنة: الحقد والغضب
أخَذَ: بالشخص عاقبه. ومنه أخذه بالمذنبين
الإدّ: الامر الفظيع والداهية
الأدَر: الأنفخ والمفتوق
الأزر: الظهر
أفِنَ: الرجل وأُفِنَ ضعف رأيه والمأفون الضعيف الراي والعقل
الأُكُل: ما يؤكل
الإلّ: العهد
ائتلى: قصّر
الأَمَنَة: الأمن
الآفة: عرض مفسد لما اصابه

حرف الباء

البَبْر: اسد هندي. وببر عادي اي قديم
بتَّ: الحبلَ قطعه
بتَرَ: قطع مستأصلا
بثَّ: العذرَ اظهره
البحت: الخالص من كل شيء
البرزَخ: الحاجز بين الشيئين
أبرَم: الامرَ احكمه
التبرُّم: التعنُّت
البازدار: حامل البازي
بزَّ: الشيءَ منه اخذه بجفآ وقهر وابتزَّ عينيه نزعها
الأبزَن: بتثليث الهمزة حوض يُغتسل فيه ويعرف بالمغطس وقد يتخذ من نحاس وهو معرَّب آبزَن بالفارسية ومعناه حوض صغير
البطَر: من بطِر الرجل اذا دهش مع سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها في غير وجهها
البَغْي: العدول عن الحق
البُغَى: الوطر
بلا: يبلو جرَّب واختبر
بلَّى: الناقةَ جعلها بليَّة وذلك ان الناقة اذا مات صاحبها تُشدّ

عند قبره فلا تعلف ولا تُسقى حتى تموت . وعلى ذلك القول : بلي التدبير اي انه ترك امر النظر في العواقب واهمله كما تهمل الناقة المذكورة

بُهِتَ : دُهش وتحير

حرف التاء

التَدْرُج : طائر حسن الصورة ارقش وهو شبيه بالدرّاج وقيل هو الحجل وقيل السماني

الأتراب : جمع ترب وهو اللدة والسن ومن وُلد معك

تفِهَ : الشيء خسّ

المتالف : جمع متلفة وهي المفازة

حرف الثاء

الثبت : الثابت

تثبّتَ : في الأمر تأنى فيه

الثراء : الغنى وكثرة المال

ثقّفه : قوّمه

ثابَ : رجع بعد ذهاب

حرف الجيم

الجُبار : السيل او فناء المقبرة وهما عديما الشفقة فالاول يجرف كل ما يصادفه لا يلوي على شيء والثاني لا يحنو لما يرى من كثرة البكاء

الجبلّة : الخلقة والطبيعة

جَبَهَهُ : لقيه بما يكره

الجُحْر : كل مكان تحتفره الهوام والسباع لانفسها

الجدار : الحائط

الجريّ : من اسما الاسد

جزَفَ : الشيء باعه واشتراه بلا وزن ولا كيل

أُجفّهُ : اراد بها تجنفه ولم اجد أجفّ بمعنى جنّف

الجَلْد : الرجل الجلد اي الشديد القوي

الجِلْف : الرجل الجافي

الجنوب : ريح تخالف الشمال

جَنَح : مالَ

الجنازة : الميت ويفتح او بالكسر الميت او السرير مع الميت ومن يشيعه وبالفتح السرير

الجَنَف : الميل الى الجور

الجَنّة : الحديقة

الجُنّة : السترة وكل ما وقى من سلاح

الجِهاز : جهاز الميت والعروس والمسافر هو ما يحتاجون اليه

الجَور : الظلم

الجوّاس : الطالب الشيء بالاستقصاء

اجتوى : المكان كره المقام فيه وان كان في نعمة

: الجوى الباطن والحرقة وشدّة الوجد من عشق او حزن

حرف الحاء

الحِجْر : العقل سمي به لانه يحجر صاحبه عما لا ينبغي

الإحجام : الكف والنكوص هيبة

الحدَأة : طائر يصطاد الجرذان ويعرف عند العامة بالشوحة

حرّبه : سلبه وتركه بلا شيء

المِحْرَب : الشديد الحرب الشجاع

الحارث : ابو الحارث كنية الاسد

الحَرَد : الغضب

حرّقَ : نابهُ سحقه حتى سمع له صريف

الحُرمة : ما لا يحل انتهاكه

حزَبَ : الامرُ اشتد

الحسبة : الاجر والثواب

احتسبَ : بكذا اجراً عند الله اعتدّه ينوي به وجه الله

الحصيف : المستحكم العقل

المحاضر : جمع محضر وهو السجلّ وخطّ يكتب في واقعة وخطوط الشهود في آخره بصحة ما تضمنه صدره

حضنت : الحمامةُ بيضها ضمته تحت جناحيها ورخمت عليه للتفريخ

الحُطام : ما في الدنيا من مال قليل او كثير

الحفاظ : المراعاة

خفَا : البرقُ لمع ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم

الحِقاق : المخاصمة

الحَلْي : ما يزين به من مصوغ المعدنيات او الحجارة والحُلِيّ جمع

الحنادس : جمع حندِس اي الظلمة

حاوَرَ : حادث

الحوّل : الشديد الاحتيال

حاف : يحيف جارَ وظلم

الحوّآء : اراد به صاحب الحية الذي يرقيها و يحملها للتفرجة ولم ارَ له هذا المعنى في كتب اللغة

حرف الخاء

الخبّ : الخبيث الخدّاع

الخبّاز : صانع الخبز والمراد به الخنزير كما يتبين مما يليه اذ يقول : وصرف الخنزير الخ

الخَبال : الفساد والشر

الختل والمخاتلة : الخداع

الخاتون : كلمة اعجمية للمرأة الشريفة وهي من لغة التتر تُلقب بها نساء الملوك عند العرب

الخادر : اسد خادراي مقيم في الاجمة

الخرق : ضد الرفق وضعف الراي والجهل والحمق

الخُسف : الذلّ

الخصلة : الفضيلة والرذيلة او قد غلب على الفضيلة وقيل الخصلة لا تكون الا في المدح والخلة تكون في الخير والشرّ

خفَت : الصوتُ سكن

المِخلب : ظفر كل سبع من الماشي والطائر

أخلَفَ : الوعدَ لم يفِهِ

خَلِق : الثوبُ بلِيَ

الاخلاق : جمع خُلق وهو السجية والطبع

الخُوَان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل

خاس : كذب و بالعهد غدر

خام : عنه نكص وجبُن

الخِيم : الطبيعة والسجية

حرف الدال

دَبَّ : بالشرّ سعى

المدبِر : في قوله ثم ادّخار الحم قول المدبر اسم فاعل من أدبر فلان اذا صار ذا مال كثير

دَثَرَ : درس وانمحى

الدَدَن : اللهو واللعب

الدُسوت : جمع دست وهو صدر البيت والمجلس

الدَشت : الصحرآء

الدَامل : الشافي

تدنَّي : اقترب قليلاً قليلاً

دهِمَه : فاجأه

دَاهَنَ : غشّ واظهر خلاف مايضمر
المدهن : المنافق

حرف الذال

ذبذبَ : تردّد
الذَّرع : الخُلق وضاق ذرعه اي ضعفت طاقته
أذعنَ : ذَلَّ وانقاد
الذَّكاء : حدّة الفؤاد وسرعة الفطنة
الذَّود : من الإبل ما بين ثلث الى الثلاثين وقولهم الذود الى الذود إبل مثل يريدون به القليل من الإبل اي اذا اضيف القليل الى القليل يصير المجموع كثيراً
ذوى : ذبُلَ

حرف الراء

الاسترسال : حسن الثقة بالصديق والاستئناس به
الرُّقية : العوذة
رنق : الماء كدر
الرَّهط : قوم الرجل وقبيلته
أرهقه : حمّله ما لا يطيق
المرهق : المضيق عليه ومن أدرك ليقتل
الرَّوح : الراحة
الروائح : جمع رائحة وهي الامطار والسحب التي تجيء في الرواح اي العشي ويقابلها الغوادي
الرَّوزنة : الكوّة
الرُّوع : القلب اوموضع الفزعَ منه
روّى : في الامر تثبّتَ
ارتاد : طلب
الرَّيد : الحرف الناتيء من الجبل
رام : عنه يريم تباعدَ

حرف الزاي

الزُّبية : حفرة يصاد بها الذئب او الاسد والزُّبى جمع
الزَّجر : الكهانة اي بالقضاء بالغيب
الزُّخرُف : الزينة
الدزرِئة : ما يحطّ من القدر
الزلفة : القرب والمنزلة
الزمازمة : احدى طوائف الفرس
أُزَنَّ : أُتّهم
الزَّور : وسط الصدر او ما ارتفع منه الى الكتفين او ملتقى اطراف عظام الصدر

حرف السين

السبخ : ذو السباخ وهو ما لم يُحرَث من الارض
أسْجَحَ : أحسن العفو
سخال: جمع سخلة وهو ولد الشاة ذكرًا كان او انثى
السخيمة: الضغينة والموجدة في النفس
السديد : الصواب
سدِم : الرجل بالشيء لهج به
السدَم: الغيظ مع حزن والهم مع ندم
السرَب : الحفير تحت الارض
السرْقان : السرقة
السفرة : طعام المسافر
السفط : وعاء كالقفة واسفاط جمع
أسفَّ : الطائرُ دنا من الارض في طيرانه حتى كادت رجلاه تصيبانها
السَلَمَة : واحدة السَلَم وهو شجر من العضاه يُدبغ به
السماد : الزبل
سمير : إبنا سمير الليل والنهار
السِماك : اراد به واحد السماكين وهما كوكبان نيّران احدهما في جهة الشمال ويقال له السماك الرامح والآخر في الجنوب ويقال له السماك الاعزل
سَنَّ السنَّة : وضع الشريعة
السنام : حدبة في ظهر البعير
الإسوار : الجيد الرمي بالسهام
سورةُ : الغضب شدَّته
السوط : ما يُضرب به من جلد مضفور او نحوه
السوقة: الرعية من الناس تحت سياسة الولاة (وسموا سوقة لان الملك يسوقهم و يصرفهم الى ما شاء من امره لا لانهم من اهل السوق كما تزعم العامة
سِيَةُ : القوس ما عطف من طرفيها

حرف الشين

الشرَّة : الشرّ
اشرف : الشيء علا وارتفع
اشتطَّ : تباعد عن الحق وقال شططًا اي قولاً بعيدًا عن الحق مفرطًا في الظلم
شعوب : اسم للمنية

اشفق : منه خاف وحاذر
الشِلو : الجسد من كل شيء وكل مسلوخ اكل منه شي و بقيت منه بقية
الشَمْأَل : ريح الشمال
الشَنِع : ذو الشناعة
المشوب : الممتزج
شايَحَ :الرجلُ قاتل
المشيمة : محل الولد تخرج معه عند الولادة

حرف الصاد

صدَفَ : عن الشيء اعرض وصدّ
الصُغر : الذل
الصفقة : عقد البيع
صَفَنَهُ به : ضربه به
صكَّ : ضرب شديداً
الأصلخ : الأصمّ لا يسمع البتة
إصطلَمَ : الشيء استأصله
الصَيلَم : الامر الشديد والداهية
اصطلى : تدفّأ
الصنج : الصنج ذو الاوتار آلة طرب مختصة بالعجم وهو معرّب جنك بالفارسية

الصندل : شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز يحمل ثمراً في عناقيد وله حب اخضر
الصِيال : الوثوب على العدو لقهره

حرف الضاد

الأضبارة : الحزمة
الضَرب : الرجل الماضي الندب
الضِرب : المثل
الضرائب : جمع ضريبة وهي السجية
اضغاثُ : احلامٍ هي رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها
المضطغن : الحاقد

حرف الطاء

الطَبّ : الماهر الحاذق بعمله
أطراه : بالغ في مدحه
الطرّار : المختلس السالب
أطرَقَ : الرجلُ لم يتكلم وفلان ارخى عينيه ينظر الى الارض
الطَغام : اوغاد الناس
طفَرَ : وثب في ارتفاع قيل الوثوب من فوق الى اسفل والطفور عكسه

المطمورة : الحفيرة تحت الارض
الطَول : الفضل
التطوُّل : الامتنان

حرف الظاء

الظَنين : المتَهم والمعادى لسوء ظنه وسوء الظن به
الظِنة : التهمة

حرف العين

العَبّ : شرب الماء بلا تنفس
العدْو : من قوله في عدْو خصميه معناه منافاة الالتئام
عذَلَ : لامَ
العرّ : الجرَب
عرس : ابن عرس دويبَّة كالفارة
العِراص : جمع عرصة وهي ساحة الدار
اعرضَ : عنه اضربَ وصدّ
العَريض : من المَعَز ما اتى عليه سنة وتناول النبات بعُرض شدقه
العُرْف : المعروف والجود واسم ما تبذله وتعطيه
الأعراق : الاصول جمع عِرق
العسيف : الاجير والعبد
العلجوم : طائر ابيض
الأعلاق : جمع عِلق وهو النفيس من كل شيءْ
تعمَّل : لكذا تكلف العمل
العَنَت : الوقوع في امر شاقّ
العنصر : الاصل والحسب
اعتَنّ : له الشيء ظهر له واعترض
عناه : الامرُ شغله واهمه
عنيّ : آذى واتعب
المعاد : الآخرة
استعاذ : به اعتصم ولجأ به منه
العاهة : الآفة
العاب : اسم بمعنى العيب
عالَ : صبرُه وعِيل غُلب
العين : الذهب والجاسوس ولها معان شتى

حرف الغين

غبط : فلاناً حسده وتمنى مثل حاله من غير ان يريد زوالها عنه
الغَدور : الغادر
الغَوادي : جمع الغادية وهي السحابة تنشأ غدوة او مطرة الغداة
غرّ : فلاناً خدعَه واطمعه بالباطل

الغِرّ : الشاب لا تجربة له

الغرم : الغرامة ولزوم نائبة في مال من غير جناية

الغَشوم : الظالم

الغِمر : من لم يجرّب الامور والجاهل

غوى : ضل

مغيرة : يقال ارض مغيرة اي مسقية ولم أرَ لهذه اللفظة في كتب اللغة معني يصح ان تتناوله جنى بسائر معانيها

الغِيلة : الخديعة والاغتيال وقتله غيلة اي خدعه وقتله

الغِيل : الأجمة وموضع الاسد

حرف الفاء

فَتنه : اعجبه

فحّص : فحص وشدّد لمبالغة

افحمه : اسكته بالحجة في خصومة او غيرها

الفراسة : التثبت في الامور والاستدلال بالامور الظاهرة على الامور الخفية وعلم الفراسة (وهو المراد بقوله : تستخرجون بالزجر والفراسة) علم بقوانين يعرف بها الامور الخفية بالنظر في الامور الظاهرة وموضوعه العلامات والامور الظاهرة في بدن الانسان

الفِرسِن : هو للفيل والبعير كالقدم للانسان والحافر للدابة

فُضِح : كُشفت مساوئه

الفُضول : جمع فضل ضد النقص وقد استُعمل الجمع استعمال المفرد في ما لا خير فيه

فغر : فتح

الفاقرة : الداهيه

الفَلّ : الجماعة

فالِ : اسم فاعل من فلى الأمرَ اذا تأمل وجوهه ونظر الى عاقبته

الفَهد : حيوان من السباع ضيق الخلق شديد الغضب ذو وثبات بعيدة كثير النوم قيل هو متولد من الاسد والنمر

فاءَ : رجع

فاضت : روحه خرجت

فالَ : رايه اخطأ وضعف

حرف القاف

قَبَس : النار اخذها شعلة

اقترَ : الرجل قلَّ ماله وافتقر

الأقتال : جمع قِتل وهو العدوّ

المُقاتلة : الذين ياخذون في القتال والتآء للتأنيث على تأويل الجماعة

قحل : يبس

المِقدار : في قوله فان يكن قد وافق المقدار ارادَ به القضآء والقدر ولم أرَ له هذا المعنى

القارحُ : من ذي الحافر الذي شقَّ نابه وطلع وهو في السنة الاولى حَوليّ ثم جَذَع ثم ثَنِيّ ثم رَباعٍ ثم قارح

قرطس : الرامي اصاب الغرض

القرن : النظير

انقاضت : البيضةُ انكسرت

حرف الكاف

الكؤود : عقبةٌ كؤود اي صعبة شاقة المصعد

الكتائب : جمع كتيبة وهي القطعة من الجيش

الكاشح : المضمر العداوة

الكفيف : الاعمى

الأكلف : من اسمآ الاسد

الكلفة : المشقة

الكَلّ : التعب والمصيبة والثقل والضعيف وهو يُطلق على الواحد وغيره

الكِلام : جمع كَلْم وهو الجرح

الكَنَد : الشرس الشديد

الكَنود : الذاكر السيئة الناسي الحسنة

الكُنه : جوهر الشيء وقدره ووجهه وحقيقته

الكَيس : خلاف الحمق والعقل

الكَيَاسة : الفطنة

استكان : له ذلّ وخضع

حرف اللام

اللُؤم : واللوم ضد الكرم ولؤم يلؤم ضد كرم وكان دنيء الاصل شحيح النفس

اللأوآء : الشدّة والمحنة

اللَبك : امر لَبِك اي ملتبس

ألحفَ : في السؤال ألحّ

لحى : فلانًا لامه وسبّه وعابه

اللَدود : الشديد الخصومة
تلدَّد : الرجلُ تلفت يميناً وشمالاً وتحيّر
اللَغط : الجلبة او اصوات مبهمة لا تفهم
اللغى : جمع لغة
الملاذ : الحصن والملجأ
تلوَّم : في الامر تمكث فيه وانتظر

حرف الميم

المؤونة : الثقل والشدة
مذق : الودَّ لم يخاصه
المَرْخ : شجر سريع الوَرْي يُقتدح به
التمريخ : الدهن بالمروخ
المرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس الفرس
المريع : الخصيب
المارق : الخارج من الدين ببدعة او ضلالة ويستعمل للخارج على ملكه
مشّش : العظمَ استخرج منه المخ
المِصاع : القتال والجلاد
المِنَن : جمع مِنَّة وهي الاحسان
المُنَّة : القوّة
مَهَدَ : كسب وعمل
المُوق : الحمق في غباوة
المائن : الكاذب

حرف النون

النآد : الداهية
أنجب : الرجلُ ولد اولاداً نجباء
النَجر : الاصل والحسب
النَدْب : الخفيف في الحاجة الظريف لانه اذا ندب اليها خفَّ لقضائها
النيروز : اول يوم من السنة الشمسية وهو معرَّب نوروز بالفارسية ومعناه يوم جديد
الناسور : عرق غبر في باطنه فساد كلما برئ اعلاه رجع غبراً فاسداً
النُضار : الذهب او الفضة
نفِد : فني وفرغ
النَكباء : ريح تدور بالبيت فلا يتعيّن لها مهب
النكال : اسم ما يجعل عبرة للغير
النَمير : الماء العذب
المنهج : الطريق الواضح

النوَب : جمع النوبة وهي المصيبة
النيلوفر : نوع من الرياحين ينبت في المياه الراكدة له اصل كالجزر وساق املس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى راسه سطح الماء اورق وازهر واذا بلغ يسقط عن راسه ثمر داخله بزر اسود

حرف الهاء

الهبَّال : الكاسب المحتال
الهجر : القبيح من الكلام والافحاش في النطق
هرَّف : به مدحه بلا خبرة
الهمَج : من الناس الرعاع
الهامش : حاشية الكتاب
الهمام : الملك العظيم الهمة والسيد الشجاع السخي
الهميان : ما يجعل فيه الدراهم ويشد على الحقو
الأهوَج : الاحمق
الهون : الخزي

حرف الواو

الموئل : الملجأ
الوبال : سوء العاقبة
الوِتر : الثأر
وحف : اسرع
الوحي : السريع
الوَزَر : الملجأ والمعتصم
الوَصَب : المرض والوجع الدائم
استوصف : الطبيب لدائه سأله ان يصف له ما يتعالج به
الصلة : العطية والاحسان
وَضَحَ : يضح بان وانجلى
اوغَرَ : صدر فلان احماه من الغيظ
اوفى : عليه زاد
الوِقر : الحمل واوقار جمع
الوفيذ : السريع
ومض : البرقُ لمع خفيفاً
المِقة : المحبة

حرف الياء

اليراعة : ذبابة تطير في الليل كأنها نار

تمّ

فهرس الكتاب

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صواب
٤	١٥	محمد واحمد الجلال	جلال الدين حسن المعروف بالنقاش وضع كتابه سنة ٨٢٨ هجرية
٨	١٢	أنعامه	إنعامه
٨	١٥	جِوارح	جَوارح
٩	٠٢	مثلَه	مثلُه
٩	٠٥	ابان	ابان
١٠	٠٤	أخرهم	آخرهم
١٠	٠٥	نظمتْ	نظمت
١٠	٠٦	خدمتَه	خدمتُه
١٠	٠٧	انفذتَه	انفذتُه
١٠	١٥	انالَ	انالُ
١١	٠٣	آلفيلسوف	ألفيلسوف
١٢	٠٨	أُوتِيت	أُوتيت
١٤	٠٤	غبيَ	غبيٍ
١٤	٠٦	المَسمَار	المِسمار
١٥	٠٢	صاحبَه وجهدة	صاحبُه وجهده
١٥	٠٣	واكبرة	واكبره
١٥	٠٦	حسبه ٠ كربه	حسبه ٠ كربه
١٦	١٣	جِهلهم	جَهلهم

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٧	٠٨	اطيلُ	اطيلَ
٢٠	١٤	صطفيا	مصطفيا
٢٢	١٥	النطر	الحظر
٢٣	٠٤	وقربهِ	وقربهُ
٢٣	١١	اكونَ	اكونُ
٢٦	٠٥	وُالزهد	وَالزهد
٢٧	١١	اشرْ	اشرَ
٣٠	٠٤	وكلٌ	وكلَ
٣٤	١٣	امام	اقام
٣٩	١٠	محَلَةُ	محَلَةُ
٤٢	٠٣	الامم	الِامم
٤٣	١١	يحقرَ	يحقرِ
٤٩	١٣	بلدةِ	بلدةَ
٥٠	١٠	تَريد	تُريد
٥١	١٠	وَالِهَ	وَالِهَةَ
٥٥	٠٥	ابنُ	ابنِ
٥٥	٠٩	عِش	عُش
٥٦	١٢	بِكره	بُكره
٥٨	٠٧	قدْ	قدِ
٥٧	١٣	فعل	وَفعل
٥٨	١٣	وقالتْ	وقالتَ
٥٩	٠٤	قالتَ	قالتْ

صفحة	سطر	غلط	صواب
٦٢	١٢	يشكُ	يشكَّ
٦٢	١٤	للسّمك	للسَّمك
٦٤	٠٧	يرَى	يَرَ
٦٦	٠٦	الخبيت	الخبيث
٦٨	٠٥	ليخذ.عه	ليخدعه
٧٠		قال فيّ رايه	فال فيّ رايهُ
٧٩	٠١	الامر الملوكُ	امر الملوكِ
٨٢	١٢	وَستَرِينَ	وَستَرَينَ
٨٣	٠٢	انتِ	انتَ
٨٨	٠٤	الصِبا	الصَّبا
٩٠	٠١	فقال	فقالا
٩١	١١	عِش	عُش
٩١	١٤	نَضع	نُضع
٩٥	١٤	لمَا	لمَّا
٩٨	٠٨	شُرَكا	شُرَكا »
٩٩	٠٤	ونَصحه	ونُصحه
١٠٢	٠٣	اجهد	اجهل
١٠٤	٠٩	بالاتفاق	بالِاتفاق
١٠٥	٠٢	بيديهُما	بيديهِما
١٠٥	١٤	صنَعته	صنْعته
١٠٧	٠٦	إساءه	إساءة
١٠٧	١١	بَصلِ	بُصلَ

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٠٨	١٢	فَبُهتَ	فَبُهِتَ
١٠٨	١٥	العالم	العَالم
١٠١	٠٨	افكا	افِكا
١١٣	١٣	مشوبه	مشوبة
١١٥	٠٤	منها	منه
١١٦	١٣	ابقُوا	ابقَوا
١١٧	٠٦	في ليلة مظلمة ليلآء	فِي حِلْمِهِ في اللَّيْلَةِ الدَّهْمَاءِ
١٢٠	١٠	التشبثا	التشبتا
١٢٢	١٣	فشَوَوا	فثوَوا
١٢٣	١٦	طالحةٌ	طالحةً
١٢٤	٠١	افابلُ المَنسرا	افابلِ المُسرا
١٢٤	٠٧	دمبةٍ	دمنةٍ
١٢٨	١٥	رعبت	رغبت
١٣٢	٠٥	بالمُصائب	بالمَصائب
١٣٥	٠١	كَلاها	كِلاها
١٣٧	١١	وجهُه	وجهِه
١٣٨	٠١	صوة	صوة
١٣٩	٠٦	فأسمع	فأطمع
١٤١	١١	ثرآ	ثرآ
١٤٤	٠٨	ألاحتيال	الِاحتيال
١٤٨	٠٧	به	بهم
١٥١	١٣	لي	ليَّ

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٥١	١٦	الكُراكي	الكَراكي
١٥٦	٠٦	بَفلَح	بُفلِح
١٦٢	٠٧	أريد	أُريد
١٦٣	٠١	فيُعطب	فيَعطب
١٦٣	١٠	اهلُ الغيرة	اهلَ الغَيرة
١٦٤	٠٢	كفئوا	كُفُؤا
١٦٤	٠٤	إنْ	أنْ
١٦٥	١٠	بينكمُ	بينكمْ
١٦٦	١٤	يوماً	يوماً
١٦٩	٠١	بالغط	بالنِفط
١٦٩	١٣	يسال	ينال
١٧٣	١٢	إد	إذ
١٧٣	١٤	للضد	للضّد
١٧٨	٠٨	مروّةُ	مروءةَ
١٠٢٩	١٥	المخانله	المخاتله
١٨١	٠٤	محبًا	مُحبًا
١٨٦	٠٩	اخدعهُ	اخدعهَ
٢٠٥	١٠	الفرقُ	الفرقَ
٢٠٧	١١	فعاجز	ففاجر
٢٢٥	١٤	فرحًا	فرجًا
٢٣٠	١٤	والشكل	والثكل
٢٤٥	١٥	بكونا	بكونَ

صوب	غلط	سطر	صفحة
لكيما	لكيما	١٠	٢٤٦
أَصلبوه	أُصلبوه	٠٧	٢٥٤
أُوتيتما	أُتيتما	٠٩	٢٦٣
تبغِ	تبغي	١٠	٢٦٧
انتشار	اقتشار	١٣	٢٦٩
بالبلشون	بالبلثون	٠٩	٢٧٢
ثَقَفا	ثُقِفا	٠٥	٢٧٢

وقد بقيت اغلاط اخر لا تخفى على المطالع اللبيب





